obeikandl.com

نابان

نابان
رواية
وائل نصار
الطبعة الأولى : ٢٠١٥

دار الحلم للنشر والتوزيع
٤ شارع الأشراف - من شارع مؤسسة الزكاة - المرج - القاهرة
موبايل : ٠١١٤١٨٢٤٥٦٢
dar_el7elm@hotmail.com
المدير العام : د.إسلام فتحى

تصميم الغلاف : محمد عبد القوي مصيلحي
إخراج داخلي : الحلم للدعاية والإعلان

رقم الإيداع : ٢٠١٤/٢٦٣٨٦
رقم الترقيم الدولي : 978-977-6412-96-5

إن دار الحلم للنشر والتوزيع، غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وتعبر الآراء الواردة في هذا الكتاب عن آراء المؤلف، ولا تعبر بالضرورة عن آراء الدار .

obeikandl.com

وائل نصار

نابان

obeikandl.com

obeikandl.com

الإهْداءُ

إلى الشخص الوحيد في هذا الكون الذي يستحق هذا الإهداء
إلى الشخص الوحيد الذي علَّمني عِشق القراءة وأسرار السينما
إلى والدي.. الراحل.. الباقي
الغائب.. الحاضر
أهدي إلى روحه هذه الرواية ...

obeikandl.com

ونحبكَ يا قمر .. فى ليالى السهر
نبكي .. تبكي علينا
نضحك .. تضحك لينا
نفرح .. تفرح بينا
عطشانين تسقينا .. مجروحين تداوينا
لما الليل يرمينا .. وحدك تسأل فينا
ونقولك لمين ؟ .. بتسهر لمين ؟
لمين يا قمر؟ .. تطلع لمين ؟

عفاف راضي

obeikandl.com

المقدمة

أهلًا بكم.. أكيد هذه هي المرَّة الأولى التي ترون أو تسمعون فيها عن كائن مثلي..

كائن قضى حياته كلها يمشي في دروب الأفلام السينمائية بلا كلل..

يبدو أنه كان يمشي بتأثير سحر السينما..

كائن نظرَ إلى الحياة نظرة خاوية .. لا يجد فيها أي شيءٍ مثير.. لهذا وجدَ ضالته في عوالم السحرِ والغموض والرعب والخيال العلمي..

كائن تحوَّلَت روحه إلى بحرٍ هائل .. تصبُّ فيه كل أنهار السينما طوال الوقت بلا ملل..

كل همها أن تنقل ما تعرفه إلى عقول الآخرين..

مع كل عدد ستكون هناك رحلة إلى دروب وخبايا الفن السابع..

هنا.. لا توجد تذاكر.. أو طوابير.. أو حَجْزًا مُسبقًا.. هنا يوجد فقط أنا وأنتَ..

لا يهم أكياس الفيشار.. أو أن تجلس لتشاهد الفيلم نهارًا أو ليلًا.. واقفًا أو جالسًا.. بمفردكَ أو وسط حشود التتار..

المهم.. أنك مثلي.. تعشق السينما.. وهذا وحده جواز سفركَ إلى عالمي الخاص.

لقد انطفأت الأنوار.. وبدأ الستار ينزاح تدريجيًّا.. وسطعَ ضوء آلة العرض في عقلكَ.

مع تحيَّاتي..

obeikandl.com

obeikandl.com

لكل شيء بداية ..
ولكل بداية .. قصة ..
ولكل قصة .. توقيت محدد ..
فبراير ٢٠١٠ ..
إنه الوقت الذي يكتب فيه الشتاء وصيته الأخيرة قبل أن يموت وينظر في غيظ وحسد إلى الربيع .. ذلك المولود الجديد الذي يستعد أن يأتي إلى العالم.
على تلك المقاعد المتراصة بطول الكورنيش كنت جالسًا باستمتاع أفكر في كل شيء تتخيله .. بدْءًا من الغوص في أعماق المحيط إلى اكتشاف الفضاء .. كنت منعزلًا فعليًا عن كل من حولي .. إنها من اللحظات المحببة إلى نفسي .. حينما أجلس وحيدًا في مكان هادئ .. أراقب الشوارع شبه الخالية .. والجو الحزين .. وتلك السماء الرمادية التي تغطي صفحة السماء ومن خلفها يتألق القمر بدرًا في خجل .
كل شيء حولكَ تشعر أنه خامل .. صامت .. نائم في كسل .. إن النوم هو الوجه الآخر لعملة الشتاء .. إنه الشيء الوحيد الذي يعطينا الأمان والدفء حيث في الخارج البرد والظلام .. لهذا أحسد الدببة القطبية لقدرتها الفائقة على النوم طوال الشتاء بدون أن يزعجها كائن .
لكن مع كائن ليلي مثلي .. ينتعش في البرد والظلام ..
كنت أترك جسدي وكل خلية في أعماقي لتستمتع بكل الغموض المحيط حولي .. وأنا أراقب اللاشيء ..
لقد كنت صورة مجسدة لتمثال بوذا ولكن ممددًا ساقيه ..
هذا أنا باختصار في تلك اللحظة .. تمثال صامت خارجيًا لا يعتمل على وجهه أي شيء ولكن في أعماق أعماقي .. أشعر أن هناك مليون فكرة تتقافز في عقلي مثل الشياطين .. لا أستطيع اللحاق بها أبدًا .
من فوقي كان يطير طائر بسرعة كبيرة .. لا أدري هل هو وَطْواط أم بومة .. ؟ .

إن الليل والبرد والوحدة لجديرون بجعل هذه الكائنات تمرح في سعادة .. كم كنت أتمنى أن يكون لي جناحان لأرى العالم من منظور مختلف .. فقط لأشعر أنني حر .. غير مرتبط بأي قيود .. فقط لكي أشعر أنني أبتعد عن كل تلك الكائنات التي تمرح حولي في جنون .. أريد أن أترك الأرض بسلام .. وأذهب حيث تنعدم الأصوات تمامًا ..

أن تشعر أنكَ انعزلت حسيًّا ورُوحانيًّا عن كل من حولك لهو أمر عظيم.. لهذا كان يجد صدى في أعماقي ..

للمرة الألف أنظر في ساعتي وأنا أسب وألعن بانتظار الأحمقين الذين كانا من المفترض أن يكونا معي منذ ما يقرب من ساعة ولكنهما تأخرا كعادتهما .. لو كنت أعطيت ميعادًا لمومياء أمنمحات نفسه لاحترمت نفسها وتاريخها وجاءت حسب الميعاد المتفق عليه ..

كم تمنيت في تلك اللحظة أن أمتلك صواعق زيوس لكي أرسلها إليهما ..لأحرق أجسادهما عقابًا لهما على عدم احترام المواعيد .. في الحقيقة لو نظرت لنا من بعيد .. سوف ترى ألعن شِلَّة أصدقاء ممكن أن تتخيلها في حياتكَ .. باختصار كنا مجموعة من المخابيل والمعاتيه .. .. خُلقنا فقط ليتم وضعنا في أي متحف طبيعي لترانا الأجيال الحديثة ويلتقطوا بعض الصور على اعتبار أننا الحلقة المفقودة في التطور بين الإنسان والجحش ..

«أحمد « .. مجنون الكمبيوتر .. دائمًا يحمل معه قُرص البيانات (الهارد) الخاص به كعادته ..أعتقد أنه خرج من رحم أمه وهو يمسك هذا القُرص (الهارد) .. مع مرور الوقت هذا القُرص وجد وسيلة لعينة ليتحول ويصبح جزءًا من جسد أحمد نفسه .. وأعتقد أيضًا أن أحمد قد ترك وصية بأن يدفن هذا القُرص معه حينما يموت .. أما أحمد نفسه فهو يشبه أحد جنود ملحمة طروادة .. يبدو أنه يفكر جديًّا في أن يصنع سيفًا ودرعًا لتكتمل المهزلة .

«ميدو» .. ألف لعنة .. إنني لا أتحدث هنا عن علامة (ماركة) لبان .. إنني أتحدث هنا عن شخص له طول وعرض وارتفاع .. آسف له عرض فقط .. لأن

obeikandl.com

ميدو يذكرني برسالة التربيع والتدوير للجاحظ .. صحيح هو يؤمن أن كل شيء في هذه الحياة لا يؤخذ إلا بالفهلوة (احتيال).. أو عن طريق خداع الآخرين .. ودائمًا جملته الشهيرة .. «رقبتي « .. وهذا معناه أنه على استعداد أن يضحي برقبته من أجل مساعدة أي شخص أو إنجاز أي مهمة .. نسيت أن أخبركم أن ميدو لا يمتلك رقبة أصلًا .

وأخيرًا جاء الاثنان ..

وكعادتنا .. كانت هناك وصلة شنيعة من السباب والبصق على الوجوه والأصوات العالية لعدم احترام المواعيد .. انتهت الطقوس سريعًا ..لتبدأ ليلتنا ..كالمعتاد ..هناك في منطقة الزمالك .. وقفنا مثل الرعاع والمرتزقة ..نتكئ على إحدى السيارات الفارهة التي تناقضت بشدة مع ملابسنا .. نرى ونشاهد بقايا كائنات يطلق عليها اسم البشر .. كل واحد منهم يسعى نحو هدفه الخاص ..

كان الجو باردًا .. مظلمًا .. القمر نفسه يبدو أنه وجد وسيلة جُهَنَّميَّة ليخترق بها السحب الرمادية الكثيفة .. ليظهر أمامنا مكتملًا .. ساطعًا .. كبيرًا بحجم غريب ..

إنه ذلك الجو الغير قابل للوصف .. والجدير بأحد أفلام الرعب الشنيعة ..

الساعة قد اقتربت من الـ ١١ مساءً .. المدينة تبدو كعجوز غافية .. الشوارع شبه نائمة .. البشر متقوقعون في منازلهم يحتسون أي مشروب ساخن .. حتى لو كان كوبًا من الحمم البركانية .

في هذا العالم الكئيب .. هناك مَن نام ..

هناك مَن فضل الانتحار في فراشه ..

وهناك مَن لا يهتم أن ينفجر كوكب الأرض بكل ما فيه وما عليه في أقرب ثقب أسود مثل شِلَّتنا ..

في هذه الفترة اختزلنا الكون كله في كلمة واحدة تحمل اسم ..

« فريـــــــــــــــــــــدة «

منذ البداية وهي متفردة للغاية ..
شكلها ..
صوتها ..
أناقتها ..
لون بشرتها الناصع البياض ..
شعرها الدامِس بلون الليل في أقاصي الغابات ..
نظرات عينيها التي تحمل سر الشرق .. وغموض الأساطير .. وهيبة الموت ..
جسدها الممشوق بعناية .. المشدود دائمًا كقوس ..
نظرة الثقة والتعالي والصرامة والكبرياء التي تشع منها ..
لا أحد يعرف عنها أي شيء ..
لا أحد يعرف حتى عمرها ..
حالتها الاجتماعية ..
كنت أشعر أن هذه المرأة تستمد قوتها وسحرها من نظرات الآخرين ..
كل واحد فينا كان يعيش في أوهامه الخاصة وتخيلاته السوداء مع هذه المرأة .. وكم من مشاجرات حدثت بيننا نتيجة لتلك النظرات العابرة التي رمقتنا بها في لحظة ونحن نقف أمامها نلهث بألسنتنا كالكلاب الضالة ..
كنا حمقى .. وكنا في الحقيقة نستمتع بهذا للغاية ..
امرأه كهذه .. تحتاج إلى كتالوج خاصة توضح كيفية التعامل معها ..
إنها فريدة ..اسمًا وصفة ..
إنها فريدة .. رمز الأنوثة .. والرقة .. والسحر .. والتعالي .. والثقة ..والكبرياء ..والغموض ..على مر العصور ..
كنا نعتبرها لغزنا الكبير .. الذي حاولنا بكل الطرق والسبل اكتشافه ..لكننا فشلنا .. لو قالوا لنا أن عدد ضحايا عينيها تجاوز ضحايا الحرب العالمية الثانية ..لصدقنا هذا بمنتهى السهولة ..
كل شيء فيها يقول هذا ..

obeikandl.com

أعترف أننى بشكل شخصي أضعف للغاية أمام اسم «فريدة « .. لا أدري ما هو السبب الحقيقي ..لكنني أشعر أنه يجب أن تضع الحكومة قانونًا خاصًّا يحتم على أي أنثى ألا يكون اسمها فريدة إلا إذا كانت تستحق هذا الاسم فعليًّا ..

ولأننا رِعاع ..فقد كنا نتجول ونحوم .. كل يوم ليلًا في حي الزمالك أمام المحل الخاص بها .. نراقبها وهي جالسة خلف مكتبها الأسود الأنيق وبياض بشرتها الذي يتناقض بشدة مع لون ملابسها السوداء، دائمًا يصل إلينا إشعاعه عبر الناحية الأخرى من الطريق .

كانت متخصصة في التُّحَفِ .. لديها أنواع غريبة من أشياء كنت أشعر أنها انقرضت ولم يعد لها وجود في هذا العالم .. ، بل كنت أندهش للغاية كيف استطاعت الحصول عليها أصلًا .

نظرات عينيها تقول أنها خُلقت لتعيش وتعشق عالم الماضي ..

لهذا .. بالتحديد اليوم كنا نحن الثلاثة نرتجف كورقة في مهب إعصار ..بعد أن أخذنا قرارًا مجنونًا بأن نقتحم عالمها هذا ..

بأرجل ترتعش كأعواد المعكرونة المسلوقة .. اتجهنا إلى عَرِينها الخاص ..

ومع أول خطوة لنا داخل المحل .. شعرنا أننا انتقلنا بوسيلة سحرية مجنونة إلى الماضي بالمعنى الحرفي للكلمة

تلك الرائحة ..

الموسيقى المنبعثة من الجرامفون الأسطوري بجانبها ..

ملمس الأرض .. الديكورات .. كل شيء في المحل .. لا يمت لعالمنا بأدنى صلة ..

ومع أننا لم نَجْرُؤ على أن ننطق بحرف واحد .. وعيوننا تتظاهر بأنها تجوب كل المعروضات بدون أدنى تركيز..

إلا أن كل خلايا أجسادنا كانت معها ..

هي أيضًا كانت جالسة بكبرياء غريب .. تراقب بعينين نفاذتين ..الثلاث كلاب الواقفين أمامها وهم يلهثون من الانبهار .. وعيونها تقول ..

obeikandl.com

« أنا أعلم جيدًا .. لماذا أنتم هنا أيها الأوغاد الملاعين «
في تلك اللحظة أقسمنا جميعًا أننا سمعنا صوتها يتردد بقوة في عقولنا .. لأنظر إلى صديقي ميدو نظرة تحمل كل الذهول والخوف ..فوجدته هو الآخر ينظر بغباء منقطع النظير إلى أحمد والذي كان يحدق في شيء ما فاتحًا فاهه .. وكأن هناك من أقنعه بوظيفة صائد الذباب .
بطرف عيني لمحت فريدة .. تشعل سيجارة رفيعة ..لونها أحمر .. وتنفث دخانها بهدوء .. ومن خلفها تنطلق أغنية بلغة غريبة لم أسمعها في حياتي .. تملأ أرجاء المكان .
سيجارة لونها أحمر ؟!!
حتى الشيطان لا يدخن سجائر حمراء اللون .. إذن من أي مكان في الجحيم أتت بتلك السيجارة الملعونة ؟.
كنا أشبه بـ ٣ فئران .. حاولوا بسبب فضولهم أن يستكشفوا ويقتربوا من قطة مبهرة .. في لحظة عرفوا أنهم جميعًا وقعوا تحت تأثير مخالبها .. وسيتم التهامهم بلا أدنى رحمة .
لم يَجْرُؤ أحد فينا على الذهاب إليها .. أو محاولة فتح حديث عابر معها .. جمالها الكاسح .. وتأثيرها المرعب .. كان أقوى .. من إرادة ألسنتنا .
لهذا غادرنا بهدوء عالمها كما دخلناه ..
على نيل الزمالك مكاننا المقدس دائمًا .. جلسنا نلهث .. ليقول أحمد وهو يلتفت لي ويبصق في وجهي
- الله يخرب بيتك .. وبيت اللي يمشي ورا كلامك .. إحنا كنا هنتاكل جوه .
رددت تحيته وبصقت في وجهه أنا الآخر ، وأنا أقول له بحدَّة:
- نتاكل إيه يا بُرص ..!! .. هو إحنا كنا مع قبيلة زومبي !!
كان هذا فوق احتمال أعصاب ميدو ليقول هاتفًا:
- دي ألعن من الزومبي .. الست دي شيطانة .. ماشوفتوش السيجارة

اللي في إيديها !! .. أنا بقالي ١٠ سنين بشرب سجاير في الحمام .. عمري ماشوفت سيجارة لونها أحمر ..نفسي أعرف جابتها منين؟.

وبطريقتي المستفزة قلت له وأنا أشير له بيدي:

- ومروحتش سألتها ليه ؟!.

تراجع في ذُعر وهو يقول:

- أسأل مين ..!! .. وعهد الله لو كنت رحت سألتها ..أكيد كانت عملت فيا حاجة .. إنت ماشوفتش نظرات عينيها عاملة إزاى ؟.

ضربني أحمد بركَّلة وهو يقول بصوت مليء بالتوتر:

- إنتَ ساكت ليه كده ؟ .. مش إنتَ المخ بتاع الشِّلَّة .. ودي كانت فكرتك المهببة ؟ وبصراحة أعترف إننا جوز بقر لأننا سمعنا كلامك .

بغض النظر عن أن الركَّلة هذه قد أصابتني بالبواسير .. إلا أنني كنت أفكر بصوت عالٍ وأنا أرمق النيل أمامي:

- إحنا مننكرش إننا .. إحنا الثلاثة بنحبها .. صحيح إحنا بالنسبة ليها ولا حاجة ..بس ده مش مهم .. المهم دلوقتي إننا نفسنا نعرف سرها .. وبقالنا شهور بنراقب المحل بتاعها وطلع عنينا على ما عرفنا حتى اسمها .. وتاريخنا المهبب في الحياة إن مفيش أنثى قدرت تخلي شِلَّتنا يحصلها كده أو نتفق عليها جميعًا .. عارفين أنا بفكر في إيه نعمله ؟.

رفع ميدو يده إلى السماء وهو يقول :

- ربنا قادر ياخدك قبل ما تودينا كلنا في داهية بأفكارك دي

لم أعلق على جملته وأنا أنظر إلى السماء التي تشبعت بسحب كثيفة سوداء ليتوارى خلفها ضوء القمر

- إحنا لازم نعرف بيتها فين.

نظر إليَّ الاثنان بنظرات تحمل غباء وعدم فهم .. ولم ينطقا بحرف واحد لدقيقة وهما ينظران بعضهما لبعضٍ .. ليستفزني هذا وأنا أقول لهما صارخًا:

- محدش رد عليا ليه ..إيه رأيكم في الكلام ده؟.

obeikandl.com

قال ميدو:

- كلام إيه؟

ليخبط أحمد رأسي بيده وهو يقول باستنكار:

- إنت مكنتش بتتكلم .. إنت كنت بتنهق !.

وقفت بقدمي على حاجز الكورنيش وأنا أشير بيدي وكأنني زعيم قوميّ يخطب وسط شعبه

- ياجماعه أبوس إيديكم .. شغلوا شوية الجزم اللي جوه الجمجمة دي .. إحنا بقالنا قد إيه واقعين تحت تأثيرها ؟ وتعبانين؟ وعاوزين نعرف سرها؟ ارجعوا كده بالزمن .. لأول مرة شوفناها إحنا الثلاثة بالصدفة .. من ساعتها وحياتنا متلخبطة .. صحيح إحنا فشلة في كل حاجة بس مننكرش إننا بنسيب كل حاجة ورانا وننزل مخصوص علشان نشوف نظرات عينيها .. لازم نعترف يا جماعة إحنا باختصار واقعين تحت استحواذ فريدة .. وفعلًا إحنا أدمناها .. ومحدش يقولي لأ .. مفيش يوم بيعدي ونتحمل نقعد في بيوتنا غير أما نيجي هنا بالليل نشوفها علشان نفضل نبص عليها بالساعات .. وما صدقنا جتلنا الشجاعة إننا ندخل ونقرب منها النهاردة ..وعملنا إيه ؟ ولا حاجة !! .. دخلنا ومفيش بُرص فينا قدر يفتح بوقه وينطق بحرف واحد .. وإحنا عارفين دماغتنا كويس لما بيشغلها حاجة كل الدنيا بتقف وبنفضل نلف وندور حوالين الحاجة دي لحد ما نجيب أخرها إيه ..

جذبني ميدو من يدي وهو يقول مقاطعًا كلامي:

- أنا عارف في ليلتك المهببة دي لو فضلت تتكلم لبكرة مش هتخلص .. سيبك من كلام البرامج التعليمية ده وخلينا في المهم .. وهنتخيل إننا وافقنا على اقتراحك المجنون .. ممكن تقولي بعد ما هنعرف بيتها هنعمل إيه ؟ إيه الخطوة اللي بعد كده يعني ؟.

بحيرة رددت عليه وأنا أقول:

- معرفش فعلًا ..

قال أحمد بحدَّة:

- يعني عامل اجتماع في البرد ده وفي الأخر تقولي معرفش ..أمال مين اللي يعرف؟.

- لأنه فعلًا معرفش .. إحنا بنتعامل مع لُغز .. واحدة غيرت حياتنا وقلبتها رأسًا على عقب .. ومحدش فينا يقدر ينكر إنها أنثى تستحق .. اعتبروها مغامرة ..حاجة بنكسر بيها روتين حياتنا الممل الكئيب ده .. إنتوا مش فاكرين ألغاز المغامرين الخمسة اللي كنا بنقراها زمان .. كانوا بيشوفوا حاجة غريبة .. وواحدة واحدة بيعرفوا إنهم قدام لُغز .. حاجة كده تستحق تعبهم وبحثهم .. ومع الوقت بيسيبوا نفسهم للُغز ده لحد ما يبان نهايته إيه.

بدأ كلامي يأتي بمفعوله معهما .. ليقول ميدو محاولًا تصنع العبقرية :

- هنعرف بيتها إزاى يا عبقري زمانك .. إذا كانت بتطلع تاخد عربيتها وتنطلق .. أكيد يعني مش هنطلع نجري وراها !.

غمزت بعيني وأنا أقول بفخر:

- الحل بسيط يا بغل .. إحنا نتصرف ونجيب عَجَل من أي حتة أهو على الأقل تبقى وسيلة نعرف نتحرك بيها في أي مكان.

هتف الاثنان بدهشة:

- عَجَل !!!

- -أيوه عَجَل ..إيه ؟ .كلنا بنعرف نسوق عَجَل .. وبعدين كل ما كان الأمر بسيط وغير متوقع كل ما كان فعال .. وبعدين يا تيس منك له ..إحنا اللي بيحكمنا الفلوس ولا عاوزين حضراتكم نجري وراها بليموزين (بسيارة أُجرة) !!!.

وكعادة مناقشتنا ..

الكثير من السباب .. السخرية .. الصراخ ..الضرب ..البصق في الوجوه ..

في النهاية اقتنعنا ..

obeikandl.com

لنترك بعضنا بعضًا على أن نتقابل غدًا في نفس المكان والميعاد لنعرف سر فريدة؛

لينطلق كل منا إلى عُشَّة الفراخ التي يسكن فيها .. مشبعين بالكثير والكثير في عقولنا وأجسادنا المليئة بالتخيلات .

***

اليوم التالي .. الساعة ١٢ ليلًا .

نعرف طقوسها جيدًا ..

مثل سندريلا .. دائمًا ما تغادر عملها في منتصف الليل تمامًا .. دون دقيقة واحدة إضافية ..

وكعادتها كانت ترتدي الأسود .. طوال معرفتنا بها لم نراها سوى وهي تتوشَّح بهذا اللون فقط .. إنه اللون الوحيد الذي يلتصق بجسدها ..أعتقد أنه صديقها الصدوق .. ورمزها في هذا العالم ..، بل وعلامتها المميزة ..

كاللون الأحمر الدموي الذي تتزين به في أظافرها وشفتيها ..

كثلاث صقور متحفزة .. تستعد للانقضاض على فريسة .. وقفنا مستعدين على مسافة آمنة .. وعيوننا في حالة تركيز كامل على سيارتها السوداء الفاخرة .

أما ميدو فكان يجاهد بكرشه الشبيه بالخراتيت في موسم التزاوج ليحفظ توازنه .. نظرتُ إليه نظرة نارية وأنا أقول له استعد .. لننطلق وراء ملكة الغموض .

بأجسادنا المتباينة هذه .. كنا أشبه ونحن وراءها بتلك المطاردة في فيلم « E.T «.. في هذه المرة لم نكن نهرب من الشرطة ومعنا كائن فضائي .. بل كنا نهرب لنكتشف عالمًا آخرًا أنثويًّا .. نراه للمرة الأولى مع أن عقولنا الرخوة مشبعة حتى آخر خلية بكل أنواع الإناث التي من الممكن أن تتخيلها في حياتكَ .

إلا أن فريدة جاءت لتمحي كل هولاء الحمقاوات بمنتهى الشراسة من

obeikandl.com

عقولنا وتجلس لتتربع بمنتهى الكبرياء على عرش كل خلية في أجسادنا .
كان خلفي ميدو يصرخ وهو يوجه لها سبابًا بذيئًا طبعًا لم تسمعه وهي تنطلق بسيارتها ونحن وراءها

- الله يخرب بيتِك .. نفسي اتقطع .. إنتي ساكنة في كوكب تاني ولا إيه ؟.

ظللنا نطاردها ونحن بعيدون عنها بمسافة مُناسِبة .. حتى انحرفت سيارتها في شارع جانبي غير مَأْهول .. وأخيرًا وصلتْ إلى عَرِينها .. فعلًا هو عَرِين يستحق أنثى مثلها .. وجدير بها ..

فيلا صغيرة .. في منطقة هادئة للغاية .. ومع كل تلك الأشجار الكثيفة حولها .. وأوراق الشجر والحشائش التي تغطي أرضيتها .. تشعر أن الفيلا مهجورة منذ زمن سحيق .. لم يكن حولها أي من المباني في ذلك الشارع ..فقط الفيلا جاثمة وسط الظلام ككابوس فوق الأرض .. إنها أنثى بارعة تجيد للغاية ما تفعله في الحياة .. حتى أن أضواء أعمدة الإنارة كانت شاحبة كوجوهنا تمامًا .. لم نرَ حتى كلبًا ضالًا يمر بجانبنا .. كل شيء هادئ ..صامت للغاية ..بشكل مريب .. ومخيف.

بنفس الكبرياء غادرتْ سيارتها .. وهي تفتح البوابة الحديدية الصغيرة والتي أطلقت صريرًا مزعجًا قتل كل الصمت المهيب حولنا .. يبدو أن هذه البوابة لم يهتم بها أحد منذ عهد الديناصورات .

بخُطواتها الرشيقة للغاية .. الواثقة .. كنا نسمع صوت تحطم الأوراق الجافة تحت حذائها الأسود الأنيق للغاية ..

الأوراق الجافة تقدم لقدميها قُربانًا من أجسادها الرقيقة .. وهو من الأصوات التي أعشقها أنا شخصيًا ..

في النهاية .. التهمتها فيلتها الخاصة .. لتغيب بداخلها تمامًا ..

انتظرتُ دقائق .. ولكنني لم أرَ حتى من زجاج أي نافذة في الفيلا أي بصيص من الضوء .. وكان هذا فوق قدرتنا على الاحتمال .. ليقول ميدو وقد

ارتسمت على وجهه أعتى ملامح الرعب:

- هي الفيلا هتفضل كده مفيش أي كهرباء نهائي !!!؟..

نظرتُ له بعدم فَهم وأنا عاجز عن إيجاد أي تفسير .. في النهاية لكي يقتل أحمد بداخله كل هذا التوتر قال لي بعصبية:

- أدينا عرفنا البيت .. هنعمل إيه دلوقتي؟.

قلتُ له وأنا أتصنع العبقرية :

- فلنكتفي بالخُطوة دي النهاردة .. أهم حاجة نروح نرجع العَجَل دلوقتي ..أحسن الراجل يعلقنا من رجلينا على باب المحل.

نظر لي أحمد نظرة مليئة بالتَّوجُّس وهو يقول لي :

- والله أنا خايف من اللحظات اللي بنقعد فيها في بيوتنا وخُصوصًا إنت .. ساعتها عقلكَ بيطلع أفكار سودة في الأخر بتيجي فوق دماغنا كُلنا.

ألقيتُ نظرة أخرى على الفيلا الغارقة وسط الظلام .. لنترك كل هذا وننطلق كمطاريد الجبل ومن خلفنا تضاءلت الفيلا ..

لم نكن نعرف هل كنا نهرب من الخُطوة القادمة ..

أم نهرب من أنفسنا ؟ ..

***

طوال الليل كنت أتقلب في الفراش كالمصاب بالحمى ..أشعر أن الشياطين نفسها تحوم حول جسدي .. ترقص رقصاتها المجنونة .. وتطلق من جحيمها أفكارًا أكثر جنونًا ..لو كانت الأفكار التي تأتي إلى عقلي قادرة على أن تتحقق على أرض الواقع بنفس سهولة ميلادها في عقلي .. لكنت الآن أغنى رجل في المَجرة بأكملها .

أجمل شيء في حياة مِثل التي نحياها .. هو أنه لا أحد في شِلَّتنا متزوج أو يفكر حتى في الزواج .. مع عقول كئيبة مثلنا؛ فالزواج بالنسبة لنا يعتبر وسيلة عقابية في المقام الأول .. ويأتي في الاهتمامات بعد الكثير والكثير من الأشياء ..

إن الرجال دائمًا ما يحلمون بأبسط الأشياء .. ولديهم يقين بما سيفعلوه .. أو ما يخططون له .. الزمن لا يُغير أبدًا أفكارنا ومخططاتنا نحن معشر الرجال .. على عكس النساء .. عند كل مرحلة عمرية تجد أفكارًا مختلفة تتواكب مع ظروفهم النفسية ومتغيراتهم الحياتية.. اختار أي بنت وضَعْها تحت المِجْهر (المِكْروسكوب) .. راقب في صمتٍ .. وتوغل في أعماقها.. واستمع إلى صوت عقلها طوال فترات عمرها .، ستجد العجب العُجاب!.

فالبنات مثل الأزهار البرية.، في بداية تفتُّحها تجدها مليئة بالحيوية والأحلام الوردية، وتجد كل شيء في حياتها له رائحة التفاؤل .، وهكذا البداية دائمًا.، أحلام شبه مستحيلة من وجهة نظر من يفوقهن سِنًّا، ولكن من وجهة نظر أي فتاة صغيرة تعرف قيمة نفسها جيّدًا تجد أن من يستحقها لن يكون أقل من «توم كروز» أو «براد بيت» أو حتى «بيرس بروسنان» بطل شخصية «جيمس بوند».. ولأنها مازالت تعيش أحلام العذارى .، فهي تستحق سيارة فيراري.، ولأنها كرهت شقة أبيها الضيقة.، فهي إذا من حقها أن تسكن في فيلا ستعيش فيها إلى الأبد، بعد أن تغادر تلك القاعة الفخمة التي شهدت ليلة زفافها في ذلك الفندق صاحب الـ ٧ نجوم!.

دعوها تحلُم وتعيش الخيال.. الزمن كفيل بجعل تلك الأحلام تتحول إلى زئبق لن يلبث في عقلها طويلًا.. وسيأتي يوم يبدأ جهازها الدفاعي المخفي بمهارة تُحسد عليها في تلافِيف مخها في معرفة أنها كانت أكبر حمقاء .، وهنا سيأتي آلِيّة (ميكانيزم) الدفاع داخل أي أنثى حتى لو كانت أنثى كائن السلمندر (حيوان برمائي) في تقديم التنازلات لكي تتواءم مع تلك الحياة.. ستجد أن توم كروز تحوَّل بمعجزة إلى كائن يحمل صفة رجل وهذا هو المهم .، وتحولت السيارة الفيرارى إلى سيارة مصرية الصُّنع.، ونظرًا لتطبيق نظرية الانكِماش، فقد انكمشت الفيلا إلى شقة تمليك.. يبدو أن مرحلة تطاير الزئبق تعمل بكفاءة ولكن للأسف الشديد الحياة قاسية.. حتى في الأساطير الإغريقية، كان «خرونوس» إله الزمن من أقسى آلهة الأوليمب..

وكأن من صنع تلك الأسطورة شعر أن الزمن قاسٍ ولا يرحم.. ليت الحقيقة تقف عند هذا الحد مع مرور الزمن، وضحكة السخرية التي نسمعها من خرونوس نفسه، نجد أن كَمِّيَّات أخرى من الزئبق تتطاير ومعها تتطاير الأحلام من العقول ويكون هناك تنازلات.. طالما أن الفتاة مازالت ملتصقة في خيوط عنكبوت منزلها بلا زواج.. السيارة المصرية الصنع تتحول بمعجزة إلى وسيلة مواصلات عامة أو حتى مترو الأنفاق. ، والشقة التمليك تحولت إلى شقة إسكان شعبي فوق متوسط من حجرتين، ولكن «خرونوس» يريد المزيد من التنازلات لكي تتزوج الفتاة.. إنها الآن تعدت حاجز الثلاثين بمراحل وهذه كارثة الكوارث لأي فتاة.. توم كروز يعاد تشكيل هيئته إلى بَسْطويسي العجلاتي أو مِخيمر السّبَّاك، هنا لا يوجد وقت للحب.. المهمة الرئيسية هي الزواج فقط.. لهذا هي ترفع شعار (ظِل راجل ولا ظِل حيطة).. وليلة الزفاف ستكون فوق السطوح أو يتم إلغاؤها كُلِّيًا.. وشهر العسل سيتحوَّل إلى نزهة على كوبري قصر النيل مع التهام كم هائل من الترمس والذُّرة المشوي.. إن البنات ترفع شعار»عاوزة أتجوز».. الآن خرونوس ينام بهدوء وقد أرضى ضميره.. وعلى وجهه القاسي ارتسمت ابتسامة رضا.. الآن فقط وافق على هذه التنازلات بعد أن امتص بنابيه الحادين كل أحلام وطموحات الفتاة من جسدها حتى آخر قطرة .

هذه ميزة أن تكون رجلًا.. أنا لست مطالبًا بتقديم أي تنازلات، وأكيد طبعا لن أغير اسمي إلى بَسْطويسي أو مِخيمر!.

اللعنة على عقلي وتلك العادة السخيفة في أن أهيم به فى كل شؤون الحياة .. فلتذهب الحياة نفسها إلى الجحيم يجب على عقلي أن يركز كل أفكاره في شيء واحد فقط ..

الخُطوة القادمة .. مع فريدة .

لقد دخلنا بأقدامنا عالمها وانزلقنا فيه حتى النخاع ولم تعد هناك فُرصة في التراجع .. لماذا أشعر وأنا نائم مثل المومياء في حجرتي بطيفها يحوم حولي ..

أشعر بها ..بجسدها .. كنت أثق أن طيفها هو الآخر يحوم حول أصدقائي في غُرفهم المظلمة ..أنا أعرف عقولهم جيدًا .. أصبحنا جميعًا نعيش على نفس الموجة الروحانية القوية .. وبما أنني أشعر بهذا فهُم أيضًا يشعرون بهذا .. كان عقلي المريض يرسم لها ألف صورة الآن .. وأنا أحاول أن أتخيلها بملابسها الخاصة .. وهي نائمة .. كيف هي في مملكتها ؟ .. إذا كانت فريدة قد سحقت كل دفاعاتنا الجسدية وهي بالخارج فماذا سيكون حالنا ونحن مجموعة من المعاتيه إذا رأيناها وهي نائمة شبه عارية في منزلها .

لو كنتُ أمتلك فقط وسيلة سحرية لأكون مَخْفيًّا لكنتُ اقتحمت منزلها الآن بدون تردد وتوغلت في كل ركن فيه ورأيت عن قرب كيف تحيا وتعيش وكيف هي طقوسها الخاصة اليومية .

ويبدو أن تلك الفكرة الخيالية للغاية قد وجدتْ صدى عميقًا في أعماقي .. سريعًا استسلم عقلي للفكرة واقتنع بها ..

أنا أعرف نفسي جيدًا في البداية تكون مجرد بذرة لفكرة مجنونة .. مع الوقت تكبر البذرة وتتحول إلى شجرة ذات أغصان وأوارق كثيفة تنتشر داخل كل تلافِيف عقلي

وقبل أن أغمض عيني وأستسلم للنوم .. كان أمام عيني سؤال واحد يتردد بقوة كقرع ألف جرس ضخم ..

سؤال واحد فقط لا غير ..

كيف يمكن الدخول إلى فيلا .. فريدة ؟ .

***

- إنت أكيد مجنون ومش طبيعي .. وهتودينا كُلنا في ستين داهية .

نطقها ميدو بغضب شديد وهو لا يصدق أذناه حينما أخبرتهم بأنني عازم على إيجاد وسيلة لمعرفة سر فريدة عن طريق الدخول إلى منزلها المريب هذا .

أما أحمد فكان جالسًا يرمقني بنظراتٍ كالرصاص قادرة على تحول جسدي

obeikandl.com

إلى مِصفاة، هو الآن أصبح لديه يقين بأنني شخص مخبول ويجب الخلاص منه في أسرع وقت ممكن .

لهذا رددتُّ عليهم بصوت هادئ للغاية غير عابئ بكل ما بداخلهم من أفكار سوداء ناحيتي:

- بصراحة أنا عارف إن فكرتي مستحيل تنفيذها وأي حد عاقل هيسمعها هيعرف إننا أخرنا السجن إن شاء الله .. بس فعلًا .. أنا حاسس إني مش طبيعي فيه حاجة مسيطرة عليا .. مش قادر أشيل الموضوع من دماغي .. فيه حاجة أقوى مني بتحركني ناحية فريدة .. شبه مبقتش أنام .. وحتى لو نمت بلاقيها في أحلامي أو حتى كوابيسي مش دا المهم .. المهم إن طيفها حتى مش سايبني في حالي .. بقيت حاسس بجد إن كل حاجة فيا وقفت عندها وعند حدود عالمها .. وأكيد إنتم زيي بالظبط .. بصراحة بما إننا بنتعامل على إننا جسد واحد فكان لازم أعرفكم .. أنا مش هطالب حد فيكم يجي معايا .. أنا عارف إنها خُطوة صعبة ومحدش ضامن فينا لو اتمسكنا أهالينا هيعملوا فينا إيه ..بس أكيد أقل واحد فينا أبوه هيقطعه ويفرمه ويعبيه في أكياس بلاستك ويرميه للكلاب في السجن .. لكن بصراحة كل ده مش مهم .. بالذوق بالعافية ..أنا هروح الفيلا .. لازم أعرف فريدة وأشوفها عن قرب ..علشان دماغي ترتاح .. أنا معترف قدامكم إن مفيش في دماغي خُطة معينة للدخول .. غير إني هدخل الفيلا بالليل أقعد فيها شوية وأمشي قبل الساعه ١٢ ..يعني هبقى في الفيلا في الوقت اللي هي فيه في المحل بتاعها .

كان أحمد وميدو ينظران لي ويستمعان باهتمام ويبدو أن طريقة حديثي الهادئة قد جاءت بمفعولها في أعماقهم .. إلا أن ميدو هز رأسه بقوة كفرس نهر في معركة:

- بس دا ميمنعش إن بجد مُخك ضرب على الآخر.

ضحكتُ بقوة وأنا أنحني أمامه بطريقة مسرحية فيها الكثير من السُّخرية

obeikandi.com

على نفسي:

- مش مهم يضرب يا ميدو .. المهم عندي ارتاح .. ثم أنتوا ناسيين يا جوز بقر إننا كلنا سمعنا صوتها في المحل من غير حتى ماتحرك لسانها .. محدش فيكم سأل نفسه إزاى هي كده ؟ .. وبعدين إحنا عندنا إيه نخاف منه .؟ .. طول عمرنا فشلة .. وعقولنا في نظر الجميع إننا شُوية مخابيل .. حتى كل اهتماماتنا إننا عندنا إدمان لكل حاجة مجهولة وغريبة .. ولما الفُرصة تيجي لحد عندنا حضراتكم معترضين .. أوك خلاص خليكم كده .. إنما أنا لا ..على الأقل هجرب وهعرف ومش مهم النتيجة .. إنما إنتم هتفضلوا طول الوقت في القلق ده والفضول هيحرق كل حتة فيكم .. وعلى فكرة أنا لو رحت لوحدى ودخلت الفيلا وشوفت فيها إيه مش هحكي حاجة نهائي .. اللي عاوز يعرف يجي معايا واللي مش عاوز هو حر يتحمل بقى نتيجة خوفه .

نظر أحمد إلى ميدو ..نظرة ذات معنى وهو يقول لي:

- مش عارف أسلوبك بيفكرني بفيلم العار وهو بيقنعهم إنهم يشتركوا معاه في عملية تهريب المُخدرات ..

ضحكتُ من التشبيه وأنا أقول له:

- بس المرة دي محدش فيكم يقلق فيلا فريدة مش في الملاحات .. إحنا هندخل ونخرج من غير حاجة أو مشكلة وبعدين داكفاية المنطقة اللي فيها الفيلا ..لو جيش هتلر دخل هناك محدش هيحس بيه أو يشوفه أصلًا ..معرفش إنتوا خايفين من إيه ..؟.

وضعت يدي على كتف ميدو وأنا أقول له بخُبث:

- بذمتك يا عِجْل الـبِرك ..منفسكش تفتح دولابها وتشوف كل هدومها ؟.

بصوت مُتلعثم وكأنني لمست وتر الحقيقة داخله، قال ميدو:

- مأ .. مأ .. مأ.

obeikandl.com

- إنتَ هتفضل تمأمأ كده كتير يا خروف .. ماتقول أه ولا لأ ؟.
- أه طبعًا نفسي.

قلتُ بصوت مليء بالحماس:

- وكلنا طبعًا نفسنا نشوف ده .. صحيح إحنا شُوية جرابيع وعيال صِيَّع ..بس في النهاية عقولنا زي اللوز.

.. أعلن القدر فوز الفضول في المعركة على المنطق والعقل .. ويُوافِقان على اقتحام فيلا فريدة ..

لتنطلق الضحكات والصراخات عاليًا وأنا أقول لهما:

- أيوه كده ياشُوية كلاب ..طول عمرنا مع بعض في كل حاجة .. المهم شغلوا بقى دماغكم ..هنفتح الباب إزاي ؟.

جلسنا نفكِّر نحن الثلاثة .. كانت نظراتنا ووجوهنا أشبه بذلك الجزء من مسرحية «العيال كبرت» وهم يفكرون ويحاولون أن يعرفوا من هي المرأة التي سيهرب معها والدهم ..

أفكار كثيرة قيلتْ .. ولكنها كانت فاشلة تمامًا ..

في النهاية قال أحمد وعيناه تلمعان:

- بس خلاص .. مفيش غير واحد بس هو اللي هيفيدنا في الموضوع ده .

بصوت قوي مليء بالفضول نطقنا أنا وميدو:

- مين؟.

ليقول أحمد بثقة هائلة:

- جمال .

***

العالم السُّفْلي في القاهرة ..

له مداخل كثيرة للغاية .. وأبواب لا تعد ولا تحصى .. لكن في النهاية كان هناك شخص واحد يمتلك مِفتاحًا ذهبيًّا لفتح كل تلك الأبواب ..

obeikandl.com

إنه جمال ..
في الحقيقة لا أعرف اسمه كاملًا .. ولا يهمني أن أعرف .. بمعنى أدق كنت لا أجرؤ أن أسأل عن لقبه ..
هناك نوعيات من البشر تعتبر أن التدخل في شؤون حياتها هو مجرد جواز سفرك إلى الموت .. لهذا كنت أحترم نفسي وأتعامل معه من منطلق الهيبة ولا شيء آخر غير هذا ..
كان جمال يَعْتبر أحمد هو صديقه الصدوق والنقي وسط كل هؤلاء الذئاب الذين يُحوطونه.. حينما يصبح كل معارفكَ وأصدقائكَ مجرد مجموعة من الأوغاد والسفاحين والقتلة والنشَّالين وقُطَّاع الطرق والبلطجية .. بتلك الغريزة أو الفطرة الطبيعية بداخلكَ تتوَّق روحكَ لوجود شخص نقي يبدد بعضًا من السواد المرعب الذي تعيش فيه .. شخص قادر على أن يلمس بداخلكَ الشيء الذي لم يرَه أي أحد من قبل ..
وهذا ما وجده جمال في صديقي أحمد ..
وطبعًا بخبرته في عوالم الشر كان بالنسبة له مجرد فتح باب فيلا شيئًا أشبه بلعب الأطفال ..لكن بالنسبة لنا كان الأمر يفوق في صعوبته اقتحام قلعة الذهب في أمريكا .. كنا نحتاج نحن الحمقى الثلاثة إلى جيمس بوند .. وها هو القدر يرسل لنا جيمس بوند المصري .. مع بعض التعديل في الهيئة !.
لهذا أخذنا قرارنا والذي لا يوجد سواه أن نذهب إليه في تلك المنطقة اللعينة والتي أعتقد أنها شهدتْ في الماضي حربًا شرسة بين الديناصورات والإنسان البدائي ..
هنا أنتَ نكرة بدون عضلات وقاموس هائل من الشتائم وتعامل سلِس مع كل الأسلحة البيضاء ..
لا يهم كم أنتَ أنيقًا .. محترمًا .. متعلمًا .. كل هذا لا يهم .. فسيتم سحقه سحقًا مع أول ضربة قلم على وجهكَ ..
لهذا كنا جالسين نرتجف كمجموعة ضعيفة من الكتاكيت تواجه ثعبان

الأناكوندا .. ونحن نرى كل تلك الوجوه البشعة التي تَحُوط بنا وترمقنا في شراسة .. لهذا خرج صوتي مرتعشًا وأنا أقول لرجل لا يختلف كثيرًا عن الخراتيت في هيئته ما عدا عدم وجود قرن في وجهه ..:

- هو جمال فين؟.

كان رد الرجل بليغًا للغاية وهو يسألنا بصوته الأجش والذي تحول إلى كارثة بفعل تدخينه للحشيش على مدار سنوات حياته:

- عاوزه في إيه ؟.

ابتلعتُ ريقي بصعوبة وأنا أقول له:

- هو بصراحة موضوع خاص بيني وبينه ؟.

- ياض مفيش حاجة اسمها موضوع خاص ..قول ياض عاوزه في إيه بدل ما أجيب كِرشك قدام عنيك ؟.

كنا نستعد لوصلة طويلة من السباب والاستعداد لتعليق أجسادنا كالذبيحة على الحوائط .. حتى جاءنا صوت قويّ للغاية .. يصرخ في الرجل وهو يناول أقرب شخص إليه بقبضته القوية الحديدة .. وهو يقول لهم :

- دول ضيوفي يا ولاد الكلب .. حد يعامل ضيوفه كده ؟ .

كان الرجال يهمهمون بعبارات كثيرة متداخلة وهم يفسحون له الطريق، وفي مملكته جلس مهيبًا للغاية .. وهو يرحب بنا خُصوصًا أحمد .. :

- تشربوا إيه ؟.

قال ميدو وعلى وجهه ابتسامة بلهاء:

- لا شكرًا يا معلم .. إحنا بس عارفين إنك قد إيه مشغول مع الرجالة بتوعك ..علشان كده إحنا كنا عاوزين منك خدمة صغيرة .

سريعًا رد عليه جمال :

- تحت أمركم يا رجالة .. عاوزين إيه ؟ .. حشيش ؟ ولا بانجو ؟.

التفتُّ حولي في ذُعر وأنا أصرخ:

- يا نهار إسود ..حشيش إيه يا عم وبانجو إيه .. إنت هتجيبلنا

obeikandl.com

مصيبة يا جمال .. إحنا جايين عاوزين منك نصيحة مش أكتر .
ضحك جمال بشدة وهو يبصق في الأرض بقوة :
- نصيحة !! .. أنا طول حياتي محدش طلب مني نصيحة .. كل اللي بيجيلي هنا بيبقى عاوز خدمة .. أو طمعان في حاجة عندي بصراحة، إنتم أول ثلاثة أشوفهم جايين عاوزين حاجة جديدة خالص .. المهم إيه بقى النصيحة ؟.
نظرتُ إلى صديقي أحمد بما أنه الأقرب إلى قلبه ليستلم هو دفة الحديث ..فقال أحمد :
- إحنا بس عاوزين نعرف لو فيه باب مقفول نفتحه إزاي ؟ .
- باب إيه بالظبط ؟ ماهو فيه نوعيات كتير وكل باب وله طريقة؟.
ليغمز جمال بعينيه وهو ينظر في عيوننا بصرامة:
- طب ما تقولوا كده إنكم ناويين تسرقوا .. أنا ممكن أبعت معاكم واحد وليا نسبة من المبلغ طبعًا إيه رأيكم ؟.
سريعًا قلتُ لجمال:
- لا يا جمال إحنا مش ناويين نسرق، هو بس الموضوع التبس عليك ..بص بصراحة إحنا عاوزين نفتح باب فيلا ندخل بس نتفرج على اللي فيها، بس مش عارفين نفتحها إزاي ؟.
- تتفرجوا !!!.
نطقها جمال بدهشة شديدة .. لأقول له:
- أه نتفرج ..إحنا ملناش في السرقة ولا الكلام ده .. فياريت لو فيه أي حاجة من الحاجات اللي بتستعملوها تعرفنا بس إزاي نستخدمها وإحنا هنقوم بالواجب ..واللي تطلبه طبعًا.
- إنت بتشتمني ولا إيه ..أنا مع أصحاب زيكم ماخدش فلوس نهائي .. دي هدية بسيطة ..صحيح أنا مش فاهم أي حاجة من اللي بتقولوها ولا عارف فيلا إيه ..بس احترامًا لأحمد وإنكم نورتوني النهاردة ..مش هسألكم

في التفاصيل وهجيبلكم حاجة كده بعتبرها من أسلحتي السرية بس مش خسارة فيكم ..بس بقولكم إيه تحلفولي على المصحف إنكم تخلصوا العملية وترجعولي الحاجة تاني ..

رد ميدو بثقة:

- رقبتي يا جمال.

- ياعم بقولك احلف ..تقولي رقبتي .. وبعدين هي فين رقبتك دي ؟.

رفعتُ يدي في الهواء وكأنني في محكمة أمريكية وأنا أقول بصوت مرتفع:

- نقسم على المصحف إنا هنخلص ونجيبلك الحاجة تاني .. وسرك في بير يا معلم .

أومأ برأسه موافقًا ..لينادي بصوت مرتفع على أحد رجاله ..ليهمس في أذنه ببضع كلمات ..فيذهب الرجل ويأتي ومعه عُلبة صغيرة جِدًّا وضعها في يد جمال ..لنلتف حول جمال في فضول شديد وهو يفتح لنا العُلبة ويقول :

- بص يا ابني إنتَ وهو ..شايفين الحاجتين دول .. هتدخلهم في أى قفل أو أي كالون باب عكس بعض .. وتلف الاتنين عكس عقارب الساعة .. هتلاقي أجدعها قفل داب في إيدك زي حتة الملبن بالصلاة على النبي.

- بالسهولة دي !!!.

- أُمال إنتَ فاكر إيه .. إحنا عملنا الحاجتين دول بمواصفات خاصة أوى علشان تِعشَّق داخل أى سِنَّة في أي قفل خلقه ربنا .. المهم بس تكون إيدك خفيفة وحساسة وإنتَ بتلفهم ..

أخذتُ منه العُلبة بحرص وكأنني أحتوي كنوز الملك سليمان نفسه .. لنشكره وننصرف سريعًا من هذا المكان المَوْبوء ..ليهمس في أذني ميدو وهو يقول متضرعًا:

- مش كنا خدنا منه سجاير الحشيش والبانجو .. أَهُم كانوا نفعونا في وقت زنقة .

قلتُ له وأنا أجُزُّ على أسناني بغضب:

obeikandl.com

- وعهد الله لو مابلعتش لسانك .. لأكون رايح قايله إنك ياض شغال مُخبر وأخليهم يِعلَّقوك من رجليك زي أي عِجْل في السلخانة .
- خلاص ياعم دي كانت مجرد فكرة.
- هو إنتَ أصلًا عندك مُخ علشان يبقى عندك أفكار .

ليضربنا أحمد بقدمه بقوة وهو يقول لنا:

- ما تبطلوا خناق بقى ..مفيش دقيقة بتعدي علينا إلا لما ألاقي صوتكم في وداني ارحموني بقى.

أخيرًا خرجنا من تلك المنطقة السوداوية ..كنا جائعين جِدًّا ..يبدو أن التوتر والقلق قد جعل أجسادنا تهضم كل ما فيها .. في منطقة وسط البلد جلسنا على الرصيف نلتهم أي شيء قادرًا على إسكات كل الكلاب المسعورة التي تصرخ في أمعائنا الخالية .

لنختم كل هذا بعصير قصب طازج مع برودة الجو ..بعد هذا كنا قادرين على أن نتحدث ونحن نشعر بأن كل شيء على مايرام ..

اتفقنا على أن نتقابل غدًا ليلًا .. ونحن نرتدي الثياب السوداء وكأننا عصابة محترفة .. لتبدأ بعد ذلك مرحلة دخول عالم فريدة ..وكشف أسرار هذه الأنثى الغامضة .

***

افترقنا؛ كل منا ذهب إلى طريقه .. ولكن كانت تجمعنا أرضًا واحدة ..

في جيبي الآن توجد العُلبة التي تحتوي المِفتاح الذهبي لدخول عالم فريدة .. لم يعد بيني وبينها سوى ساعات .. الحواجز انتهت ..فقط هو الزمن الذي يفصلني عنها ..

صحيح كنتُ خائفًا ومتوترًا من تلك الخُطوة .. إلا أنني كنت خالي البال.. هو ذلك الشعور المتداخل من المغامرة والدخول في عالم مجهول لأول مرة .. كنتُ أُدندن كعادتي ..كلما أشعر أنني خالي البال وهذا أمر أعتبره نادرًا في هذه الحياة ..

« نور الفتارين انطفى.. والزحمة صوتها اختفى
قرّبتي مني يا مدينتي.. وعدتي من تاني حبيبتي
ودوبنا في لحظة صفا
الشارع اللي من الظهر كان.. في وشي بيقفل ببان
من بعد نُص الليل همس.. وقالي لو نلقى الونس
في الزحمة هنلاقي مكان.. في البرد هنحس الدفا
يا خطوتي صوتك بريء.. بريء وبيحب الطريق
كأنه مولود اتولد .. وف قلبه فيه بنت وولد
وحلمهم عشان جريء.. الخوف في لمحة اختفى «

مع البرد وكل الهدوء والزحمة والأبواب المغلقة حولي .. كنت أسترجع صوت المطربة «منى عبد الغني»ليشدو في أذني صوتها الرقيق الملائكي الحساس وأنا أسترجعه من ذكرياتي الماضية .. وأسمعه بأعماقي ..صوتها الذي يهمس بداخلي ويلعب بحرفية على أوتاري الخاصة .. صوتها الذي يوصف ما فيه، ويرسم صورة للواقع حولي فِعليًّا ..

الآن علينا أن نستعد للغد ..

هي تلك اللحظات التي تشعر أنك مُقْبل على مرحلة ستنقلكَ إلى جهة أخرى في عالم أنتَ لا تعرف عنه أي شيء.

***

ثلاث أجساد متباينة الطول والعرض تتوشَّح بالسواد .. وتنطلق في شوارع الزمالك الهادئة الضيقة نحو هدف واحد فقط ..

فيلا فريدة ..

صحيح كانت أجسادنا تمتلئ برعْشة القلق والتوتر .. إلا أن الفضول كان الوقود الذي يعطينا الدفع لنفعل كل هذا.

أخيرًا لاحت لنا الفيلا كامنة كالموت وسط الظلام .. وتكفل البرد وذلك الضباب الخفيف الذي أصبح يطغى على كل شيء في تلك الليلة إلى جعل كل خلية في

obeikandl.com

أعماقنا ترقص من الرعب .. وعقولنا المليئة بهَذيان ترسم لنا أبشع التخيلات والصور عما ينتظرنا خلف كل باب مغلق في تلك الفيلا الغامضة .

ليقول ميدو وكل عضلة في جسده تهتز من الانفعال:

- مش المفروض كنا عرفنا أي حد هنكون فين بالظبط علشان لو حصلنا حاجة ينقذونا ؟.

ضربته على رأسه الأجوف وأنا أقول له بصوت هامس:

- بذمتك فيه حد عاقل رايح يقتحم فيلا يسيب خبر إنه هيعمل كده !! .. وحتى لو عملنا كده واتمسكنا تفتكر اللي إحنا بلغناه هيجي ينقذنا إزاي يعني ؟! .. فيه حاجات من الأصلح إنها تفضل سر بين أطرافها وبس ..مينفعش طرف غريب يدخل فيها .. لأنه أكيد هيبوظ كل حاجة وهو واقف بعيد بيراقب الموضوع بعنيه هو مش بعنينا إحنا .

أمسك أحمد ذراعي وهو يقول لي:

- أنا بقول نركن العَجَل هنا وبلاش ندخل بيه ونسيبه عند الفيلا ممكن يلفت النظر إن فيه حاجة مش مظبوطة بتحصل هناك .

أومأتُ برأسي موافقًا .. لنترك الـ ٣ درَّاجات المتهالكة خلف شجرة تقف بمفردها .. وحيدة ..عقيمة .. واستعدنا إلى أن نخطو بأوَّل خُطواتنا في ذلك الشارع الجانبي الهادئ جِدًّا كالقبور .. ليقول ميدو محاولًا تصنع بعض من العبقرية الزائفة:

- مش المفروض يا رجالة نربط العَجَل بدل ما حد يسرقه ؟.

قلتُ له بغباء أنا الآخر:

- عَجَل إيه اللي يتسرق يا بغل ؟! .. بالذمة العَجَل ده لو رميناه حتى وسط الشارع فيه أي حد عاقل هيفكر إنه يسرقه ..إنتَ مش شايف حالته عاملة إزاي ..أراهنك إن الهكسوس نفسهم كانوا راكبين نفس العَجَل من ٤٠٠٠ سنة .. سيبك من العَجَل وفضِّي دماغك من كل حاجة وخلينا نركز في الخطوة الأولى.

اتجهنا سريعًا ناحية باب الفيلا الصدِئ .. ومع إصداره لذلك الصرير المزعج ونحن نفتح البوابة الخارجية .. كان هذا إيذانًا بأن الفيلا تستعد لاستقبال بعض من الغرباء داخلها ..

٦ أقدام مختلفة تدهس كل أوراق الشجر الجافة التي تغطي أرض الحديقة .. لنعرف أننا الآن وصلنا إلى « نقطة اللاعودة « ..

من جيبي أخرجتُ تلك العُلبة التي تحوي تلك الأدوات الدقيقة التي ستفتح لنا باب مغارة علي بابا الخاص بفريدة ..

هنا لا يوجد افتح يا سمسم ..

هنا توجد أدوات ابتكرتها عقول شريرة بهدف اقتحام أي مكان في الكوكب .. من جيبه أخرج ميدو ثلاث قُفَّازات ارتدى كل منا في يديه قُفَّازًا .. كنا قد استعددنا لكل الاحتمالات ومن أولها أن يتم اكتشاف أن هناك من فتح الفيلا ..إذًا فعلينا أن لا نترك وراءنا أي بصمات .. وهذه المعلومة تعلمها أي جحش صغير يشاهد أفلام السينما حتى لو كانت من الدرجة الثالثة الهابطة ..

قال أحمد بصوت هادئ:

- مش نسمي الأول يا جدعان ونقرأ الفاتحة ..قبل ما ندخل ..

شعرتُ أنني أريد تحطيم جمجمته التي تحوي لسانه وأنا أقول له محاولًا التغلب على غضبي :

- عم الشيخ سيبك من جو النفحات الإيمانية ده ..إحنا مش داخلين نسرق بنك إسلامي .. وبعدين عمرك بذمتك شوفت أي حرامي قبل ما بيسرق بيسمي.

- ياعم أنا قولت علشان نطلع بالسلامة أهو برضه ربنا يستر علينا جوه.

لم أعلق على كلامه وأنا أمسك بيدي تلك الأشياء الدقيقة محاولًا أن أكتشف بنظري القاصر مكان المِفتاح مُهتديًا على الضوء الخافت للغاية الذي يصل إلينا ..صحيح كان معنا ثلاث كشافات إلا أننا لم نَجْرؤ أن نُضيء واحدًا منها

حتى لا نلْفتْ إلينا الأنظار .
في عقلي كنت أسترجع كل ما قاله جمال عن كيفية الاستخدام ..لأجْثو على رُكبتي بهدوء ويدي ترتجف من التوتر. فعلتُ كما قاله لي بالضبط .. ولكن لم يحدث أي شيء !!! .. لم نسمع حتى صوت تلك التكَّة الشهيرة كما يحدث في فتح الخِزن ..
حاولتُ مرارًا وتكرارًا ولكن كل محاولاتي باءت بالفشل .. وكان هذا يزيد من حرق أعصابي ..ليقول أحمد بنَفاد صبر:
- خليني أجرب أنا .
جلس مكاني وأخذ يحاول هو الآخر ولكنه فشل فشلًا ذريعًا .. لننظر بعضنا إلى بعض ونحن نرى كل ما تخيلناه وما خططنا له ينسحق ويذهب مع الرياح منذ أول لحظة .. اللعنة على ذلك الباب وذلك القفل .. كنت أقول بهمس محاولًا ألا يخرج صوتي عاليًا:
- يعني إيه كل حاجة باظت .. وفشلت خلاص !!!.
قال ميدو وهو يتلفت حوله في ذُعر:
- أنا بقول كفاية كده ونمشي بقى .. أدينا جربنا وفشلنا .. هنستنى إيه تاني.
كان أحمد موافقًا على كلام ميدو .. وأنا كنتُ واقفًا عاجزًا عن الرد أو عن إقناعهم بالمكوث مدة أطول.. كما أن عقلي قد تحول إلى قطعةٍ من الإسفَنْج أصبحت تمتص كل الخوف والتوتر والفشل المحيط بنا دون أن تقدم أي أفكار تخرجنا من هذا المأزق .
بصوت شبه باكٍ من الحسرة على ضياع الحُلم قلتُ لهم:
- معاكم حق إحنا لازم نمشي حالًا ..
أدرنا ظهورنا نحن الثلاثة إلى الباب واستعددنا لنخطو أول خُطوة للخروج ..حتى حدث أخر شيء توقعناه في تلك الليلة .. شيء جعل أجسادنا الثلاثة تقفز في الهواء مترين من المفاجأة بالضبط كما كان يحدث في الرسوم

المتحركة (كارتون) توم وجيرى ..
لتتوقف أقدامنا ..وأجسادنا ..، بل وحتى أصوات تنفسنا .. الشيء الوحيد الذي انطلق بشدة هو ضربات قلوبنا التي بلغت حدًّا غريبًا من القوة .. ونحن ننظر ببطء ورهْبة إلى باب الفيلا الذي فُتح بمفرده دون أن تمتد إليه أي يد..
في لحظة واحدة .. سمعنا كلنا تلك التكَّة المميزة .. ليُفتح الباب ببطء هو الآخر بذلك الصوت الشنيع المميز لكل الأبواب التي لم تُفتح منذ قرون وعقود طويلة ..
ارتجفنا في هلع وأجسادنا تلتصق بعضها ببعض .. وعيوننا تحاول أن تخترق ذلك الظلام الذي يشع من مدخل الفيلا ..
هل هذا هو الظلام البدائي .. قبل أن يوجد مفهوم الحياة ..؟!.
ليقول ميدو وقد شعر أنه سيفرغ معدته من فرط التوتر:
- أنا عاوز أمشي من هنا .. وعهد الله الفيلا دي مسكونة بالعفاريت .. يانهار إسود الباب فَتح لوحده .
لا أنكر أنني الآخر كنتُ أفكر في الهرب ..أن أجري ..أن أترك جسدي للرياح تفعل بي كما تشاء .. لأهرب من هذا الظلام .. فرق شاسع بين أن تفتح الباب بيدكَ .. وبين أن يفتح عن طريق شيء مجهول .. الآن أنتَ تشعر أنكَ مقبل بالمعنى الحرفي للكلمة على فخٍّ مُميت .. وبما أن عقولنا مشبعة طوال الوقت بأفلام الرعب الشنيعة..فأول شيء تبادر إلى ذهننا هو وجود قاتل متسلسل سيخرج علينا الآن وبيده منشار كهربائي ليقطع أجسادنا بمنتهى الشراسة .
كان ميدو قد بلغ حدًّا من البكاء غريبًا وجسده يرتجف محاولًا الفرار .. أما أحمد فكان هو الآخر ملتصقًا بي للغاية محاولًا أن يستمد بعضًا من القوة من جسدي النحيف المتهالك ..
وكان على أحدنا أن يأخذ قرارًا جريئًا ليتبعه الآخرون في لحظة واحدة ..
هل نهرب ونترك كل هذا خلف ظهورنا ؟ ... أم نقتحم الفيلا من الداخل

وسط ظلام القبور هذا ونستعد لأي شيء شيطاني ؟.
في لحظة تعدَّتْ سرعة الضَّوء ..وجدت أعماقي تسترجع صوت فريدة في عقلي .. وصورتها .. وجسدها .. وجمالها
لأفعل أخر شيء كان الجميع يتوقعه مني ..
دخلت إلى عالم فريدة بمنتهى الثقة وأنا أنظر إليهم وأقول بسرعة:
- مالكم واقفين ليه ..مش دي الفرصة اللي إحنا عاوزينها ..مش هيفرق بقى جت عن طريقنا أو حتى عن طريق الشيطان نفسه..المهم إنها جت .. مش عاوزين نضيع فرصة زي دي.
يبدو أن كلامي كان محفزًا لهم ففي لحظة واحدة كان ميدو وأحمد قد قررا أن يلحقا بي ..
لندخل بسرعة كبيرة ونقتحم ذلك الظلام ..
إنها تلك اللحظة الفاصلة التي تشعر أن هناك مَن يُحرِّك كل هذا بغريزة الخوف والغموض.

***

هل انتقلنا إلى العالم الآخر ؟.
هل هذا هو الموت ؟.
هل تركنا خلف ظهورنا الحياة ؟.
تلك القشعريرة الثلجية التي أصابتنا جميعًا وجعلتْ كل جزء من أجسادنا ينتفض من إحساس البرد القارِس،
ومن خلف ظهورنا في تلك اللحظة .. كان الباب يغلق بسرعة الضَّوء بصوت قوي .. ليقضي على أخر فرصة لنا لو فكرنا حتى في التراجع..
حاولتُ بغريزة البقاء أن أحاول فتح الباب مرة أخرى لكن دون جدوى وكأني كنت أحاول أن أزحزح الجبل نفسه .. لم تكن هناك أدنى فرصة لإمكانية فتح الباب ..لقد دخلنا بإرادتنا إلى عالم فريدة .. وهو وحده ذلك العالم من سيقرر متى سنخرج بإرادة منه.

obeikandl.com

في الحقيقة كانت هذه المرة الأولى التي نرى فيها إضاءة مثل هذه ..هى ليست إضاءة بالمعنى المتعارف عليه وإنما كان هناك مئات الشرارات الكهربائية الصغيرة التي تنتشر في كل مكان داخل الفيلا .. شرارات لا تعرف مصدرها ..أو حتى كيف تولد، بل وكيف تنتهي !..كانت تتقافز في جميع الحوائط حتى السقف .. تشعر أنك انتقلت بمعجزة ما إلى مولد كهربائي هائل .. أحيانًا كانت تلمس أجسادنا تلك الشرارات لنشعر برعشة خفيفة .. صحيح كانت أقدامنا ترتعش .. وعقولنا شبه متوقفة .. وقلوبنا تستعد لتغادر أجسادنا من شدة الرعب مما يحدث حولنا

كنت أنا أول من استطاع لسانه التحرُّك ..لأقول بذهول:

- هو إحنا فين ؟ أنا حاسس إننا دخلنا سفينة فضائيَّة ؟.

لم يرد أو يعلق على جملتي أي شخص ..، بل وقفنا نرى كل هذا الظلام حولنا المشبع بتلك الكهرباء والتي إلى حد ما كانت تُظْهر بعضًا من تفاصيل المكان في لمحة خاطفة ..

أخرج أحمد من جيبه بعد أن تذكر أنه يحمل ٣ كشَّافات كهربائية ..ليحاول أن يبدد بها ذلك الظلام .. ومع أننا قمنا بتجربة تلك الكشَّافات مرات عديدة إلا أنها الآن تحولت إلى قطع من الخردة لم تطلق حتى شعاع ضوء واحدًا يَتيمًا ..

لنطلق جميعًا سبابًا قويًّا ونحن نلعن حظنا .. حاول ميدو أن يفتح باب الفيلا من الداخل ليهرب من ذلك المكان بعد أن وصلت أعصابه إلى درجة الانفلات القُصوى ..فلم ينجح هذا ..ظل الباب قويًّا ..صلبًا ..أمام عُيوننا التي بدأت إلى حد ما تتعود وتتقبل الظلام ..

بيدٍ مرتجفة كنت أتحسس الحوائط من حولي ..وجدت إحساسًا عجيبًا للغاية ..لم تكن حوائط مسطحة ملساء كما نعرفها جميعًا، بل شعرت أنها متعرجة للغاية ..ولها ملمس مقزز .. جعلني أتراجع في عنف وأنا أطلق صرخة مكتومة .. كان لها أبلغ الأثر في أن ينتقل رعبي الغير محدود إلى

أحمد وميدو .. وهما يسألاني برعب عما هناك ..فأخبرتهما أن يضعا أيديهما على الحائط .. وما كادا يفعلان ذلك ..حتى تراجعا وسحبا أيديهما بسرعة البرق من التقزُّز ..

جلسنا على أول شيء ارتطم بأجسادنا .. لم نجْرُؤ حتى أن نجلس على الأرض التي كان لها نفس ملمس الحوائط ..وأحذيتنا نشعر أنها تغوص ونحن نمشي فوق شيء رخو ..جعل كل أمعائنا تتقلص من الاشمئزاز .. وكأننا نمشي على جسد حي .. جسد عضوي .. اللعنة لم أستطع أن أتحمل هذا الإحساس .. لتعلن معدتي عن تذمرها بمنتهى القسوة ليبدأ شلال القيء في الخروج بقسوة من جسدي ..ليتبع هذا شلال آخر من ميدو وأحمد ..

كنت أصرخ بعنف .. محاولًا أن أفرغ أنفالي .. هي تلك اللحظة التي تشعر أن جسدك يتجه بقوة إلى عالم الموت .. هنا لا يهم أي شيء آخر .. لا يهم اكتشاف أمرنا ..أو حتى أن يتم اعتقالنا ... بل المهم أن نموت وندفن كما تعودنا أن نرى ..لا أن يتم التهامنا بهذا الشكل الشنيع ..

بأجساد متهالكة فقدت الكثير من السوائل .. ومع كل تلك الشرارات .. والظلام .. وكل الملمس الرخو الذي يحيط بنا ..

شعرنا بدون أن تتحرك ألسنتنا .. أننا نتجه سريعًا إلى عالم الموت الكئيب .

***

فجأة ..

أُضيء المكان بقوة كألف شمس صغيرة .. حتى أن أجسادنا ارتعشت من الضوء .. ولم تتحمل عيوننا الانتقال سريعًا من حالة الظلام الحالك إلى الضَّوء الساطع ..لنغمض أعيننا بقوة .. ونحن نطلق صرخات مكتومة توصف الكثير من الآلام المبرحة التي نشعر بها في حدقات عيوننا ..

الآن فقط عرفتُ كيف هو شعور مصاصي الدماء الذين تعودت أجسادهم على حياة الليل والظلام ..حينما يتعرضون إلى أشعة الشمس ..

دقيقة كاملة مرت علينا إلى أن شعرت أجسادنا بالمرونة في التعامل مع الضَّوء

لنفتح أعيننا ببطء ..ومعها كان كل ذهول العالم يولد داخلنا ..
هذا ليس منزل .. أو حتى فيلا ..، بل هذا متحف أسطوري ليس له مثيل حتى في أفلام الرعب الشنيعة ..
كل شيء مُتوشِّح بالسواد واللون الأحمر .. في تناغم غريب .. بخبرتي البسيطة عرفتُ أن هذا هو الطراز القوطي .. طراز لا يمكن أن تراه في العالم الحديث أبدًا .. كما أن الإضاءة نفسها تشعر أنها تشع من الجدران ذاتها ..وكأننا داخل أكبر مصباح كهربائي في الكون .. وإن كانت قد خفتت حدة الشرارات الكهربائية إلى أنها مازالت موجودة بنفس الكثافة بعد أن طغى عليها هذا ا الشنيع العجيب ..
قال أحمد بذهول وعيناه تجوب كل ركن:
- إحنا فين ؟ استحالة يكون ده بيت طبيعي أبدًا.
- معاك حق .. والله لو كان حد حكالي اللي بيحصل ده استحالة كنت هصدق.
ليقول ميدو مبهورًا:
- صحيح إحنا كنا هنموت من شوية ونروح كلنا في ستين داهية .. بس فعلًا الموضوع والمغامرة دي تستحق.
قلتُ وقد بدأ جسدي برعشاته يتقبل المكان سريعًا ..:
- معاك حق يا ميدو صحيح إحنا في مكان غريب ومحدش فينا فاهم أي حاجة في أي حاجة .. وعمرنا ماشوفنا اللي حوالينا ده ..ولا حتى في أفلام السينما .. بس المغامرة تستحق إننا نكتشفها لآخر لحظة ..
تغلبت على إحساسي الشنيع بملمس الأرضية الرخو ..لأقترب من النافذة وأنا أقول باهتمام:
- مش ملاحظين حاجة المفروض إننا مكشوفين كده لأي حد بره بما إن الفيلا منورة ..
كنت أتحسس الزجاج بيدي وعشرات الشرارات ترتطم بكف يدي مسببة

دغدغة بسيطة .. ليضيء عقلي بشيء ما وأنا أنادي عليهما ليتحسسا ذلك الزجاج مثلي، وأنا أقول لهما :

- دلوقتي فهمت ليه لما فريدة دخلت الفيلا مشوفناش أي ضوء خالص ..لسبب بسيط إن كل النوافذ دي ديكور مش أكتر .. من بره فعلًا إنت شايف زجاج لكن وراه طبقة من الأسمنت والحائط القوي وبعدين زجاج آخر ..فكده يبان الفيلا بها نوافذ سوداء ..مع إني واثق إننا لو واقفين بره دلوقتي هنلاقي الفيلا عبارة عن كيان إسود مفيهوش ضوء واحد لأن أصلًا مفيش منفذ يطلع أي ضوء ..يعني دلوقتي لو فيه أي كلب مر قُدام الفيلا هيشوفها سوداء على عكسنا إحنا .

قال أحمد بحيرة :

- أول مرة أشوف مبنى في الدنيا مفِهوش فتحات يدخل منها ضوء الشمس الطبيعي.. ولما الفيلا عبارة عن مبنى مُصمَتْ ومغلق على نفسه تمامًا ومفِهوش حتى مخرج واحد يَتيم لدخول الهواء ..فريدة عايشة إزاي ؟ .. وإزاي متحملة ده ؟ ..

قلتُ بلهجة القائد:

- الأول تعالوا نكتشف المكان .. دي فرصة ومش لازم نضيعها ..

وقفنا حائرين في بَهُو الفيلا الواسع .. من الخارج كنت أشعر أنها فيلا ضيقة لكن من الداخل شعرت أنني كنت أحمق .. بطريقة غريزية كنت أعيد وضع هاتفي المحمول في جيبي .. حتى جاء هاتف خفي في عقلي جعلني أنظر إلى شاشته ..وصدق توقعي .. لا توجد هنا شبكة .. وكان هذا هو الشيء المنطقي وسط عالم اللامنطق الذي نسبح فيه الآن .. حينما تكون محبوسًا وسجينًا وسط عالم من الأسمنت والحجارة الرخوة ولا يوجد منفذ واحد يدخل منه الهواء .. فطبيعي أن تفصل كل أجهزتنا المحمولة .. الآن انعزلنا فعليًّا عن كل ما يمت بصلة للعالم الخارجي .. ولو تم ذبحنا الآن فلن توجد وسيلة واحدة تمكننا من الاتصال بأي كائن مهما كان.

obeikandl.com

قررنا أن نبدأ القَبْو بعد هذا نستكشف الدوْر العُلوي .. اللعنة على كل تلك اللوحات التي تزين الحوائط ..لوحات رسمت كلها بأقلام الفحم الأسود .. هنا فقط يوجد عالم من الفنون يغوص في لونين فقط ..الأسود والأبيض .. لهذا كانت كل اللوحات شنيعة وكئيبة وقادرة على جعل كل الهَذيان يعود مرة أخرى إلى عقولنا ..

لوحات رسمها بشر أعتقد أنهم يحرقون الآن في نار جهنم .. أكيد .. النفس البشرية التي تخرج كل هذا السواد يجب أن يكون مصيرها جهنم ولا شيء سواه ..

أما في صدر بَهُو الفيلا كانت توجد صورة كبيرة الحجم لفريدة ..موضوعة وسط إطار أقل ما يقال عنه أنه إطار أسطوري بالمعنى الحرفي للكلمة .. جعل من صورتها وكأنها جسد حقيقي أمامنا سابحًا في الهواء يحدق فينا بعينين ساحرتين نفاذتين تراقب كل همسة في أعماقنا ..بعض المقاعد يبدو أنها تعود إلى فترةٍ من عصر النهضة الأوروبي ..؛ لذا تحمل ذوقًا رائعًا .. تلك المنضدة التي وضع عليها رُقعة شطرنج .. اتجهتُ لأمسك أول قطعة عشوائيًّا حتى صرخت وأنا أرميها من يدي .. أكاد أقسم إنني مَسكتُ بيدي كائنًا حيًّا من لحم ودم وليس مجرد لُعبة .. في الحقيقة لم أجرؤ على لمسه وإعادته مرة أخرى ..

أمام أعيننا كانت توجد تلك المِدفأة .. من نظرات عيوننا كنا نتساءل هل المدخنة الخاصة بها ستقودنا إلى الهروب والحرية إذا ما تعقدت الأمور وقررنا الهرب أم أنها ستقودنا مباشرة إلى الجحيم ؟.

ثم ماذا عن القَبْو ؟.

أكيد هناك قَبْو له مدخل سري مخبأ في مكان ما بعيد عن عيون المتطفلين .. قَبْو من المؤكَّدأننا سنجد به الكثير من الأعضاء الآدمية والجثث المتحللة وتلك الرائحة الكريهة للغاية ..

كنا في تلك اللحظة واقعين فعليًّا تحت سيطرة المكان .. لهذا أخذنا قرارًا ينم

عن مدى مرونة عقولنا ومدى تمتعنا بأكبر قدر من الحماقة والغباء .. قررنا أن نترك أجسادنا وأنفسنا إلى ذلك العالم المجهول حولنا .. ما حدث قد حدث .. إذًا دعونا نمرح بعض الوقت ..ولنجعل النهاية تخطها كائنات أخرى .

قال أحمد وهو يمسك يدي وقد لفتَ نظره شيء مُهم للغاية:

- الفيلا دى اتبنت إزاي ؟ .. بصوا كده مفيش أركان مستقيمة وحادة .. كل الأركان والحواف تحس إنها دائرية ..وعبارة عن قطعة واحدة .. بصوا حتى لشكل الحُجرات والممرات المتشعِّبة من بَهُو الفيلا .. تحس إنها متاهة .. وكلها بتنبع من نقطة مركزية واحدة .. حاسس إن الفيلا زي ما تكون كانت مَلْويَّة حول نفسها ألف مرة وتم فردها مرة أخرى .. بتلك التجاعيد الغريبة المنتشرة على الحائط .. !!! أنا عمري ماشوفت طوب وأسمنت ومواد بناء تدينا الحواف والتجاعيد دي !!.

قلتُ له وأنا أفكر وعيني تجوب تلك الحَواف الغريبة:

- معاك حق .. عارف أنا حاسس إن المكان ده محدش دخله غير فريدة بس .. أي حد دخل المكان كان المفروض هيطلع يوصف اللي شافه .. وساعتها كنت هتلاقي الدنيا كلها مقلوبة فوق دماغ صاحبة الفيلا ومليون سؤال عن سر المكان .. بس إزاي فعلًا محدش اهتم ؟ طب الكهرباء دي بتجيبها منين ؟ وإيه سر الشرارات المجنونة دي ؟ طب حتى مش بتدفع أي فواتير كهرباء !! .. الله يخرب بيتك يا فريدة .. إحنا ناقصين جنون.

كنا نتجه إلى المطبخ .. وعيوننا تلتهم كل شيء وتسجله في تلافيف عقولنا .. مثل أليس في بلاد العجائب .. وسط المطبخ الأنيق للغاية ..المرعب أيضًا للغاية ..لم نجد شيئًا يُذكر .. سوى ألوان الحوائط الكئيبة للغاية ..كل شيء كان طبيعيًّا ما عدا شيء واحد فقط لفتَ نظر صديقي ميدو الجائع دائمًا :

- فين الثلاجة ؟.

فعلًا لا توجد ثلاجة .. اللعنة ..كل هذه الفيلا ولا يوجد بها مكان واحد يصلح لتخزين الغذاء .. إذن فكيف تأكل فريدة أو أين تحتفظ بأكلها !!.

قال ميدو للمرة الثانية وهو يدور كالمسعور حول نفسه:

- فين الثلاجة ؟.

لغز آخر يضاف إلى عشرات الألغاز التي أصبحنا نلتقي بها في كل لحظة في الفيلا ..لم أجد أمامي سوى أن اقول بطريقة بلهاء:

- يمكن في الدور الثاني من الفيلا.

- بذمتك إنتَ شوفت فيلا في الدنيا أو حتى عُشَّة فراخ فيها مطبخ محترم وواسع زي ده .. تقوم صاحبة الفيلا تسيب المطبخ وتحط الثلاجة في أوضة النوم .. !! .. فريدة لو عملت كده يا إما مجنونة أو عبيطة وفي كل الأحوال دا ميدهاش الحق إنها لا تحتفظ بثلاجة في المطبخ.

نطقها ميدو وهو يكاد يشعر بالجنون من هذه الأنثى .. عند نهاية الممر .. وجدنا بابًا مُنحنيًا بشكل عجيب حول نفسه .. قلتُ لأحمد بصوت مرتعش:

- هو دا باب الحمام ولا إيه ؟ ماهو طالما جنب المطبخ يبقى أكيد دا باب الحمام .

قال أحمد وهو يتساءل في دهشة:

- طب وإنتَ خايف ليه كده ؟.

- خايف ليه !! .. أنا لازم أخاف أنا عندى استعداد أدخل أي مكان في الكون غير إني أدخل حمام فيلا زي دي . دا كل المصايب والكوارث بتحصل في الحمام ..وخصوصًا البانيو (حَوْض الاسْتِحْمام) والستارة اللعينة اللي أكيد أول ما تشدها هتلاقي جثه غرقانة في دمها وعنيها مفتوحة .. أو حتى تجرب تفتح الحنفيات هتلاقي الدم نازل .. أنا عارف أنا الحاجات دي .. مفيش مرة يدخل أي غريب الحمام إلا ويتقطع ودمه يسيح في البلاعة ..

قال ميدو وقد بدا كلامي يجعل شعر جسده يقف من الخوف لهذا خرج صوته مرتعشًا كالسِّحليَّة:

- أيوة يعني إنتَ عاوز إيه دلوقتي ؟ .. نمشي ومنفتحش الباب نهائي ولا نعمل إيه في ليلتك المهببة دي ؟.

أشاحتُ بيدي بقوة وأنا أقول لهما:

- مليش دعوة اللي عاوز يفتح الباب يفتحه ..أنا مش هدخل جوه الحمام إلا لما تعرفوني إن كل حاجة طبيعية ومفيش مصيبة غرقانة في دمها جوه.

قال ميدو بفزع:

- وإشمعنا إحنا اللي نفتح باب الحمام وإنتَ واقف بره ..مش هتبطل بقى الجُبن بتاعك ده ؟.

- أنا برضه اللي جبان .. الله يرحم من شوية كان هيجيلك البواسير وإنتَ واقف على باب الفيلا بره لما الباب فتح لوحده .

كنا نستعد للشجار ..حتى قال أحمد وهو يأخذ نفسًا عميقًا:

- خلاص لا أنتَ ولا هو .. أنا اللي هفتح الباب .

كنت واثقًا أن يده ترتعش وكأنه مصاب بمرض الشلل الرُّعاش، وهو يفتح الباب الكريه المنظر والملمس .. وأنا قد استطعت أن أقدم له دعمًا نفسيًّا على أكمل وجه ..كل مافعلته أنني أمسكت يد ميدو الغليظة، واسْتعْدَدتُّ للصراخ من أي شيء سيقفز في وجوهنا المُمْتقعِة أو حتى نراه بعيوننا الخائفة..

دخل أحمد سريعًا بثقة وكأنه يلقي عن كاهله عبئًا ما .. ونحن نتبعه .. وبيده أزاح الستارة من على حافة الحَوض (البانيو) .. لتطلق صوتها الشنيع ..ولأطلق أنا الآخر صرختي الشنيعة ..وأقفز على كتف ميدو .. فما كان منه إلا أن اختلَّ توازنه ليتهاوى جسدنا على تلك الأرض اللينة الرخوة ..وأحمد يصرخ هو الآخر ويقول:

- فيه إيه الله يخرب بيتك ؟.

قلتُ وأنا أنظر بطرف عيني لحَوض الاسْتِحْمام (البانيو) الأحمر الخالي النظيف .. :

- لا مفيش حاجة.

obeikandl.com

جذبني من شعري بقسوة وهو يَكيل لي اللكمات:

- أُمال بتصرخ ليه ؟.

- ما أنا كنت فاكر إن فيه جثة في البانيو ؟.

- ماهو البانيو متنيل فاضي قُدامك أهو .. أُمال لو كان فيه جثة بجد كنت هببت إيه ؟.

ليلتفت أحمد إلى ميدو ويقول له وهو يناوله رَكْلة (شلوتًا) قويّة:

- وإنتَ كنت بتصرخ ليه إنتَ كمان ؟.

- ما أنا لقيته بيصرخ رحت مصرخ أنا كمان.

كانت تلك اللحظة التي بلغت أعصاب أحمد مداها ليقول لنا وهو يواجهنا بعينين ناريتين:

- وعهد الله إنتم جوز معاتيه ..

لم أعلق على جُملته .. وإنما أشرتُ له بطرف إصبعي ناحية صنابير المياه .. :

- بقولك إيه يا أحمد ما تفتح كده شوف فيه مية ؟.

- ناوي تستحمى ؟!!.

- استحمى إيه بس !.

- بس عاوز أشوف شكل المية إيه ؟.

وكالعادة لم نجد قطرة واحدة في كل المواسير .. وكأن تلك المواسير تستمد قوتها من صحراء الربع الخالي ..

فقلتُ وأنا أتخيل منظرًا ما في عقلي:

- لما مفيش مية نهائي في المواسير .. أمال فريدة بتستحمى إزاي !!.

قال ميدو وهو يضحك بسُخرية:

- طول عمرك حمار .. بقى من كل المصايب اللي إحنا فيها دي وكل همك فريدة بتستحمى إزاي ؟!.

تصاعد الدم في رأسي من نبرة السُّخرية وأنا أقول له:

- طب بذمتك منفسكش تعرف بتستحمى إزاي من غير وجود

obeikandl.com

المية؟.
قال أحمد مقاطعًا حديثنا وقد نفد صبره للمرة المليون من مشاحناتنا المستمرة:
- أنا بقول نخلص نطلع من الحمام ده .. علشان ورانا لسة الدوْر اللي فوق كله ..غادرنا الحمام سريعًا ونحن في منتصف الرَّدْهة الغريبة ..صرختُ مرة أخرى وأنا أقول لهما:
- - يا نهار إسود .. إزاي مخدناش بالنا وإحنا في الحمام من الكارثة اللي هناك.
سألنى أحمد بلهفة وفضول:
- كارثة إيه ..الحمام زي الفل ومفيهوش حاجة !.
قلتُ وأنا في حالة ذُهول:
- هو فعلًا الحمام مفيهوش حاجة .. وزي الفل .إحنا انشغلنا بالبانيو الأحمر والمواسير الجافة ..ونسينا أهم حاجة .. الحمام مفيهوش حمام أصلًا يا بغل .. فين التواليت !!.
جَرَيْنا سريعًا كالمجذوبين ..وهناك اكتشفنا الحقيقة الشنيعة ..لا يوجد مِرْحاض مُطلقًا .. فقط حَوض ولا شيء آخر ..
قال ميدو بنفس التوتر:
- يعني لا فيه ثلاجة ولا تواليت ؟.
رددتُّ عليه وأنا أفكر:
- هو بالعقل والمنطق لو قولنا إن مفيش ثلاجة معنى كده إنها مش بتاكل ..يبقى هتدخل الحمام ليه ومعدتها فاضية أصلًا !!.
قال أحمد وهو يضرب كفًّا بكف:
- هو فيه يا غبي حد مش بياكل نهائي !!.
- وهو أصلًا فيه واحدة طبيعية تعيش في مكان مش طبيعي زي ده إلا لما تكون هي نفسها مش طبيعية.

قال ميدو وهو يضع يده على كتفي:

- في دي معاك حق.

عند أول درجة من درجات السُّلم الداخلي للفيلا ..وقفت أنظر إليهما في بَلاهة وعلى وجهي ابتسامة مُتخلِّفة وأنا أقول لهما:

- فاكرين كارتون سنو وايت والأقزام السبعة .. لما رجعوا أخر اليوم وكان عليهم يختاروا واحد يطلع فوق يشوف إيه الصوت الغريب ده .. أهو إحنا بقينا الأقزام الثلاثة ..يالا يا ميدو إطلع إنتَ الأول وإحنا وراك على طول.

- وإشمعنا أنا اللي أطلع الأول .. ما تطلع إنتَ.

قلتُ وأنا أميل على أذنيه وأتحدث بصوت هامس:

- أصل في أفلام الرعب دايمًا التخين هو اللي بيموت بسرعة وإنت ما شاء الله عندك كمية من الدهون تكفي مستعمرة من الأسود .. ثم أنتَ غبي يعني لو مُت البشرية مش هتخسر حاجة ..إنما واحد عبقري زيي لو مات المجرة هتخسر كتير أوي .

أطلق ميدو سُبة بذيئة للغاية كما أنه سبَّ البشرية والمجرة بأكملها .. وكعادة أحمد أطلق سِبابًا نحونا أنا وميدو وهو يقول مُواجهًا ميدو:

- أنا اللي دخلت الحمام .. الدور عليك يا ميدو تطلع السلم .

وأمام نظرات عيوننا الصارمة لم يستطع ميدو أن ينطق بحرف واحد لنختفي بأجسادنا النحيفة خلف طبقات الشحوم السميكة لجسده .. شعور جميل كان يشمل أجسادنا جميعًا .. وأقدامنا تغوص في الطُّنْفَسَةِ (الموكيت) الحمراء الفاخرة التي كانت تغطي كل درجات السُّلم .. هل جربت مرة أن تمشي على الجيلي ؟ .. هذا كان إحساسنا ..حيث تشعر أن كل شيء حولك حي .. ينبض بشيء ما ..

لم يكن الدوْر الثاني يختلف كثيرًا عن ما رُسم في عقولنا .. ممر طويل اصطفت على جانبيه مجموعة من الحجرات وتم توزيع الإضاءه فيه بشكل خرافي .. يمتزج ببراعة مع صفين الشموع الذَين يزينان المكان .. صحيح لا يوجد

مصدر محدد نستطيع أن نراه بعيوننا يطلق هذه الإضاءة ..إلا إنها كانت رائعة .. تشعر إنها وضعت بطريقة تجعلك في حالة تنويم مغناطيسي كامل . ومع معرفتنا وثقتنا أن وراء كل باب مغلق هناك احتمال أن نُلقي حتفنا ..ـهذا واضح لجميع الحمقى ..ـ لكننا كنا نستمتع برمي أنفسنا بين فكَّي الموت .. لأول مرة في حياتنا كلها.

فتحنا أول حُجرة ..

كانت تحوي سريرًا واحدًا ..كبيرًا .. من المعدن الأسود على جانبيه كان هناك شمعتان باللون الأحمر .. يتراقص لهبها بنعومة وثقة لتتناغم لونها مع نفس اللون الذي فُرش به السرير ..لم أكن أفهم في الأقمشة ولكن ملمس القماش الناعم كان مزيجًا من القطيفة والحرير المطرز بالورود السوداء .. على جانبي السرير كانت تعلق صورتان لفريدة كل منهما في اتجاه معاكس للأخر ..من يراهما يشعر أن الصورتين تتحدثان بعضهما مع بعض .. صُوان (دولاب) أسود من خشب الأبنوس ..يحوي هو الآخر الكثير من النقوش والأشكال القوطية .. كعادتي بذلك الخوف الشنيع الغريزي بداخلي كنت أهاب جميع الأَصَوِنَة (الدواليب) وأشعر أنها مجرد بوابات لعوالم أخرى .. حتى تلك الملابس الخالية المعلقة بداخلها أكيد ليست خالية، بل هي تحوي داخلها أشباحًا .. أو أطياف بشر حوَّلهم الزمن إلى كائنات غير مرئية .. في الحقيقة لم أجرؤ على الاقتراب من صُوان ، على الناحية المقابلة للصُوان كانت توجد مرآة كبيرة الحجم .. تحتل الكثير من مساحة الحائط على جانبيها كانت توجد سِتارتان من قماش رقيق للغاية (الشيفون) .. وعلى المرآة كان يوجد رف عليه الكثير من العطور في زجاجات أسطورية لم أرَها من قبل في حياتي ..

وقفنا مبهورين بالحُجرة ..لهذا مِلْتُ على صديقي ميدو وأنا أقول له غامزًا بعيني:

- باين عليها دي مملكة فريدة الخاصة..وأكيد الدولاب مليان بكل

ما لذ وطاب من هدومها.
ضحك هو الآخر ضحكة صفراء وهو يتجه بثقة إلى الصُّوان مدفوعًا بغريزته الحيوانية فقط .. لم يكن وحده هو الذي تحرَّك في الحقيقة كنا نتحرك كجسد واحد وأيدينا مُتشوِّقة للغاية للمس أي قطعة من ملابسها .. فتحنا الصُّوان.. ووقفنا مبهورين تتصاعد أنفاسنا بشكل قوي لتؤكد أمام أنفسنا أن بداخلنا بركان يتمنى أن ينطلق في أي لحظة ... صحيح أن كل ملابسها كانت من اللون الأسود فقط ..ولكنها كانت ملكة وتتنقل بأنوثة عالية بين ملك الألوان بمنتهى البراعة .. كل الملابس كانت مشبعة برائحة جسدها الأسطورية .. وقادرة على جعلنا نتمنى أن نظل طوال حياتنا نائمين وسط ملابسها.. ليضع ميدو في جيبه إحدى ملابسها الخاصة للغاية.. لم أستطع منعه .. على الأقل هو الآخر كان صريحًا أمام نفسه وأعلن بمنتهى الثقة عما يَجيش بداخله.. في الحقيقة كانت هذه هي البداية ليأخذ كل منا إحدى ملابسها ويضعها في جيبه في عناية .. غير عابئين بأن تكتشف أن هناك من لَعِب في أدق خُصوصيات جسدها .. كنا وصلنا لتلك المرحلة التي يصبح فيها العقاب غير مهم .. صحيح نحن محبوسين بالمعنى الحرفي للكلمة داخل عالم مخيف لا نعرف حتى تلك اللحظة؛ هل سنخرج منه سالمين إلى منازلنا أم سالمين أيضًا إلى قبورنا ..؟.. لهذا وصلت عقولنا إلى تلك المنطقة التي يصبح فيها الانتحار والجنون هما الشيئين الطبيعيين وسط كل هذا العالم الأسطوري ..
لم تكن فريدة غريبة الأطوار .. لو قلنا هذا عنها فإننا لا نعطيها حقها .. لقد وجدت فريدة في الحياة ..لتخلق بوجودها معنى جديدًا لشيء لم يكن موجودًا من قبل اسمه .. غريبة الأطوار ..
استمتعنا بكل شيء في حجرتها الخاصة ..ألقينا بأجسادنا على فراشها ..ذلك الفراش المحظوظ الذي يستمتع بكل خلية في جسدها الساحر كل ليلة ..وضعنا على أجسادنا بعضًا من عطورها الخاصة .. اللعنة على هذه المرأة ..لقد تشعبت بداخلنا بدرجة غير قابلة على التصديق.. لو كان ممكنًا لطلبنا

منها أن نكون عبيدًا لديها في تلك الفيلا ..
غادرنا حُجرتها ..ومشينا في ذلك الممر الذي كان يُضاء ذاتيًّا بتلك الوسيلة الجُهنَّميَّة.. ليعطي انطباعًا شنيعًا مع تلك الشموع التي تراصَّتْ على جانبيه .. حينما تحدق كثيرًا في صف الشموع هذا.. ستعرف أن هناك انعكاسات تتلخص في وجود ألف عين تحدق بك .. لكنك لا تستطيع أن تقتنصها بعينيك .. فقط إحساسك هو من يشعر بهذا ..
قال أحمد وقد تنبه لشيء ما:
- هي الساعة كام دلوقتي ؟.
وكأنني قد لمست تيارًا كهربائيًّا، لقد غاص عقلي في العالم الجديد ونسيت تمامًا الاهتمام بالوقت لأنظر في ساعتي وأنا أقول بدهشة غريبة:
- مستحيل !! .. حسب عقارب الساعة إحنا بقالنا في الفيلا ربع ساعة بس .. أنا حاسس إننا قضينا هنا ساعات !.
كانت الدهشة هي الأخرى من نصيب أحمد وميدو وهم يتأكدون من ساعاتهم فيجدون كلامي صحيحًا ..فقال أحمد:
- ربع ساعة !!! .. زي مايكون الزمن واقف مش بيتحرَّك ..بس كده في مصلحتنا ..عندنا فرصة نخلص كل حاجة وندور على وسيلة نهرب بيها من الفيلا.
من حُجرة إلى الأخرى كنا ننتقل .. حُجرة لم نجد بها سوى ٣ أسِرَّة فقط .. حُجرة أخرى كانت عبارة عن مائدة بلياردو .. حُجرة كان بها مكتبة تحوي أصنافًا من الكتب لم نقدر حتى على قراءة حروفها ..وكأن من كتبها فعل هذا قبل وجود الزمن نفسه ..بأوراقها الصفراء المُهْتَرِئة ذات الرائحة النفاذة والتي تحمل عبق التاريخ ذاته.
حُجرة أخرى كانت خالية تمامًا .. مليئة بالكثير من الخُدوش على الحائط .. بلغات عديدة .. أظافر مكسورة مغروسة في كل مكان .. هناك من كان يجرب الهرب أو من كان يجرب الموت .. في النهاية جميعًا كانوا يُعجِّلون

بوجود الموت نفسه .. ليريحهم من كل شيء .. طبقات كثيفة من الغبار خانقة .. مع الكثير والكثير من خيوط العنكبوت الثقيلة ..

في الحُجرة الأخيرة .. كل شيء كان أبيض .. أبيض بدرجة تصيب العمى .. أبيض بشكل خانق .. هل انتقلنا إلى جحيم أبيض .. كل شيء ناصع إلى حد الجنون .. لا يوجد شيء في الحُجرة سوى الكثير من المرايا .. انعكست وجوهنا لنشعر أن معنا في الحُجرة العشرات من أجسادنا ..اللعنة على المرايا ..وعلى من اخترعها .. اللعنة على تلك الحُجرة التي أراد صانعها أن يحطم أعصابنا ونحن نرى وجوهنا المُمْتقِعة تتكرر إلى ما لانهاية أمام أعيننا ..

على أرض الغرفة كان يوجد دفتر (ألبوم) صور .. الشيء الوحيد الذي وجدناه في تلك الحُجرة الشنيعة .. بفضول أمسكنا ذلك الألبوم وظللنا نقلب فيه ..كان يحوي صورًا كثيرة لفريدة كلها بالأبيض والأسود وتحمل تلك الميزة لآليات (كاميرات)التصوير البدائية الصُّنع .. مع بشر مختلفي الملابس ..وكأنها كانت تسجل كل لحظات تاريخها منذ بدء الحياة حتى الآن .. صور أصابتنا نحن بالذُّعر ونحن نشعر أنها تحوي أطيافًا لا بشرًا من لحم ودم ..تلك النظرات الثابتة..المتحجرة..تلك العيون الخالية من الحياة ..

نظرنا بعضنا إلى بعض لكننا لم نفهم شيئًا ..رمينا الدفتر وكأننا نتخلص من أفعى بين أيدينا .. في تلك المرايا كانت وجوهنا مُمْتقِعة بشدة ..

في الحقيقة لم يكن اللون الأبيض هو سبب امْتِقاع وجوهنا التي أصبحت تحاكي وجوه الموتى ... بل كان السبب هو تلك الجملة التي ظهرت فجأة من العدم أمام أعيننا .. وحروفها تولد مكتوبة على جميع المرايا ..

« أنا معكم دائمًا »

صرخنا بشدة ونحن نتراجع بأجسادنا إلى خارج الحُجرة .. إذن كان هناك شيء معنا منذ البداية ..يتسلَّى بنا .. بانتظار أن يصاب بالملل .. في النهاية سنكون وجبة دسمة له ..

وقفنا نلهث في الممر أمام باب غرفة الجحيم الأبيض .. نحاول أن نفهم أي

شيء ..
في البداية ..
اخترق ذلك الصوت آذاننا بشدة.. صوت قوى وكأن هناك من يقذف باب الحُجرة بشيء قوي محاولًا تحطيمها .. فى البداية كان الصوت ينطلق من باب واحد ..اللآن نشعر أن كل باب فى الفيلا يطلق تلك الأصوات المزعجة ..وكأن خلف كل باب عشرات من الأيادى العملاقة تحاول تحطيمه للخروج إلينا ..
رعْشة أجسادنا .. تلك الانتفاضة .. كل خلية فى جسدك تتحرك بدون أدنى إرادة من عقلك .. عقلك في طريقه للجنون بسبب الخوف .. الآن أنتَ مجرد دمية في يد قوى الشر تتلاعب بكَ وتحطم أعصابك.. نتهاوى على الأرض .. سيقاننا تفقد السيطرة تمامًا .. الصوت يخترق حتى النخاع في أجسادنا .. ننفجر بالبكاء .. اختفت الضحكات ..ليحل محلها الدموع ..
كل الأبواب تفتح وتغلق في جنون .. نشعر أن كل شيء أصبح غير خاضع للقوانين الأرضية .. هناك المسافة .. اللاحدود .. وهناك المجهول الذي نستعد إلى ملاقاته الآن ..
حتى جميع اللوحات المخيفة تتحرَّك في جشع مجنون وكأنها تحوي أشخاصًا دبَّت فيهم الحياة يحاولون الخروج لالتهام حناجرنا وقلوبنا بمنتهى الشراسة .. هناك طاقة شريرة تسري في جميع الموجودات والأشياء ..طاقة نشعر بها .. هي تلك اللحظة التي تعرف فيها أن أثر الشر في كل مكان وما هي إلا ثوانٍ وتصبح القضية حياتنا أو حياته ..صراخنا ..أصوات الأبواب .. دموعنا ..حناجرنا التي أوشكت على التمزق .. هم يجبروننا على أن نُصاب بالجنون في النهاية سنقتل بعضنا بعضًا حتى نرتاح من كل هذا العذاب ...
وكان بداخلنا يتردد ذلك السؤال الأبدي الذي لن نعرف إجابته أبدًا إلا ونحن أموات
« ماذا يحدث هنا ؟»

فجأة ..

صمتَ كل شيء ..

وكأنه وهم .. ظللنا وقتًا نحاول أن نجمع فيه أعصابنا وقدرتنا على الوقوف .. وبعد أن استطاعتْ أرجلنا تستعيد ثقتها بنفهسا وتحملنا مرة أخرى .. كان أمام أعيننا مفاجأة أخرى شنيعة ..

لقد انطفأت جميع الأنوار في الفيلا تمامًا ..لم يتبقَّ هناك سوى أضواء الشموع المتراقصة بجنون وتلك الشرارت الكهربائية .. لتنعكس خيالاتنا بشكل قاسٍ على جميع الحوائط اللزجة .. مسببة إحساسًا خانقًا من الشعور بوجود الآخر ..ليصرخ ميدو:

- أبوس إيديكم خرجوني من هنا ..مش عاوز أموت.

صراخه حطم آخر خلية تماسُك بداخلنا .. كل شيء حولنا كان يقول أنها النهاية المنتظرة .. حملناه أنا وأحمد وحاولنا أن نتحرَّك خُطوة واحدة بجسد ميدو الثقيل .. حتى رأينا أمامنا الشيء الذي جعلنا نترك جسد ميدو تمامًا وتقفز قلوبنا من أجسادنا ..مع اتِّساع عيوننا في ارتياع .. ونحن نتراجع بأجسادنا إلى الخلف ..وكل خلية فينا ترتعش من الخوف.

أمام عيوننا ..كانت فريدة موجودة عند بداية الممر .. تنظر إلينا بنظرة شنيعة .. بملابسها السوداء .. ولم يكن هذا مَبعث رعبنا الوحيد ..، بل كان شيئًا آخرًا .. هو جسدها .. حيث كانت تتحدى الجاذبية تمامًا .. وهي واقفة مرتفعة عن الأرض .. وكأنها تهيم فوق رؤوسنا .. ومع كل الشموع حولنا .. بثَّ جسدها ظلًّا هائلًا وصل إلينا نحن حتى نهاية الممر ..لينطلق صوتها يخترق عقولنا دون أن تُحرِّك لسانها:

- لقد اخترقتم مملكتي .. والآن حان وقت العقاب.

أمعاؤنا تتقلص.. نريد أن نفرغ كل ما فيها من الخوف .. بعيون زائغة نطقتُ أول جملة بحروف مرتعشة للغاية-

- إنتِ مين ؟.

obeikandl.com

بنفس ثباتها في الهواء، ودون أن تتقدم ناحيتنا قالت بعقلها:
أنا من يعيش على الأحلام .. ويلتهم الأمنيات .. ويمتص الرغبات.
قال أحمد بفزع:
- إنتِ مصاصة دماء ؟!!.
رفعتْ يديها وهي تقول بكبرياء وثقة:
- أنا أفوق الجميع .. أنا لا أموت .. الجميع يفنى ويبقى أنا ..الجميع يأتي ويرحلون ..
كانت تتقدم نحونا .. بغريزة البقاء بداخلنا .. ومع صرخاتنا القوية .. الكثير من التخبط .. الكثير من الجذب .. في النهاية جرى كل مِنَّا إلى حُجرة مختلفة .. كنتُ أنا فى حُجرة الجحيم الأبيض .. وقفت لا أعرف كيف أختفى أو أُدافع عن نفسي ..لم أجْرُؤ على فتح باب الغرفة وتلك الأفعى السوداء تهيم فى الخارج .. أردتُّ أن أطمئن على ميدو وأحمد .. ولكن خانتني ساقاي .. كنتُ أُطبِّق مبدأ ضحية واحدة خير من ثلاثة ..
أعلم أن الدور قادم عليَّ ..اللعنة على الانتظار ..وجهي يتكرر لمئات المرات حولي منعكسًا في تلك المرايا اللعينة .. في النهاية تقوقعتُ على نفسي مُسندًا ظهري عند أبعد نقطة في الحُجرة ..ونحَّيتُ إحساس التقزز من ملمس جسدي لذلك الجدار..
وأنتَ مُقْبل على الموت لا يوجد وقت لتشعر بالاشمئزاز ..
كنتُ أعرف أنها الآن تتلذذ بجسد أصدقائي .. عقلي كان يرسم ألف صورة شنيعة لما يحدث الآن .. هل تشرب دماءهم ؟ .. تأكل لحمهم ؟.. هل أشلاؤهم الآن تتناثر في كل مكان ..؟ ..كنتُ أبكي وأنا أُردد بصوت مختنق:
« أنا السبب .. أنا اللي قتلتهم «
اللعنة على تلك الحوائط ..إنني حتى لا أسمع أي صوت ..هل يصرخون ؟ ..يتألمون ؟ .. يقاومون ؟ .. هل كان الأمر سريعًا ؟ أم ظلوا أحياء وهم يرون بعيونهم المظلمة كل دمائهم تتناثر أمامهم ؟ ..

من أعماقي تمنيتُ أن ينتهي كل هذا الكابوس سريعًا .. أن تقتحم الحُجرة لتريحني من عذاب وقلق الانتظار.

لم أعرف كم مرّ عليَّ من الوقت ..يبدو أنه لا زمان في هذا المكان.. هنا كل شيء خرج حدود المنطق.. فمع أن ميعاد قُدومها للمنزل كان متبقيًا عليه مايقرب من الـ ٤ ساعات حسب ساعاتنا إلا أننا فوجئنا بها فوق رؤوسنا بدون سابق إنذار كالموت ..وها هي الآن تصول وتجول فى مملكتها ..

عيناي كانتا مثبتتين كعُيون الحرباء على باب الغرفة ..بانتظار قُدومها ..

كنتُ أتوقع أن من ينتظر الموت يرى أمام عينيه كل ذكرياته وشريط حياته .. أما الآن عرفتُ المعنى الحقيقي للعقل المشلول من الخوف ..حتى ذكرياتي تبخَّرتْ بفعل الرعب لم أَعُد أتذكر أي شيء عن أي شيء سوى أنني سأموت الآن بطريقة لا يعلمها سوى الله ..

ضرباتُ قلبي تتزايد بشدة .. تلك الرجفة التي تسيطر على جسدي..صحيح لم أرها أو أسمع قُدومها..ولكن حواسي شعرتْ بها .. ازددتُّ التصاقًا بالحائط .. أحاول أن أخترقه .. أختبئ بداخله ..

أعرف أنها قادمة نحوي الآن .. وهذا معناه أن ميدو وأحمد أصبحا أمواتًا، الآن بعد أن انتهتْ منهم .. جاءت لي

وقد صدق إحساسي ..

بهدوء شرس اقْتحمَت الغرفة .. تطير في الهواء ..وقفتْ في مُنتصف الحُجرة .. وشعرها يتطاير حولها كألف أفعى سوداء، مع أن الحُجرة لم يكن بها أي تيارات هواء .. قالتْ بصوت يحمل ألف فحيح وفحيح :

- الآن حان وقت العقاب أيها البشري ..لقد جئتَ إلى هنا بإرادتكَ .. وستخرج بإرادتي أنا .. أصدقاؤكَ البشريون خرجوا بعد أن أخذتُ منهم غذائي .. والآن حان الوقت لتلحق بهم . . بعد أن ألتهم كل مابداخلكَ .

اقتربتْ مني .. لم أقاوم ..لم أصرخ .. لم أحاول الهُرب ..فقط كنتُ أبكي في صمتٍ ..

شعرتُ بشيء حادٍّ باردٍ للغاية يلمس عُنقي .. وبشيْء دافئ يسيل منها .. رويدًا رويدًا.. لم أعُد أشعر بأي شيء ..خِفاق قلبي في بُطْء شديد.. وظائفي الحيوية أشعر بها تنتهي .. تلك البرودة في عُنقي تنتقل إلى كل جزء بسُرعة .. الضوء الأبيض المحيط بي.. يختفي ..وأجد نفسي أنتقل إلى عالم الظلام ..
وهناك كانت أشياء كثيرة تنتقل إلى عقلي منها ..
أشياء كانت تضع النقاط على الحروف ..
الآن فقط عرفتُ إجابة السؤال
« ماذا يحدث هنا ؟ «

***

فتحتُ عيني لأنظر حولي في ذُهول .. كنتُ جالسًا علَى دراجتي .. وبجانبي أحمد وميدو .. في الشارع كل منهما على دراجته ..ينظر بعضنا إلى بعضٍ في ذُهول تام .. ونحن واقفون عند مكان التقائنا عند كورنيش الزمالك .. حين كنا نستعد للذهاب إلى فيلا فريدة ..

- هو فيه إية؟ مش فاهم حاجة؟ إحنا كنا بنحلم ؟.

نطقها ميدو وهو يهز رأسه بقوة:

- باين كلنا اشتركنا في حُلم واحد و ..

جاء شخص من خلفي وهو يقول غاضبًا وقاطعًا كلامي:

- بقالكم دقيقة واقفين مش بتتحركوا .. إنتوا نمتوا ولا إية..عاوز أعدِّي بالعربية.. ضربتلكم ألف كلاكس .. إنتوا شاربين حاجة يا كباتن ولا إية ؟.

أفسحنا له الطريق ليمر بسيارته..

وأنا مُفكرًا:

- هو إحنا واقفين بقالنا دقيقة مش بنتحرَّك .. كل اللي مرينا بيه ده في دقيقة .. بس ؟.

قال ميدو:

obeikandl.com

- آخر حاجة فاكرها وفريدة بتقرَّب مني ..بعد كده مش فاكر أي حاجة في أي حاجة.

رد أحمد:

- وأنا نفس الشيء.

قلتُ لهما ونحن نجلس على الرصيف .. :

- غريبة .. اللي إحنا فيه ده ؟.. كل واحد يطلع اللي في جيوبه.

كانت جيوبهم عادية ليس بها ما أخذناه من صُوان فريدة .. وأنا أيضًا .. كنتُ أسترجع في ذاكرتي كل شيء مرّ بنا..وخُصوصًا آخر شيء انتقل لي من عقل فريدة .. وكلُعبة البازل ..كل الأشياء كانت توضع في مكانها الصحيح ليظهر كل شيء في النهاية وتكتمل الصورة . لأقول لهم:

- إسمعوني كويس ومش عاوز حد يقاطعني .. مع إننا مرينا بنفس الحُلم المجنون ده .. بس يبدو إني شوفت حاجة محدش فيكم قدر يشوفها .. يمكن علشان كل حاجة من البداية كانت فكرتي ..فيبدو إن فريدة إدتني لمحة عن اللي جواها .. إحنا مكُناش في فيلا .. ولا دخلناها .. إحنا طول الوقت كنا في عقل فريدة .. ملمس الحوائط ..الشرارات الكهربائية .. الإضاءة ..كل ده فريدة قدرت تجسده في عقلها بناءً على اللي في عقلنا إحنا .. طول عمرنا بنقرأ ونشوف أفلام رُعب ..وطول الوقت وإحنا بنخزن كل حاجة فيه.. وإحنا في عقل فريدة عقولنا جسدتْ اللي نفسنا نشوفه ..حتى لما فتحنا دولابها ..كل واحد تخيل ومسك واختار الحاجة اللي نفسه يشوف فريدة بها .. فريدة كائن خطير..مش هنقول إنها مصاصة دماء .. بس هنقول إن لها نابان بيتغذو على كل حاجة في عقولنا ..من أول الأحلام لحد الغرائز والخوف والرعب .. فريدة عمرها ماهتموت لأن الغرائز باقية للأبد .. فريدة بتعيش على ده علشان كده مش بتكبر وهتفضل جميلة.. فريدة بعد ما خدت كل ده مننا وشحنت جسدها بيه رجعتنا تاني للحظة الأولى ..لحظة البداية .. خلاص جسدها تشبع..طيفها كان بيلعب علينا طول الوقت لحد ما نروح

هناك.. صحيح الفيلا موجودة .. لكن إحنا لسه مروحناش هناك ولا جربنا نفتحها حتى .. إحنا مكُناش أول ولا هنكون آخر ضحاياها ..

قال أحمد وهو مذْهولًا:

- كل ده كان وهم ..طب لو رحنا الفيلا دلوقتي وجربنا ندخلها هيحصلنا اللي حصل ده ؟.

- دا سؤال إجابته في علم المجهول .. الفيلا دي مفيش كائن دخلها .. ولا هيدخلها غير فريدة.. دا سرها العظيم ..ومستحيل تخلي أي كائن يدخل فيها.. اللي هيجرب يدخلها ..هيدخل جوة عقلها وتمتص أفكاره وكل ذكرياته وهترجعه تاني للحظة الأولى ..وكل محاولاته هيزيدها شبع والتهام .. أكيد فيه ناس حاولتْ كثيرًا..في النهاية اتجننوا أو انتحروا ..وأكيد فيه ناس جربتْ مرة واحدة، ومع الزمن والهروب عقلهم تناسى القصة تمامًا ومحدش بقى بيتكلم ..أنا واثق إن كل الناس اللي اهتموا بيها حصلهم كده ..

قال ميدو متسائلًا:

- طب والخدوش والأظافر اللي شوفناها على الجدران كانت إية ؟.

- دي كانت في خيالنا إحنا.. ترسبات كثيرة من عالم الرعب اللي إحنا عايشينه في الروايات وفي الأفلام، ومتنساش إن كل الجدران كانت لينة يعني مستحيل ينكسر فيها حاجة .. وهو دا تفسير السؤال اللي أحمد سأله بخصوص الحواف والمنحنيات والثنايا العجيبة في الحوائط .. لأننا كنا داخل مخ بالمعنى الحرفي للكلمة .. فعلشان كده شكل الفيلا كان واخد نفس منحنيات وثنايا المخ ..حتى بالإشارات الكهربائية بتاعته ..

سألني ميدو وهو يهرُش رأسه:

- طب دلوقتي هنعمل إيه ؟.

- ولا أي حاجة ..خلاص إحنا عرفنا فريدة .. يكفي ده بينا ..حتى لو حكينا لأي حد مستحيل هيصدقنا فعلشان كده هيفضل سرها جوانا إحنا .. إحنا بس هنطلع بالعَجَل دلوقتي نمر للمرة الأخيرة من قُدامها .. هنعتبرها

لحظة وداع إلى الأبد ..
وأمام محلها .. ألقينا عليها نظرة .. لتغْمُز بعينيها .. وتبتسم .. وهي ترسل لنا قُبلة في الهواء، ويظهر لنا اناها بوضوح ..
نابان .. ليس لهما مثيل في كل الحياة ..
نابان لا يشبعان من التهام وامتصاص
كل أحلامنا ومخاوفنا .
وغرائزنا.

***

الفن .. الوجه الآخر لعُملة الجنون ..
لقد اكتشفت أنه على مدار كل تلك الأعوام التي عشتها لم أفعل شيئًا في هذا العالم سوى قراءة الروايات وسماع الموسيقى والنوم لساعات طويلة مثل المومياء.
وفي مقدمة كل ما سبق تأتي السينما بكل قوتها، أشعر أنني أنسى نفسي وعالمي مع كل فيلم.. للدقة استرجعوا مشهد الفنانة العظيمة (شادية) في فيلم «عفريت مراتي « .. حيث كانت شادية تقوم بدور(عايدة) والتي تعاني من الفراغ بسبب انشغال زوجها (صالح) (صلاح ذو الفقار) الدائم في عمله أو مع أصدقائه في لعب الشطرنج، فتشغل وقت فراغها بمشاهدة الأفلام، في تلك السينما أمام منزلها، إلا أن استمرارها في مشاهدة الأفلام يصيبها بمرض تقمص الشخصيات، فهي مرَّة بطلة (غادة الكاميليا) ومرَّة (ريا) بعد مشاهدتها لفيلم ريا وسكينة ومرَّة أخرى تتسبب في فضيحة لزوجها عندما تتقمص شخصية (أيرما لادوس) بوجود ضيوف زوجها الذين جاءوا إلى المنزل مع مديرهم من أجل تهنئته بالترقية.
أكيد تتذكرون تلك المشاهد التي كانت العدسة (الكاميرا) تتركز فيها على وجه (شادية) حينما كانت لا تشعر بأي شيء وهي تشاهد تلك الأفلام.. هي كانت تنسلخ عن الواقع فعليًّا وعن كيانها نفسه.. وأنا أيضًا نفس الشيء..

obeikandl.com

إنني أعتبر السينما يا سادة نوع من أنوع الإدمان، ولكنه ليس في شراسة المخدرات طبعًا.. إنه إدمان لا يسبب تلك الحكَّة الشهيرة في الأنف على الأقل، أو يجعلني جاثيًا على ركبتيّ مثل الكلب ومشمّرًا عن يدي العظمية الخالية من العضلات، طالبًا شمة هيروين أو حقنة ماكس.. إن السينما إدمانٌ راقٍ يجعل عقلي يجوب كل شيء وكل مكان وأي زمان، وأنا جالس في قاعة مكيَّفة.. وفي يدي كيس فيشار كبير الحجم.

ومع كل الترسبات في عقلي حول شخصية فريدة .. تلك الأنثى صائدة الأحلام .. ومصاصة الخوف والرعْشة ..

والتي لا أعرف كم يوجد مثلها في هذه الحياة ..

كنت أنا الآخر أنسلخ عن كل ما حولي ..

وأغوص .. وأغوص ..

في غياهب تلك الأسطورة الخالدة ..

مع نابين مختلفين في هذه المرة

نابان .. شَرِهان ..للدماء ..

ولكن ليسا هنا .. وإنما بعيدان للغاية ..

حيث الجبال .. والوديان السحيقة ..

وضوء القمر المكتمل دائمًا .

وعُواء الذئاب الذي لا ينتهي أبدًا.

***

obeikandl.com

obeikandl.com

البداية

obeikandl.com

obeikandl.com

في عام (١٤٦٢)، كان الأتراك المسلمون بجيوشهم الهائلة يكتسحون أوروبا، ويلتهمونها قطعة تلو الأخرى بشراهة.. مما مثَّل خطرًا وشيكًا على الديانة المسيحية.. وكانت محطتهم القادمة هي رومانيا.. وهناك في تلك البُقعة، وبالتحديد في «ترانسيلفانيا»، ظهرَ فارسٌ روماني شجاع لا يهاب شيئًا.. اسمه ‹‹دراكيولا››.. وقد وضعَ هذا الفارس أمام عينيه هدفًا واحدًا لا يَحيد عنه.. قهر جيش الأتراك بأي ثمن.. وفي ليلة المعركة.. وداخل قصره العظيم المتّشِح بالسواد.. وقف دراكيولا وعروسه ‹‹إليزابيتا›› والتي كانت تشعر أن هذه المعركة الشرسة الرهيبة بالذات ستغيِّر مجرى حياتها وحياة زوجها إلى الأبد.. كانت تشعر بقبضة باردة تعتصر قلبها، وبخوفٍ مبهم من تلك الحرب والقوة المنيعة التي يجب على زوجها دراكيولا أن يخوضها.. إنهم الأتراك، القوة الكاسحة في هذا الزمن.. كانت مرعوبة من أن ينهزم زوجها في تلك الحرب.. والأكثر رعبًا أن يعود إليها مقتولًا هو الآخر.

أمَّا دراكيولا، فقد كان يشعر أنه يترك قلبه وروحه في ذلك القصر، كان يحب ويعشق زوجته إليزابيتا أكثر منه نفسه.. يشعر أنها المرأة الوحيدة في هذا الكون التي أحبته ووهبته قلبها وروحها وكل ذَرَّة من كيانها.. إليه هو وحده.. لهذا كان عليه أن يحارب حربين وليست حربًا واحدة؛ حربه ضد الأتراك المسلمين، والحرب الأخرى ضد قلبه.. وهو يجاهد بقوة لترك إليزابيتا. وهناك خارج أسوار القلعة.. كانت تتعالى الهتافات وطبول الحرب.. ومع استعداد دراكيولا وارتدائه لملابسه الحربية والتي جعلته أشبه بتنين مجنَّح.. وخصوصًا ذلك القناع الشبيه برأس التنين.. وذلك اللون الناري الذي اتشح به ليُرهب أعداءه.. ومع تلك النظرة الأخيرة التي ودَّع بها إليزابيتا، غادر دراكيولا القصر ومن خلفه دعوات الجميع، ودموع زوجته.

وبدأت المعركة.. وككل معركة قديمة بالسيوف.. كانت عبارة عن قطعة من الجحيم تمَّ إلقاؤها من روح جهنم لتدور أحداثها على سطح الأرض .. صراخ .، سيوف .، رماح .. أجساد تتقطع .، أنهار من الدماء .، نيران .، دخان.، غبار.
أمَّا دراكيولا، فقد كان يتحرك في المعركة كأنه أسدٌ جائعٌ شره للحم الأتراك، كان يجندل كل من يقابله بسيفه أو رمحه دون شفقة أو رحمة.. كان يشعر أن قوة غامضة تحركه وتبث في عروقه تلك الروح الدموية.. وفي النهاية انتصر الأسد بعد أن شبع من لحم الأتراك، وارتوى بدمائهم.. ولشدة قسوته، ولإطفاء روح الانتقام بداخله وبث الرعب في قلوب أعدائه، أمرَ دراكيولا جنوده أن يضعوا جميع الجثث والأسرى الأحياء من الأتراك على الخوازيق.. حتى تحوَّلت أرض رومانيا إلى ساحة مهولة من الرماح الطويلة التي اخترقت أجساد الأتراك من رؤوسهم إلى أسفل أجسادهم، والتي تحوَّلت إلى وليمة، تنهش الطيور من لحمهم المعلَّق في الهواء .

وهناك على أرض المعركة، وفوق تلك الرَّبْوة العالية، جلس دراكيولا يلتقط أنفاسه، وهو يمسك بصليبه الضخم المرصَّع بالأحجار الكريمة.. كان يشعر بالفخر لانتصاره وهزيمته لهذا الكيان المرعب، وبعيونٍ ممتلئة بالدموع، رفع رأسه إلى السماء، شاكرًا الله على أنه منحه تلك القوة وطلب من الله أن يبارك له هذا النصر العظيم..
وهنا شعرَ بروح حبيبته وزوجته إليزابيتا، تحوم حوله، فلم يشعر بنفسه إلا وهو يمتطي جواده وينطلق بسرعة الريح يسابق قلبه إلى القلعة..
ولكن..
الأتراك المهزومين الحقودين.. ماكانوا ليخرجوا من تلك الحرب بدون أي انتصار.. لهذا فقد سبقوا دراكيولا وأرسلوا رسالة بسهمٍ إلى حجرة إليزابيتا.. يخبرونها أن زوجها دراكيولا قد قُتِل في المعركة، وأنَّ جثته في طريقها إليها.. بعد أن شوهها الأتراك.

وقد أتت تلك الحيلة بمفعولها ،، فقد صدقت إليزابيتا تلك الرسالة المسمومة.. وشعرت أن حياتها نفسها قد سُلِبَت منها، وأنها الآن لا شيء بدون زوجها.. لهذا انتحرت.. قامت بإلقاء نفسها من القلعة لتستقر في أعماق النهر.

ووصلَ دراكيولا القصر متأخِّرًا.. وصل ليجد الجميع ملتفين حول جسد زوجته الممدة على أرض المصلى في تلك الكنيسة الملحقة بالقلعة.. هاله أن يرى زوجته الجميلة غارقة في الدماء وجسدها الجميل الرقيق ملطّخًا بالماء والوحل.

شعر دراكيولا أنه في كابوسٍ يفوق كابوس الحرب نفسها.. وهو يرى حب حياته جثة هامدة.. وفي يدها كانت تلك الرسالة التي كتبتها قبل أن تموت.. .كلماتها بسيطة..

«أميري ميت.. لقد فقدت كل شيء بموته.. كل شيء ضائع بدونه.. حياتي لم تعد لها قيمة.. لقد أنهيت حياتي حتى يجمعنا الله سويًّا في الجنَّة.»

مع كل حرف ،، كانت دموع دراكيولا تنهال بغزارة.. كان يبكي بدموعٍ من دم.. يشعر أن كلماتها تخترق قلبه كسكين حادٍّ.. هو الآن لا يشعر بأي شيء سوى أنه خسر روحه ذاتها.. لهذا لم يتمالك نفسه حينما قال له كبير الأساقفة:

_ لقد انتحرت.. روحها لا يمكن الصلاة عليها.. إنها ملعونة إلى الأبد.. هذا هو قانون الله..

هذه الجملة كانت الشرارة التي فجَّرت كل الغضب والثورة والحقد في أعماق (دراكيولا).. حتى إنه صرخ صرخة رهيبة ارتجت لها أرجاء القلعة، وانخلع لها قلب رجاله حينما وقف كالمارد، وانطلق كالأسد المسعور يسكب الماء المقدَّس على أرض المصلى.. حتى أن كبير الأساقفة هتف له وهو يحذره من أفعاله الشيطانية..

لم يهتم دراكيولا بأي شيء ولا بأي شخص.. كان كالإعصار العاتي.. لا يرحم..

obeikandi.com

في أعماقة نيران هائلة.. هناك مَسٌّ شيطاني أصابه.. وقال وهو يرفع رأسه إلى أعلى، وما زال يزأر كالضَّواري:

- إذن سأترك الله.. هل هذه مكافأتي للدفاع عن دين الله؟.. هل هذه جائزتي على انتصاري في تلك الحرب المقدسه؟ إذن سأترك الله.. سأتخلى عن ديني..

كان الجميع خائفين من غضبه وثورته وجنونه، وكانوا يرسمون مع كل كلمة ينطق بها علامة الصليب على وجوههم خوفًا من غضب الله عليهم.. أمَّا دراكيولا فقد تابع في غضبٍ جنوني:

- سأرتفع من موتي.. سأنتقم من الجميع بكل سلطات الظلام وشياطينها..

وأمسك سيفه.. واتجه بكل قوة ليُغرزه في قلب ذلك الصليب الضخم المعلَّق في بَهْو المصلى.. وهو ما زال يصرخ:

- سأترك دين الله.. سأترك دين الله..

ويبدو أن الشيطان نفسه كان معه في تلك القاعة فما إن غرس سيفه في الصليب حتى انفجرت القاعة بالدماء من كل شيء ..أعين التماثيل ،. الشموع ،. الصليب نفسه كان يُنزل الدماء بغزارة..

اختطف دراكيولا تلك الكأس المقدسة وملأها بتلك الدماء التي تنهمر من الصليب.. وهو ما زال يصرخ بجنون:

- إن الدم هو الحياة نفسها.. وهو سيكون ملكي..

ليرفع الكاس إلى فمه ويشرب كل الدماء، ومن حوله كانت القاعة قد تحوَّلت إلى بحيرة رهيبة من الدماء.. غطَّتْ كل شيء.. وكأنه وحش شيطاني يلتهم كل ما هو مقدَّس في القاعة.. كانت الدماء تزداد غزارة مع صراخ دراكيولا،. الذي انسلخ عن هيئته البشرية،. وأصبحت عيناه رمزًا مجسّدًا لكل ماهو شيطاني.. ونظراته تتابع شلالات الدماء وهي تغطّي وتلتهم كل شيء في القاعة..

obeikandl.com

كل شيء بلا استثناء..
كل شيء حتى زوجته وحبيبته..
‹‹إليزابيتا››.

obeikandl.com

obeikandl.com

لندن

obeikandl.com

obeikandl.com

« الوقت الحالي وبالتحديد عام ١٨٩٧.. بعد مرور أربعة قرون «.
المصحات النفسية.. تجدها في كل مكان في العالم.. وفي هذا الزمن كانت المصحَّات النفسية عبارة عن سجونٍ حقيقية أو معتقلات بمعنى أدق.. لا توجد غرف ،، بل نوع من أنواع الزنازين إذا شئنا الدقة ،، زنازين بُنيَت خاصَّة لهدفٍ واحدٍ.. لكبت وقتل روح الشر والجنون التي تجري مجرى الدماء في أولئك البشر الذين كُتِبَ عليهم أن يظلوا داخل تلك المصحَّات حتى يريحهم الموت.. في الحقيقة لا تعرف هل الموت سيريحهم من جنونهم أم من تلك المصحَّات المخيفة!.

بالنسبه للعلاج النفسي، أكيد أنت تتحدث عن معجزات ،، لقد كان الطب النفسي في تلك الفترة أشبه ببذرة جنين تحاول بمشقة أن تنمو داخل أحشاء الحياة نفسها..

وفي تلك المصحَّة النفسية لمقاطعة (كارفكس).. ووسط كل هذا الجنون وهذه الإضاءة الخافتة التي تجسم على روحك.. هناك كانت توجد زنزانه منطوية ،، مظلمة ،، مبطنة من الداخل ،، عارية من جميع الأثاث.. هي أشبه بالقبر إذا شئنا الدقة.. في ذلك الركن المظلم دائمًا ،، كان يجلس مستر ‹‹رينفلد››.. بثيابه الرَّثَّة.. وشعره الأبيض المنفوش ،، المبعثر بلا اتجاه ،، وخلف عُوَيْناته التي اتسخت بشدة ،، كانت تقبع عينان ترى فيهما بوضوح نظرات الجنون.. كعادته كان يجلس هناك في ذلك الركن المظلم.. شاخصًا ببصره..
ينتظر..
وينتظر..

obeikandl.com

إنه ينتظر شيئًا ما.. ينتظر اللحظة المناسبة لتحقيق هدفٍ بعينه.. هدف جعله يصاب بتلك اللَّوْثة.. وذلك الجنون.. لقد كره هيئته البشرية الفانية.. إنه يبحث طوال الوقت عن الخلاص.. يبحث عن حياة لا تمتُّ لحياة البشر الفانين بأدنى صلة..

إنه يبحث عن الخلود..

ومع شخوص بصره تجده من آنٍ لآخر يقف ويرفع رأسه؛ لينادي شخصًا ما.. أو بمعنى أدق ينادي شيئًا ما لا يمتُّ لعالمنا بأدنى صلة.. يحدثه وكأنه أمامه.. ودائمًا لا يمل من تكرار جملته المعهودة:

- لقد أنهيت كل شيء كما أخبرتَني يا سيدي.. لقد جهَّزت كل شيء بالترتيب الملائم لك يا سيدي.. كل شيء يا سيد الظلام..

كان ما زال واقفًا، شاخصًا ببصره في تلك النافذة الضيقة بأعلى حجرته، يكرر جملته.. وببصره الذي تعوَّد على الظلام وآلفه.. التقط تلك الحشرة القابعة في سكون.. فما كان منه إلا أن مدَّ يده وأمسكها ووضعها في فمه.. يأكلها بشراهة غريبة و هو ما زال يردِّد:

- سيدي، إنني أنتظر قدومكَ.. أنتظر قيادتكَ لي.. وأنتظر كرمكَ.. وجائزتكَ التي ستتكرم بها عليَّ لتجعلني عبدكَ وخادمكَ المطيع.. أنتظر أن تجعلني مثلكَ يا سيدي.. خالدًا..

كان ما زال يَلُوك تلك الحشرة في فمه بشبقٍ جنوني.. وحينما انتهى من وجبته الشنيعة .، رجع إلى الجانب المظلم من حجرته، وانزوى فيها وهو يردِّد بخفوتٍ:

- شكرًا لكَ يا سيدي.. شكرًا لكَ يا سيدي..

***

في صباح اليوم التالي.. وفي الجانب الآخر من المدينة.. وبالتحديد في شركة (هوكينس وثومبيكنس) للمحاماة والاستشارات القانونية، كان مدير الشركة

obeikandl.com

مستر‹‹هوكينس›› جالسًا في مكتبه يراجع باهتمامٍ شديدٍ مستجدات آخر صفقاته .، مع كاتبه القانوني مستر‹‹جوناثان هاركر›› والذي كان يجلس منصتًا بتركيزٍ شديدٍ لكل ما يقوله له مديره من ملاحظات،كان بقدر المستطاع يحاول أن يثبت جدارته ليفوز ويرتقي بمنصبٍ كبيرٍ في تلك الشركة.. ليصبح أحد الموظفين المهمين فيها.

مَوْضوعات كثيرة تناقش فيها مستر جوناثان هاركر مع مديره، وكان من ضمن تلك المَوْضوعات، الموضوع الخاص بمستر‹‹رينفلد››.. حيث كان هو الآخر موظفًا كبيرًا مرموقًا في تلك الشركة، ولكنه لسببٍ غامض غير معروف، أصابه مس من الجنون حينما ذهب إلى (ترانسلفانيا) ليعقد صفقة كبيرة مع كونت غريب الأطوار يعيش بمفرده في قصرٍ مهول، اسمه (دراكيولا).. حيث أن ذلك الكونت الغامض يريد أن يشتري أراضي كثيرة في لندن، ولكن يبدو أن الصفقة لم تسِر في طريقها الصحيح المخطط لها من قِبَل الشركة.. بعد أن قطع مستر رينفلد رحلته ليرجع مَحْمومًا.. ومصابًا بالجنون.. ويصبح من أشد النزلاء خطرًا في مصحَّة (كارفكس).

لهذا، طلبَ مستر هوكينس مدير الشركة من مستر جوناثان هاركر، أن يتولى قيادة إتمام وإنهاء هذه الصفقة بنفسه.. فما كان من جوناثان إلا أن قال بحماس:

- بالطبع يا سيدي.. سأتولى ذلك، وأنا أشكرك بشدة على ثقتكَ الكبيرة.

- هذه فرصة عظيمة لك جوناثان، توجه إلى ترانسلفانيا فورًا، وابذل قصارى جهدكَ، وضِع في عقلكَ دائمًا وأمام عينيكَ أن فرصة مثل هذه لا تأتي إلا مرَّة واحدة في العُمر.

وككل مدير محترف لكي ينهي تلك المحادثة، وقف مستر هوكينس وهو

ممسكًا بأوراق الصفقة ليعطيها
لـــــ جوناثان وهو يقول له:
- ابذل قصارى جهدكَ لإنجاح تلك الصفقة، وسيكون مستقبلكَ مضمونًا ومطمئنًا داخل جدران تلك الشركة إلى الأبد.
ومع شعور جوناثان بالعبء الكبير الملقى على عاتقه.. ومع أنها فرصة عمره التي طالما انتظرها وحلمَ بها، قال في قوة وثقة:
- اطمئن يا سيدي.. أنا سأعطي تلك الصفقة كامل انتباهي وتركيزي ووقتي.
غادر مستر جوناثان هاركر الشركة، بعد أن أخذ أوراق تلك الصفقة.. وكان أول شيء فعله هو أن اتجه بسرعة إلى حبيبته ‹‹مينا››.

إنها ‹‹مينا››، تلك الفتاة الرقيقة.. في العشرينات من عمرها.. وككل فتاة في تلك الفترة .، فإن أحلامها كانت تنصبّ على شيءٍ واحدٍ فقط .. الزواج من فارس أحلامها.. وكان هذا الفارس المنتظر يتمثل في صورة جوناثان هاركر.. كان الاثنان قد جمع الحُبُّ بينهما، وكانا يتقابلان دائمًا في تلك الحديقة، ليستمتعا بالحديث ونظرات الحب المتبادلة بينهما.. وفي هذه الفترة، كانا يستعدان لإتمام مراسم الزفاف.. إنها تلك الليلة التي حلما سويًّا بها وبتفاصيلها.. وكان هذا ما يشغل عقل جوناثان وهو متجه إليها.. إذ كيف سيفاتحها في مشروع تأجيل الزفاف، كان يخاف على مشاعرها لأنه لم يرَ أرق منها في حياته ولا من تفوقها جمالًا.. لهذا فقد شعرَ بتأنيب ضميره حينما وجدها واقفة تنتظره على أحرِّ من الجمر.. وكم كانت فاتنة بحق وهي ترتدي ذلك الثوب ذا اللون السماوي الهادئ .، والذي جعلها مُبهرة مع لون شعرها الأسود وبشرتها الفاتحة وعينيها الواسعتين الساحرتين.. وبعد التحيَّات وقبلات الأشواق بينهما.. أحسَّت مينا أن جوناثان يخفي عنها شيئًا.. قلبها حدَّثها بهذا.. وحينما عرفت ما دارَ بين خطيبها جوناثان ومديره، ما

كان منها إلا أن قالت بتوسُّل:

- لقد انتظرنا تلك اللحظة طويلًا يا جوناثان، وخططنا لها.. وحلمنا بها معًا كثيرًا.

كانت تحدثه وهي تنظر بعينيها الرائعتين إليه.. لعلَّها تستطيع أن تؤثر على قراره، ولكن.. خابتْ نظراتها حينما ردَّ عليها جوناثان بصوتٍ مملوء بالأسف:

- يمكننا الزواج يا حبيبتي.. حينما أعود بالطبع وأنهي تلك الصفقة.. إنها الشيء الوحيد الذي سيؤمِّن مستقبلنا.

وحينما شعرت مينا أنه لا فائدة من محاولاتها.. ما كان منها إلا أن قالت بخُفوت:

- بالطبع جوناثان، ولكن عِدني أن تكتب لي دائمًا طوال فترة سفركَ.
- ثقي بي يا مينا.. سأرسل إليكَ دائمًا في سفري ..

قالها جوناثان وهو يَحوطها بذراعيه في حنان؛ ليبثها لهيبَ أشواقه.

ولكن.. في أعمق أعماق قلبه،كان يشعر بتلك القبضة الباردة تعتصره من الداخل.. هو لا يفهم ما سرّ ذلك الشعور المخيف الذي يحيط به.. صحيح هي مجرَّد رحلة عمل لا أكثر ولا أقل، ولكن في أعماقه كان يلح على عقله ذلك الشعور الكريه.. بأن تلك الرحلة ستكون مختلفة عن أي شيء سمعه.. أو شاهده طوال حياته.

***

obeikandl.com

obeikandl.com

كونت دراكيولا

obeikandl.com

obeikandl.com

مرَّ أسبوع على آخر لقاءٍ بين مينا و جوناثان.. ٧ أيام لم ترَه فيهم.. كان الشوق يقتلها في كل لحظة.. كانت ومازالت تشعر أن أملها قد خاب في أن تتزوج منه قبل أن يغادر.. ولكنها في نفس الوقت كانت تشعر بسعادة؛ لأن خطيبها قد أُرسِل لإتمام هذه الصفقة الهامة.. إنه حُلم السفر.. تلك الفرصة الرائعة التي لن تتكرر لكي يرى تلك البلاد الجديدة وعادات شعوبها الغريبة.. إنه حُلم السفر.. لكي يكتسب المزيد من الخبرات.

ولكن كان هناك ودائمًا ذلك الشعور الذي يشبه وخْز الإبر في قلبها.. لماذا كانت تشعر بخوفٍ مبهم ليس له تفسير؟!.

صحيح هذه رحلة عمل ،. ولكن ذلك الخوف الغير قابل للتفسير في داخلها يجعلها تشعر بالجنون والقلق على خطيبها.. حاولت أكثر من مرَّة أن تنفي عن عقلها تلك الوساوس.. إلا أن هذه الوساوس كانت تتحول مع مرور الوقت إلى كوابيس لها أنياب تنهش في أعماقها بمنتهى القسوة.

أما جوناثان هاركر.. فقد كان على الجانب الآخر من عالمها.. كان اليوم هو الـ ٢٥ من مايو.. كان قد غادر (بودابست) في وقتٍ مُبكِّرٍ من هذا الصباح.. كان يتحرَّك بالقطار بالفعل.. وكان هذا الأخير يمشي في تلك المنطقة المشتركة بين ثلاث ولايات؛ (ترانسلفانيا، مولدافيا، بوكوفينا). كان يتجه بالقطار ليترك الغرب نهائيًّا. إنه الآن داخل فكّ الشيطان ،. في منطقة الشرق الأقصى ،. وبالتحديد في منطقة جبال الكاربثيان.. إحدى أكثر الأماكن وحشية في أوروبا كلها .

في هذا الصباح، كان قد استلم خطابًا من الكونت دراكيولا، ولم يجد الوقت الكافي ليقرأه ،. فوجد الوقت والفرصة مناسبين لكي يلتهم ما في الخطاب.

obeikandl.com

«صديقي، مرحبًا بك في الكاربثيان.. لقد انتظرت قدومكَ في قلق.. هناك في موقف (بورجو).. ستنتظرك عربتي الخاصة لإحضارك إلى قلعتي.. أتمنى أن تكون رحلتك جيِّدة.. وأنا أتمنى أكثر أن تستمتع بإقامتك في أرضي الجميلة..

صديقك « D »

استمرَّ القطار يخترق جبال الكاربثيان طوال النهار.. وأخيرًا في منتصف الليل .، وجد جوناثان هاركر نفسه واقفًا في موقف (بورجو) بمفرده.. كان قد وصل إلى تلك النقطة عن طريق عربة من عربات الغجر.. وما أثار التوتر والدهشة في أعماقه .، هو أنه لاحظ أن ركاب تلك العربة كانوا ينظرون إليه بريبة وشكٍّ طوال الطريق.. ومما أثار داخله الخوف المبهم أنه في لحظة نزوله.. التفتت إليه واحدة من الغجر، وأعطت إليه شيئًا في قبضة يده، وقالت له جُملة مبهمة:

- خذ هذه.. ستفيدكَ في رحلتكَ المميتة.

وتركته العربة والسيد حائرًا .، يحاول أن يفهم مغزى تلك العبارة الغامضة .، وعلى ضوء القمر الشاحب .، فتحَ يده ليجد سلسلة في نهايتها الصليب والمسيح.. نظر حوله فوجد أن المكان موحشًا.. مقفرًا.. غارقًا في الظلام الدامس والصمت.. لا يخترقه سوى بصيص من ضوء القمر الشاحب:

- يبدو أنني جئت مبكِّرًا عن موعدي.

هكذا هتف جوناثان في أعماقه.. وما زاد من توتره وبدأ يزعزع عنصر الأمان في أعماقه.. إن البرق قد شقَّ صفحة السماء بقوة وتلاه صوت الرعد ليبدِّد ذلك الصمت المميت.. بصوت أكثر رعبًا من صوت الصمت.. يبدو أنها ليلة لَيْلاء.

كان التوتر يجري في عروقه بدلًا من الدماء، وبدأ هذا التوتر يتحوَّل إلى رعبٍ حينما علا أول صوت لعُواء ذئب.. وتبعه أصوات باقي القطيع.. كان عُواء الذئاب يتردد بقوة في الجبال مشتركًا مع صوت الرعد وضوء البرق.. وفي هذه

obeikandl.com

اللحظة، انشقَّ الظلام عن عربة لا تختلف في لونها عن لون الليل الذي يحيط بها من كل جانب.. حتى الجياد نفسها، تشعر أنها خُلِقَت من الظلام نفسه.. كان كل شيء حوله يتّشِح بالسواد..

حتى سائقها الغامض، كان يرتدي قناعًا غريبًا يخفي كل ملامحه.. ودون كلمة واحدة، استقرَّ جوناثان داخل العربة لتنطلق بسرعة نحو القلعة.. ومن ورائها قطيع الذئاب.. نظر جوناثان من نافذة العربة، فهاله أنها تمشي في ذلك الطريق الضيق المُطِلّ على ذلك الوادي العميق المظلم.. وهناك خلف ذلك المُنْحنى، كانت تجلس القلعة متربعة على قمة الجبل.. والتي ما إن تراها من بعيد حتى تشعر أنها الموت ذاته يجلس على عرشه.. وقبل أن تدخل العربة القلعة، مرَّت من خلال دائرة النار الزرقاء.. ! حلقات متتابعة من النار الغريبة، تشعر أنها وُجِدَت مخصوص كي تقتل وتفتك بأي متطفل غير مرغوب فيه يفكر دخول القصر بدون إذن صاحبه.. وبعدها فُتِحَتِ البوابة على مصراعيها لتستقر العربة أمام قصر سيد الظلام.. داركيولا.

وأمام البوابة الداخلية، وقف (جوناثان هاركر).. يتطلع إلى القصر المُرْعب في خوفٍ وقلق.. كل شيء حوله يُشعِره أنه أمام قوة منيعة،كاسحة.. حتى أمام الزمن نفسه.. أكيد الشخص الذي يسكن هذا القصر لا يتشابه أبدًا مع أي كائن آخر على وجه الأرض.. هناك روح غامضة تَلِف كل شيء.. كان يشعر أن السواد والظلام يحيطان بكل شيء بدرجة غير مسبوقة.. حتى الصمت نفسه.. كان يشعر أنه كفَّ عن إصدار أي صوت !.

كان غارقًا في أسئلته الداخلية.. غارقًا لدرجة أنه لم يلاحظ كل تلك الأشياء الغريبة حوله.. غارقًا لدرجة أنه لم يلحَظ كيف أن بوابة القلعة قد فُتِحَت بمفردها! .. غارقًا حتى إنه لم يرَ ذلك الظِلَّ الغريب الذي يتلصص عليه..

obeikandl.com

وحينما بدأ في صعود أول دَرج القصر.. كان يشعر أنه يصعد إلى عالمٍ آخر.. كان يشعر أن هناك قوة عاتية تجبره على التقدم.. هناك لحظات لم يعد من المجدي فيها التراجع عنها..

إنه الآن في ضيافة ملك الظلام نفسه..

في ضيافة .. دراكيولا.

كان صوت الشك يتزايد داخله.. لدرجة أنه أعمى عينيه عن شيءٍ مهم.. لماذا يتقدم ظِلُّ الكونت ناحيته قبل جسده ؟.. وكأن ذلك الظِلَّ كائن حي؟!.. دائمًا ذلك الظِلُّ يسبقه.. وكأنهما كيانان منفصلان بعضهما عن بعض.. حتى خطوات الكونت نفسه.. تُشعِرك أنه يهيم على الأرض.. أو يطير.. ولا يسير على قدميه.

كل هذه الأشياء تناساها عقله.. ولهذا تحولت إلى مسامير دُقَّت بقوة في نعش جوناثان هاركر دون أن يدري!.

وأمام عينيه.. وجدَ رجلًا شاحب الوجه، ذا نظرات واثقة، ساحقة، يرتدي عباءة طويلة حمراء، نُقِشَ على جانبيها رمزان للتنينين كل واحد على ناحية مقابلة للأخرى.. وبصوتٍ هادىء، قوي، رصين.. قال له:

- مرحبًا بكَ في بيتي.. ادخل وسَيَجلب لكَ هذا بعضًا من السعادة.

- كونت دراكيولا؟!.

هكذا سأله جوناثان مستفسِرًا..

- أنا دراكيولا.. وأنا أرحب بكَ في منزلي مستر جوناثان هاركر.. تعالَ.. ادخل.

وعبرَ أروقة القلعة الواسعة .، المظلمة .، السوداء .، إلا من أضواء المشاعل.. الهادئة هدوء القبور ذاتها.. مشى الكونت دراكيولا مع ضيفه .، ليستقر الاثنان في النهاية بداخل قاعة الطعام.. وهناك على تلك المائدة الطويلة وعلى ضَوء الشموع.. جلس جوناثان يتناول طعام العشاء بمفرده.. حتى إن الكونت بنفسه كان يقوم بخدمته، ويصب له النبيذ الأحمر الشبيه بالدم في

obeikandl.com

الكأس الموجودة أمامه.

وكان جوناثان يتساءل في قرارة نفسه عن السِرِّ في عدم وجود أي خَدم في القلعة.. ولكنها كانت ككل شيء تولَد وتُقتَل في نفس اللحظة في أعماقه!!.

- أرجو منكَ أن تعذرني في عدم انضمامي إليكَ.. فقد أكلت بالفعل.. وأنا لا أشرب أبدًا النبيذ.

هذه كانت من الكونت نفسه وهو ينظر بعينين مغناطيسيتين ناحية جوناثان.. إن من يسمع الكونت دراكيولا يتحدث، يشعر أن صوته يتوغل في أعمق أعماقه.. بتلك اللهجة التي تحمل رائحة الموت.. تلك اللهجة الهادئة.. الواثقة من نفسها.. والتي تشعر أنها تلتهم حروف الكلمات.

بدأ جوناثان يتناول طعامه، فهو لم يتناول أي نوع من أنواع الطعام منذ الصباح الباكر.. كان يأكل وعيناه تجوبان المكان في فضول، وإن لم يخفَ هذا عن عين الكونت اللتي كانت تتابعه باهتمام وكأنه فأر تجارب.. ليجد في النهاية جوناثان عيناه تتوقفان على لوحة كبيرة في صدر الحجرة، ووجد نفسه يسأل الكونت:

- هل هو واحد من أسلافكَ؟ إنني أرى تشابهًا واضحًا؟.

نهض الكونت يتطلع إلى اللوحة.. وتوقف أمامها في صمت.. وكأنه يسترجع ذكريات الزمن نفسه.. ليقول وهو يتطلع إلى عيني جوناثان:

- إنه طلب دراكيولا.. إنه تنين.. نوع من أنواع العهد في المجتمع القديم للدفاع عن الكنيسة ضد كل أعداء السيد المسيح.. تلك العلاقة وهذا العهد لم يكن ناجحًا كليًّا!.

جوناثان يضحك ضحكة خافتة.. اعتبر الكونت تلك الضحكة استهزاءً بكلامه وسخرية من أسلافه العظماء.. فما كان منه إلا أن اختطف سيفًا ضخمًا أسفل اللوحة وهو يلوح به بشراسة ليضعه على عنق جوناثان وهو يزأر كالضَّواري ويقول:

- هي ليست مسألة مضحكة.. نحن عائلة دراكيولا لنا الحق في

obeikandl.com

الفخر بأمجادنا وبطولاتنا.. لا يوجد شيطان أعظم من الذي يجري في عروقنا مكان الدم .
كانت عيناه مثالًا حيًّا لكلمة شيطان.. حتى إنه أكمل حديثه في شراسة رهيبة:
- الدم.. ذلك الشيء الثمين جدًّا في هذا الزمن.. إن أيام الحروب انتهت، وانتصارات جنسي العظيم ذهبت.. فقط الحكايات والأساطير هي من ستبقى.. أنا آخر نوعي!.

نطق جملته الأخيرة بصرامة وقسوة.. حتى إن جوناثان، شعر أنه ارتكب خطأً فادحًا بتلك الضحكة.. خطأً قد يؤثر على إتمام الصفقة.. فما كان منه إلا أن هبَّ واقفًا وهو يقول في أسفٍ شديدٍ:
- اعذرني على جهلي.. اغفر لي يا سيدي الكونت.
تجاهله الكونت تمامًا وهو يتركه ليذهب إلى حُجرة مكتبه، ومن خلفه كان جوناثان يحاول اللحاق به.
الظلام.. ذلك الصديق الدائم في تلك القلعة.. هنا لا يوجد شيء اسمه ضوء النهار.. كل شيء غارق وسيظَلُّ غارقًا في ذلك الظلام الدامس.. لا يبدده سوى ضوء الشموع السوداء فقط.. أو تلك المشاعل الموضوعة على الحوائط.. وهذا ماكان يجعل جوناثان يشعر بذلك التوتر دائمًا.. هناك شيء ما خفي يحدث حوله يجعله متوترًا بشدة، ولكنه لا يدري كُنْهه، حتى رائحة القلعة نفسها غريبة.. تشعرك بأنها موجودة منذ بدء الخليقة.
وفي داخل الحُجرة كان جوناثان يراجع العقود للمرَّة الأخيرة ليعطيها إلى الكونت دراكيولا ليضع توقيعه وختمه الذي يحمل شعار التنين ذي اللون الأحمر.. وخلف مكتبه الضخم.. كانت على الحائط توجد خريطة كبيرة مفصَّلة لمدينة لندن.. وعلى ضَوء الشمعة السوداء الوحيدة الموضوعة على المكتب.. كان يقف الكونت متطلعًا إلى الخريطة باهتمام.. ومعه ظِلِّه

الغريب.. والذي يُشعِرَك طوال الوقت أنه كائن مختلف عن سيده.. ، بل كيان منفصل تابع لسيده..

- إنني أشتاق للذهاب إلى لندن، لأمشي في شوارعها الواسعة، المزدحمة.. أتمنى أن أكون في وسط المدنية الإنسانية.. أريد أن أشترك وأعيش تلك الحياة الممتعة التي تعيشونها.. أتمنى أن أرى كيف تغيَّر العالم، وكيف تقدَّم.. أريد أن أرى تلك الاختراعات الحديثة التي توجد في مدينتكم.

كانت هذه من الكونت وهو مازال يسرح بعين الخيال في مدينة لندن، كان يتحدث مع جوناثان وهو يعطيه ظهره له.. نهض جوناثان من مكتبه وهو يواجه ظِلَّ الكونت، وكأن الكونت نفسه واقف في ذا المكان وهو يقول:

- الآن، أنتَ سيدي الكونت.. ما الذي.. !!.

بتر جوناثان عبارته حينما وجدَ الكونت قد غير اتجاهه في أقل من لمح البصر بدون أن يشعر هو بذلك، مع أنه من لحظة واحدة كان يقف بجانب تلك الخريطة يتحدث عن أحلامه.. فكيف ذهب إلى الناحية الأخرى بدون أن يشعر بذلك؟.. ولماذا لم يغيِّر الظِلُّ اتجاهه معه؟ كانت تلك الأسئلة تتردد بقوة داخل أعماق جوناثان، ولكنها لم تولد على لسانه ليقولها إلى الكونت.

- ستفخر شركتكَ إلى حدٍّ كبير بمواهبكَ يا مستر جوناثان.. هم سيقولون أنك رجلٌ جيِّد وجدير بمكانتكَ ووظيفتكَ.. مثلما كان مستر رينفلد.

- يمكنكَ الاعتماد عليَّ سيدي الكونت.. ولكن؟ ولكن أرجو أن تغفر لي فضولي.. لماذا اشتريت عشرة منازل في هذا الموقع البعيد المتطرف على حدود لندن؟ إنها مِنطقة مُقفرة وشِبه خالية؟ هل سعر السوق سيرتفع في هذه المنطقة المنعزلة؟.

كان جوناثان يواصل حديثه بجدية وحماس، حتى إنه لم يشعر بالكونت ولا نظراته.. حيث كان هذا الأخير في هذه اللحظة مركزًا كامل بصره واهتمامه وحواسه على شيءٍ مبهم موضوع على المكتب.. بجانب الشمعة.. لم يعد

obeikandl.com

يشعر بالقلعة.. ولا بجوناثان وحديثه.. ، بل حتى لم يعد يشعر بالوقت ولا حتى بنفسه.. كل ما شعر به هو الدهشة الممتزجة بالحنين لشيءٍ يشتاق إليه جدًّا، حتى إنه قال بصوتٍ مبحوح إلى لجوناثان:

- هل تؤمن بالقدر؟ هل حقًّا تؤمن بقوة الوقت والزمن؟!.

كان يتجه كالمسحور نحو ذلك الشيء الذي جذب نظره وكل خلية في كيانه منذ البداية.. إنها صورة مينا.. تلك المرأة التي تشبه إلى حدٍّ رهيب زوجته وحبيبته والمرأة الوحيدة التي لم ولن يعشق سواها.. زوجته ‹‹إليزابيتا››.. كان الشبه رهيبًا، حتى إنه شعر أن زوجته الراحلة منذ قرون طويلة قد بُعِثَت من جديد.. كان يمسك صورة مينا وقلبه يرتجف بقوة.. وعلى وجهه المليء بتجاعيد أربعة قرون من الزمن.. ارتسمتْ لأول مرَّة ابتسامة حُب وهو يقول:

- إن أكثر الرجال حظًّا في هذه الحياة هو من يجد الحُبَّ الحقيقي.

- أوه.. لقد وجدت صورة مينا، سيدي الكونت لقد اعتقدت أنها قد فُقِدَتْ مِنِّي.. نحن سنتزوج حينما أعود .

كان ظِلُّ الكونت يقف في هذه اللحظة خلف جوناثان، حتى إنه شعر بروح وأعماق سيد الظلام بما تحويه من غيرةٍ وحسدٍ وهي تتمنى موت جوناثان.. ليمتد تأثير تلك القوة إلى الظِلِّ نفسه.. ليحاول أن يمد كِلتا يديه إلى عنق جوناثان.. ليقتله.. ولكن دون جدوى.. فكيف سيخنق الظِلُّ إنسانًا من لحم ودم؟!. ليكمل جوناثان حديثه:

- هل أنتَ مُتزوج سيدي الكونت؟.

كانت صورة مينا مازالت في يد الكونت دراكيولا.. وكان هذا الأخير تائهًا في ذكرياته مع زوجته السابقة إليزابيتا.. كم أحبَّها وأحبته.. كم اشتاق إلى صوتها.. إلى وجودها بجانبه.. كم اشتاق إلى رائحتها.. كم اشتاق إلى لمسة من يديها الرقيقة الحانية.. إلى نظرة من عينيها.. كانت الدموع تنهمر ساخنة على تجاعيد وجهه.. دموع تحمل حُبَّ وذكريات أكثر من أربعة

obeikandl.com

قرون.. دموع تنزل حارقة في صمتٍ.. لدرجة أنه لم يسمع أي كلمة قالها جوناثان، فشعر هذا الأخير أن الكونت ليس على مايرام ولم يسمع سؤاله ليعيده مرَّة أخرى:

- سيدي، هل أنتَ مُتزوج؟.

- تزوَّجتُ مرَّة واحدة فقط.. من سنين طويلة.. ولكنها ماتت.

- أنا آسف جدًّا سيدي الكونت، يبدو أن سؤالي قد أعاد إليكَ تلك الذكريات الحزينة من جديد.

- لقد كانت زوجتي محظوظة، يكفي أنها تعيش الآن في راحة وسكينة وهدوء.. على عكس حياتي أنا.. بالتأكيد حياتها أحسن حالًا من حياتي أنا.

ناول الكونت صورة مينا إلى جوناثان، ليضعها هذا الأخير في جيب سترته، وليطلب منه أن يجلس ليكتب إلى شركته، وأصدقائه، وإلى كل من يحب أن يعرفهم.. أنه سيبقى في ضيافته لمدة شهر!

- شهر.. ! هل تطلب مِنِّي سيدي الكونت أن أبقى كل هذه الفترة الطويلة لديكَ في القلعة.. ؟!.

قالها جوناثان في دهشة شديدة، واستغراب غير مفهوم.. حاول أن يفهم ما الذي يقصده الكونت بهذا الطلب المفاجئ الغريب، ولكن الكونت ردَّ عليه بسرعة تحمل صرامة شديدة ولهجة آمرة:

- أنا لن أقبل أي رفضٍ لطلبي.. أبدًا.

ليختم حديثه بضحكة شيطانية رددت القاعة صداها طويلًا، ليترك جوناثان وحيدًا، ويخرج من حُجرة المكتب، ومن خلفه ذلك الظِل..

الآن كان الشعور المسيطِر على جوناثان، أنه لن يرى حبيبته مينا مرَّة أخرى.. أنه الآن سجين في قلعة.. كل ركن فيها يحمل رائحة خاصَّة جدًّا..

رائحة الشيطان..

ورائحة الموت..

obeikandl.com

لوسي

obeikandl.com

obeikandl.com

الجنون والقلق كان هذا ما تشعر به مينا في تلك اللحظة.. خمسة أيام مرَّت على استلامها آخر رسالة من خطيبها جوناثان، وكان مبعث قلقها أن خطيبها قد أخبرها أنه سيرسل إليها رسالة يوميًّا ليخبرها عن أحواله، وليشعرها بعدم الوحدة.. وها هي خمسة أيام تمر عليها كأنها الموت ذاته.. أيام بطيئة.. مملة.. ومن داخلها هتفت وهي شِبه باكية.. متى ستعود جوناثان.. متى ستعود لترحمني من عذاب الانتظار.. إنني أموت بدونكَ؟.

كانت الوحدة قاسية عليها، خُصوصًا أنها بدون عائلة، حيث توفي جميع أفراد أسرتها في حادثٍ ولم يعُد لها أحدٌ في تلك الحياة.. الشيء الوحيد الذي جعلها تتحمل حياتها هي صديقتها المقربة والوحيدة ‹‹لوسي››.. حيث ذهبت للإقامة معها في منزلها الكبير الفخم.. حيث أن لوسي من عائلة (ويستن) الغنية الأرستقراطية.

صحيح أن جوناثان أخبرها أكثر من مرَّة وحذَّرها من أن لا تبقى مع لوسي مدة طويلة، حيث كان يخاف من أن تتعود على حياة البذخ والفخامة.. وهذا ما سوف يؤثر على نفسيتها حينما يتزوجان وتعيش معه في بيته المتواضع، حيث إنه مازال كاتب عقود صغيرًا في شركة استشارات قانونية.
كان الشعور المسيطر في قرارة نفسه أنه فقير جدًّا على الزواج ومتطلباته، ولكن حُبه لمينا وشعوره بحُب مينا له يجعله يصمد أمام تلك المخاوف من أن يفشل زواجه بسبب فقره وقلة المال.. لهذا كان يفعل المستحيل ليثبت نفسه في عمله.. وهذا هو الشيء الوحيد الذي جعله يغامر ويؤجل زفافه ويذهب بعيدًا كل تلك المسافة ليقابل ذلك الكونت المريب، الغريب

الأطوار.. صحيح إنه تردد ألف مرَّة بعد أن شاهد مستر رينفلد وما حدث له من لَوْثةٍ عقلية عنيفة بعد عودته من هناك.. إلا أن واجبه نحو نفسه ونحو حبيبته مينا جعله يقبل هذه المهمة بكل ما تحويه من مخاطر ومخاوف.
إنهما لوسي ومينا.. صديقتان منذ الطفولة.. صديقتان مختلفتان في كل شيء.. ومع هذا، فأنتَ تشعر بالدهشة الشديدة من علاقتهما القوية.. إنها ذات العلاقة بين الشرق والغرب.. بين الشمال والجنوب.. ومع هذا، فقد وجدت كل واحدة روحها في الأخرى.. يبدو أن كل واحدة تنظر إلى الأخرى على أنها تكمِّل الشيء الغير موجود في أعماقها.

لوسي تكمِّل مينا في ناحية الأنوثة الصارخة والجمال الشهواني، وتلك العبثية في اصطياد الرجال وتهافت الرجال من أجل إرضائها ومحاولتهم نيل استحسانها.. إن لوسي مثالٌ حي لكلمة امرأة شهوانية لَعُوب.. ترى متعتها في رؤية نظرات الحُب والغرام والاحتياج الجسدي في عيون الرجال، وكانت بخبرتها وغريزتها تعرف على وجه اليقين ما الذي يحتاجه الرجال.. لهذا كانت تلعب ببراعة على هذا الوتر الحساس.

أما مينا، فكانت تكمِّل لوسي في ناحية الخجل والحياء والاحتفاظ بالتقاليد.. إن مينا مثال حي لكلمة أنثى هادئة ملتزمة في كل شيء.. عيونها دائمًا تحمل الخجل.. دائمًا ما ترى العالم كله من خلال رجل واحد فقط.. هو حبيبها وخطيبها جوناثان هاركر.

صديقتان متناقضتان في كل شيء، مختلفتان كأنهما الليل والنهار.. ومع هذا لا تشعران بأي راحة إلا في وجودهما بجانب بعضهما بعضًا.. إنها ألاعيب النفس البشرية.. تلك الألاعيب التي تجعلنا نتوق دائمًا إلى وجود من يكمِّل نقائص أعماقنا.

obeikandl.com

منزل عائلة (ويستن)، إنه المنزل الذي دائمًا ما ينير كالشعلة في وسط الظلام بسبب كم الحفلات التي يشهدها هذا المنزل.. دائمًا زوَّار الحفلات من عُلِّيَّة القوم ونُبلائه وأصحاب ذوي النفوذ.. هناك في تلك الليلة، كانت لوسي في أبهى صورتها.. كانت دُرّة الحفل ونجمتها الساطعة والتي خلبت لُب الرجال جميعًا، وحسد وغيرة النساء.. إن لوسي لا تستقيم حياتها إلا إذا كانت دائمًا في النور وتحت الأضواء الساطعة، حيث يتناسب هذا مع شخصيتها المحبة للظهور وخطف الأنظار.

أمَّا مينا .. فدائمًا كنتَ تراها منزوية في ركنٍ هادئ من المنزل حيث لا أحد يهتم بها، مع إنها تتمتع هي الأخرى بجمالٍ رائع.. أو بمعنى أدق تخاف أن يلاحظها أي شخص.. كانت تخاف الرجال وتراهم في صورة الكائنات المتوحشة التي لا هَم لها إلا خطف الأنثى والاستمتاع بجسدها فقط.

كانت مينا تراقب لوسي بعناية وتراها وهي تتنقل من هذا إلى ذاك.. ولكن لوسي نفسها لم يخطف بصرها في كل الحفل سوى ثلاثة رجال فقط.. ومن داخلها أيقنت أنها ستكون زوجة لأحد منهم، ولكن من هو؟ لم تستطع أبدًا أن تحدد.. فقط لو كان مسموح لها أن تتزوج الثلاثة لانتهت تلك الحيرة في أعماقها.. هكذا كانت تتحدث مع نفسها.

(السيد كوينسي بي موريس، دكتور جاك ستيوارد، السيد أرثر هولموود).. الثلاثة يحبونها، وهي تحب الثلاثة في ذا الوقت.. إنهم مَصافّ وعُلِّيَّة القوم في لندن.. علاقه غريبة بين ثلاثة رجال وامرأة جميلة.. فاتنة.. تشبه المطر في الربيع.

كانت مينا مازالت في ذلك الركن تراقب ذلك العالم الذي يدور أمامها على

بُعد خطوات منها.. ذلك العالم الذي لا تستطيع مجرَّد التفكير أن تقتحمه، مع أن محاولات لوسي المستميتة معها جَعلتها أكثر جُرأة.. تذكرت وهي جالسة أن جوناثان خطيبها كان يقول لها دائمًا «إن عيب الأغنياء والطبقة الأرستقراطية إنهم دائمًا ما يقعون في فخ شهواتهم ونزواتهم الجامحة.. « ولكن مع كل هذا، فإنها تحب صديقتها لوسي بشدة وتحترمها أيضًا.. ولهذا هي لا تشعر بالدهشة من أن الرجال يتجمعون حولها مثل النحل حول ملكتهم الوحيدة.. كانت تتمنى في قرارة نفسها أن تكون مثل صديقتها؛ غنية، عاشقة، معشوقة، تخطف الأنظار، جريئة، شجاعة.

مع كل تلك الأفكار في أعماقها.. كانت تشعر أنها تعيش في عالمها الخاص، بعيدًا عن ضوضاء الحفل وضحكات الجميع.. شيء ما في عقلها الباطن أخبرها أن هناك من يتلصص عليها، يراقبها، حتى إنها شعرت بطيفٍ غريب يلمس عنقها.. في تلك الحديقة الخاصة بالمنزل، كان هذا الظلام الغريب يزحف ناحيتها ببطء..

ظلام يعرف هدفه جيِّدًا..

ظلام أرسله ملك الظلام والليل نفسه..

وهناك في أعمق تلافيف عقلها.. وداخل أعمق أعماق جسدها.. ترددت تلك الجُملة، بتلك اللغة التي لم تسمعها من قبل، وما أثار خوفها ودهشتها هو أنها فهمت تلك الجُملة جيِّدًا..

إنها لا تعرف أن تلك الجملة باللُّغة الرومانية القديمة، لُغة عمرها أكثر من أربعة قرون، لُغة حَملتْ إليها جُملة أثارت الرعب في أوصالها وهي تتردد داخلها بذلك الصوت الذي تشعر إنه قادم من الماضي السحيق:

«أنتِ حُب حياتي.. «

هكذا هتفَ صوت الكونت دراكيولا في أعماق مينا وهو يراقبها بعينيه من قلعته في جبال الكاربثيان..

عينان لا تعرفان سوى هدفٍ واحد.. أنها ستفعل المستحيل من أجل الفوز بـــ مينا.. ولن يقف في طريق تحقيق هذا الهدف أي مخلوق.. مهما كان ومهما كانت قوته.

بالدم خسر إليزابيتا.. وبالدم سيفوز بـــ مينا

***

في ساعة متأخرة من تلك الليلة.. بعد أن أنهى دكتور «جاك ستيوارد»، ذلك الحفل الصاخب في منزل لوسي.. ومع أن الوقت قد تعدى منتصف الليل بمراحل إلا أنه لم يذهب إلى منزله للراحة، بل ذهب حيث يعمل في مستشفى مقاطعة كارفكس.. لقد كان هو الشخص المسؤول عن هذا القطيع من المجذوبين الخطرين الذين لو تم إطلاق سراحهم لحولوا لندن إلى مقبرة جماعية أو إلى قطعة من جهنم ذاتها.

وفي حُجرة مكتبه الكئيبة، في ذلك المستشفى، وقف أمام جهاز «فونوجرافون» بدائي ليسجِّل ملاحظاته عن الحالة المرضية لمستر رينفلد.

- «أي أسلوب غريب يستعمله هذا الرجل؟ ما الذي جعل محاميًا قديرًا وناجحًا في وزن رينفلد يعمل في شركة كبيرة، بالإضافة إلى كونه عضوًا نشِطًا في أرقى نادي بلندن «نادي ويندهام».. ما الذي جعل حياته تتحول إلى النقيض بهذا الشكل المؤسف؟! الغريب أن حالته العقلية الطبيعية توقفت تمامًا، وبدأ ذلك الهذيان وإعلان رغبته في الدماء وكل تلك الأشياء الشنيعة التي تفجرت في أعماقه بشراسة.. كل هذا حدث بعد عودته من تلك الرحلة المشؤومة بترانسلفانيا.. وهذا ما نحاول جاهدين معرفة سِرِّه حاليًا.

أنهى ملاحظته، واتجه إلى زنزانة رينفلد.. مع أنه كان يكره وُلوج هذا المكان

بشدة؛ نظرًا لشناعة ما يراه دائمًا بداخله، ولكن رغبته في معرفة الحقيقة وفضوله العلمي كان يفوق أي إحساس بالاشمئزاز.

وهو في طريقه إليه.. كان يجوب بعينيه في أرجاء ذلك المكان البدائي والذي يشبه إلى حدٍّ كبير المعتقلات المحفورة في أعماق الأرض.. كائنات شبه ميته تتهادى أمامه.. هناك من نام وافترش على الأرض لا حول له ولا قوة، وهناك من يتحدث مع أشخاص لا وجود لهم، وهناك من يتشاجر مع نفسه.. كل هذا بالإضافة إلى الصراخ والهياج الجنوني الذي لا يتوقف لحظة في هذا المكان الشنيع.. إنها ملحمة تدور أمامه تثبت له أن من أمامه تحولوا من الصورة البشرية إلى صورة حيوانية حينما فقدوا عقولهم.

وهناك.. عند باب زنزانة رينفلد، أمر حارسها«جورج» ذلك الشخص القوي أن يفتحها وينتظر في الخارج، ويكون متأهِّبًا عند حدوث أي شيء.. وفي الداخل.. حيث الضَّوء الخافت جدًّا، وتلك الرائحة النتنة الخانقة.. كان رينفلد يمسك طبقًا أسود اللون ينخر فيه الصدأ.. وكان يضع فيه كَمِّية كبيرة من اليرقات والذباب والنمل والخنافس.. منظر رهيب مقزز.. جمد الدم في عروق دكتور ستيوارد، حينما عرف أن هذه الأشياء أصبحت الوجبة المفضلة لـ رينفلد!!.

وما إن رأه هذا الأخير حتى هبَّ واقفًا وهو يلوح له بهذا الطبق المقزز أمام عينيه، وكأنه يعرض عليه أن يشاركه هذا الطعام.

- لا شكرًا.. كيف حالكَ اليوم رينفلد.. ؟.

قالها ستيوارد وهو يخرج مفكِّرته ليدوِّن بها أية ملاحظات يراها على حالته التي تزداد غرابة يومًا بعد يوم.

ردَّ عليه رينفلد بتهكم وسخرية:

- أفضل حالًا من صحة طبيبي المريض!.

obeikandi.com

- طريقتكَ في إطعام نفسكَ مقززة للغاية رينفلد.. لماذا تهتم بكل هذه الحشرات؟.

أجابه رينفلد وهو يمسك دودة شنيعة المنظر ليضعها في فمه وهي مازالت تتلوى بتلك الرقصة الأبدية:

- إن كل أشكال الحياة تهمني يا دكتور!.. في الحقيقة لا تهتم بالشكل أو المنظر.. إنها كائنات مغذية وشهية جدًّا.. إن كل حشرة أبتلعها.. أبتلع معها حياة خاصَّة بها.. وكل حياة أبتلعها.. تعيد لي حياة جديدة مرَّة أخرى.. إنه عُمر فوق عُمري.

ردَّ عليه ستيوارد في فضولٍ شديد:

- إذن، الذباب والديدان والحشرات تعطيكَ الحياة.. كيف هذا يا رينفلد؟.

- بالتأكيد، هي تعطيني الحياة بطريقة سرية لن تعلمها أبدًا، ولكن أعلمها أنا!.

قال ستيوارد وهو يدوِّن شيئًا في مُفكِّرته:

- يجب أن أخترع لك تصنيفًا جديدًا في الأمراض النفسية.. إن حالتك العقلية لا تتشابه من قريب أو بعيد مع أي حالة رأيناها أو حتى درسناها في كُتب الطب!.

وفجأة.. جال شيء ما بخاطره، فأراد أن يتأكد منه ليعرف إلى أي مدى سيتمادى رينفلد في التهامه لهذه المخلوقات:

- إنكَ تأكل الذباب يا رينفلد لأنه يعيد إليكَ الحياة؟ ولكن العناكب تأكل الذباب.

- نعم تأكلهم.

هكذا هتف رينفلد وقد بدأ يفهم إلى أي مدى يرمي ستيوارد.

- وماذا عن الطيور؟ إن الطيور تأكل العناكب.

- نعم.. نعم.. إنها تأكلها.

obeikandi.com

كان رينفلد قد وصل لمرحلة السُّعار الجنوني وهو يواصل تخيُّلاته عن تلك الكائنات التي يتمنى التهامها، حتى إنه خرَّ على ركبتيه وهو يقول موجِّهًا حديثه لطبيبه:

- ماذا عن قطة صغيرة؟؟ ربما تأتي بها إليَّ لألتهمها.. أتوسل إليكَ.. سوف أفعل أي شيء تتمناه دكتور.. فقط أحضر لي أي شيء ألتهمه.. أتغذى عليه.

- وماذا لو أحضرت لكَ قِطَّة كبيرة الحجم ؟ أليست أحسن حالًا من تلك التي تطلبها وتطمع فيها رينفلد؟.

- نعم.. نعم.. أريد قِطَّة كبيرة.. قِطَّة كبيرة جدًّا.

شخَصَ رينفلد ببصره وهو يقول بصوتٍ مُتهدِّج من الانفعال:

- إنه يريد إنقاذي.. إنه يريد إنقاذي!.

هتف به (ستيوارد):

- إنقاذك..؟ مَن هو الذي يريد إنقاذكَ؟.

- أريد أي حياة.. إن الحياة ملك سيدي.. أريد أي حياة ألتهمها من أجل سيدي!.

- سيدك؟ أي سيد هذا الذي تقصده رينفلد؟.

كانت هذه من ستيوارد وقد غلبه فضوله الشديد وهو يهتف به، ولكن رينفلد لم يُعِرْهُ أدنى اهتمام.. وهو يتركه ويعطيه ظهره.. والفضول ينهش أعماقه لمعرفة عن أي سيد يتحدث هذا المجنون.. كان رينفلد واقفًا ناحية تلك النافذة، شاخصًا ببصره يمد يده وهو يشير بها إلى المجهول:

- إن سيدي سيحضر إلى هنا.. سوف يأتي.. لقد وعدني أن يجعلني خالدًا.

- كيف؟؟ كيف سيجعلكَ خالدًا؟.

قالها ستوارد وهو يصرخ في دهشة واستنكار وفضول شديد، ولكن رينفلد لم يجبه على سؤاله بلسانه، بل هجم عليه وقد جنَّ جنونه ليمسك بعنقه

يحاول أن يلتهمها وهو يصرخ.. لتُفتَح الزنزانة بقوة وسرعة ويدخل جورج، ومعه حارس آخر ليخلِّصا الدكتور ستيوارد من براثن رينفلد بمشقة، وبعدها انهالوا ضربًا عنيفًا عليه.. والذي كان مستمرًّا في حالة هياجه وصراخه الشديدين.. وهو يردد تلك الجملة بلا ملل ..

«الدم هو الحياة.. الدم هو الحياة.. الدم هو الحياة.. «

***

obeikandl.com

obeikandl.com

رعب في القلعة

obeikandl.com

obeikandl.com

(٣٠ مايو ١٨٩٧) في نفس الليلة ،، وعلى الجهة الأخرى من العالم .. هناك عند قمة جبال الكاربثيان، كان يجلس جوناثان في حجرته.. تلك الحُجرة التي تحوَّلت إلى سجنٍ لا يغادره أبدًا.. أمام تلك المرآة القديمة المعلقة على ذلك الجدار الذي يواجه النافذة، كان يقوم بحلاقة لِحْيته، وكان عقله يهدر من التفكير.. إنه يحاول أن يفهم أي شيء مما يحدث حوله، يحاول أن يستوعب كُنْه ذلك المخلوق الذي يعيش معه.. إنه لم يرَ في حياته مكانًا أكثر وحشة وغموضًا ورعبًا وظلامًا من تلك القلعة.. ولا حتى قابل في حياته مخلوقًا يماثل الكونت دراكيولا في طباعه وعاداته وأسراره وطريقة حياته ودخوله وخروجه لأي غرفة من غرف القلعة.

إنه واثق من أن الكونت لا يسير على قدميه.. إنه حتى لم يسمع صوت أقدامه ولو مرَّة واحدة طوال المدة التي قضاها هنا.. إن الكونت يهيم على الأرض.. يشعر وإن جاز التعبير بأنه يطير.. حتى ذلك الظِّل الغريب الذي يعكسه على الحائط، إنه موقن أنه منفصل تمامًا عن جسد الكونت نفسه، دائمًا ما يسبقه أو يتبعه، لم يرَه ولو مرَّة واحدة يفعل كما تفعل الظلال الطبيعية لأي شخص!.

أين الخَدم؟! لماذا لا يأكل الكونت أو يشرب؟ وما سِرُّ ذلك الغموض الذي يلتف حول كل جزء من حياته.. أشياء كثيرة كان يفكر فيها.. إن هناك أشياء كثيرة لا يجْرُؤ على الاعتراف بها أمام نفسه.. طريقة الكونت في النظر إلى صورة حبيبته وخطيبته مينا.. دائمًا نظراته تشعره بالخوف والرعب من ذلك المجهول.. كان يشعر مع مرور الوقت أن مينا تلعب من البداية دورًا في تلك القصة التي لا يعرفها ولا يعرف حتى بداءتها ونهايتها ولا يعرف

obeikandl.com

أبعادها.. إنه موقن أن كل هذا كان مرتّبًا من البداية بعقلٍ شيطاني.. أي جحيم رمى نفسه بين يديه.. هكذا هتف جوناثان في أعماقه.. ويبدو أن هذا هو السبب الوحيد الذي جعله يتذكر كلمات السيدة الغجرية في موقف (بورجو) حينما أعطته تلك الحِلْية التي تمثل المسيح المصلوب.. فارتداها لعلَّها تحفظه أو تزيل ذلك الخوف بداخله.

كان مازال يحلق لِحْيته، غارقًا في أفكاره ليشعر بيد الكونت الباردة توضع على كتفه.. وقد جعله هذا يَجْفل بشدة ويجرح نفسه، ويلتفت بسرعة ليرى أنَّ الكونت واقف عند باب الحُجرة.. كيف هذا وهو كان يضع يده على كتفي منذ لحظة واحدة؟!.

كان الكونت يحمل ملابسَ وأغطية جديدة لـ جوناثان.. وضعها على فراش الأخير.. واتجه إليه وكأنه يَهيم على الأرض.. حتى الباب ذاته أُغلِق من تلقاء نفسه.. أمَّا عن ذلك الظِّلِّ، فقد دخل الحُجرة بعد دخول سيده.

- أنا لم أسمعكَ آتيًا!.

كانت هذه من جوناثان وهو مازال يتحسَّس عُنقه المجروح.

- احذر، لقد جرحتَ نفسكَ.. إن هذه الأشياء خطيرة جدًّا.. أكثر خطورة مما تتخيل.

ردَّ عليه الكونت وهو يشير إلى شَفْرة (موس) الحلاقة التي لُوِّثت بالدماء في يد جوناثان.. كان يتجه إليه ببطء.. وما إن وصل خلفه تمامًا حتى انعكست صورة الكونت في تلك المرآة، فلم يتحمَّل النظر فيها.. فأشاح بوجهه بسرعة وهو يطلق صيحة مكتومة تحطمت على أثرها المرآة.. كان جوناثان واقفًا لا يفهم أي شيء مما يحدث حوله.. ما علاقة صورة الكونت بتحطُّم المرآة.. ، بل ولماذا تحطمت أصلًا!

- دائمًا هذا الزَّهْو في الرجال.. ربما أنتَ يجب أن تترك لحيتكَ حتى لا تجرح نفسكَ.

قالها الكونت وهو يأخذ من جوناثان آداة الحلاقة التي تلوَّثتْ بالدماء ليدير وجهه إلى الناحية الأخرى.. ليلعق الدماء التي عليها في شهوانية جعلته ينتعش.. وبعدها مدَّ يده إلى جوناثان وهو يقول:

- الرسائل؟ الرسائل من فضلكَ.. هل انتهيتَ من كتابتهم؟.

نظرة عينيه وهو يتناول تلك الرسائل.. إنها تلك النظرة الشبيهة بمكر ودهاء الذئاب.. حتى إنه اختطفها بفضول وهو يطالع تلك العناوين، وبعد أن اطمأن إلى أن الرسائل بحوذته، وقف خلف جوناثان ليقوم بحلاقة لحْية هذا الأخير.. وطبعًا كان جوناثان مستسلمًا ليد الكونت تمامًا، وكأنه ذبيحة في يد جزار دموي شره للدماء.. وبعد لحظات صمت بينهما، قال الكونت:

- يجب أن تترك هذه الغرفة، ليس من المعقول أن تظَلَّ حبيسًا لغرفتكَ طوال الوقت.. إذا أردت أن تنام في أي جزءٍ من أجزاء القلعة، فافعل هذا ولا تتردد.. صحيح أن القلعة قديمة، وكل جزء منها يحمل ذكريات سيئة.. لهذا أتمنى أن تكون حذِرًا وأنتَ تتجول فيها!.

لا يزال يحلق لحْية جوناثان ببطء، وأثناء رفعه لأداة الحلاقة، انعكس على نَصْلها الحاد تلك الحِلية التي تمثِّل المسيح، لتنعكس بدورها في أعين الكونت، ليزأر كالوحوش في شراسة وهو يفلت جوناثان من يده.. ليتجه هذا الأخير نحو النافذة ليقف بجانبها، بعد أن انخلع قلبه من صوت الكونت الغاضب. كان الكونت يوجِّه حديثه إلى جوناثان وهو يشير إلى تلك الحِلية المعلقة في عُنقه:

- لا تضع إيمانكَ في مثل هذه الأشياء.. إنها حِلية رخيصة، ونحن هنا في ترانسلفانيا.. وترانسلفانيا ليستْ مثل انجلترا.. نحن لنا طرقنا المختلفة لإظهار إيماننا.. نحن لنا أشياء أخرى قد تبدو لكم غريبة!!.

هتف جوناثان وقد فاض به الكيل وهو يرد على حديث الكونت:

- لقد رأيت بالفعل أشياءَ غريبة منذ أن دخلت هذا المكان الملعون.. تلك الذئاب الدامية الشرسة التي يطاردني عُواؤها طوال الوقت.. أي جحيم

أزرق هذا الذي تعيش فيه؟!.

ويبدو أن الذئاب قد سمعت اسمها يتردد، فجاءت أسفل النافذة في فناء القلعة لتعْوي بقوة.. وصداها يتردد في أنحاء القلعة وفي كل جبال الكاربثيان.

- استمع إليهم.. أطفال الليل.. إنهم يصنعون موسيقى رائعة!!.

قالها الكونت وهو يضحك بشهوانية وافتنان.. إنه مستمتع بصوت الذئاب إلى أقصى درجة.. حتى إن جوناثان هتف في دهشة واستنكار:

- موسيقى؟.. إنهم حيوانات شرسة!!.

تركه الكونت في هدوء وكما دخل الحُجرة غادرها وكأنه هواء.. وهو يجْري خلفه عباءته الحمراء النارية الطويلة، لينغلق الباب.. وبعدها خرج ذلك الظِلُّ ليلحق بسيد الظلال.

لم يعِرْه جوناثان أدنى اهتمام حيث لا يزال واقفًا بجوار النافذة يتطلع إلى الذئاب التي تنظر إليه بعيونها النارية.. وما هاله وبثَّ الرعب في أوصاله، أنه وجد الكونت يزحف على بطنه متسلِّقًا الحائط وكأنه لا توجد أي جاذبية أرضية.. يبدو وكأنه تحول إلى زاحف عملاق متنكر في ثياب آدمية.. وهو يطلق زَمْجرته ويزأر كالضَّواري المفترسة.. ومن خلفه كان ضوء القمر لامعًا، مكتملًا.. وقد بدأ الضباب يزحف نحو الجميع بما فيهم الذئاب التي ما إن رأت سيدها.. حتى علا صوت عُوائها بشدة وكأنها ترحب به.

ما إن اختفى الكونت دراكيولا مع ذئابه، حتى كان جوناثان قد عقد العزم على الهرب.. يجب أن يفعل المستحيل لكي يهرب من هذا الجحيم.. كان يلوم نفسه بشدة على أنه سلَّم تلك الرسائل التي كتبها بخط يده إلى شركته، وعائلته.. وأخيرًا خطيبته مينا.. ولكن كيف كان سيعرف أن كل هذا سيحدث من البداية..

الآن تأكَد أنه يعيش مع الشيطان نفسه.

***

obeikandl.com

كان يمشي في أروقة القلعة وهو يحمل تلك الشمعة السوداء.. يبدو أنها صُنِعَت منذ قرون هي الأخرى.. كان مُستمرًّا في الهبط على السُّلم الأسود الحجري لتلك المِنطقة من القلعة التي لم يجْرُؤ حتى في كوابيسه أن يقترب منها.

الظلام، الغبار، خيوط العنكبوت المنتشرة بكثافة.. كل هذه الأشياء أخبرته أنه لا أحد مشى في هذا المكان منذ أعوام طويلة جدًّا..
«هل معنى هذا أن الكونت بنفسه لم يمشِ في هذا الجزء؟!.. إنني لا أرى حتى أي آثار أقدام؟ ولكن منذ متى كان الكونت يحتاج إلى أن يترك أي آثار خلفه.. إنه كائن شيطاني، خارق للطبيعة!!!»
هكذا هتف في أعماقه.. حتى قطعَ صوت أفكاره وصوله إلى بابٍ خشبيٍّ عتيق.. سدَّ عليه نهاية الممر الذي كان يتجول فيه.. الغريب أنه لم يكن يدري منذ أن غادر غرفته أنَّ ظِلَّ الكونت يراقبه، بتلصص بدون حتى أن يشعر به ولو للحظة واحدة.

كان مترددًا بشدة أمام ذلك الباب، هل يفتحه أم يعود أدراجه، يحاول أن يبحث عن طريق آخر للهرب.. ولكن القدر لم يمهله تلك اللحظة، فقد انفتح الباب الخشبي بمفرده.. خطا جوناثان أولى خطواته داخل تلك الحُجرة.. وقف على عتبتها يجول ببصره في أركانها.. كان يشعر أن هذه الغرفة بالذات لها أهمية خاصة في حياة الكونت.. هناك صناديق مغلقة بعناية؛ حتى لا يدخلها التراب أو يد الإهمال.. وذلك الفراش الوثير الضخم، المغطَّى بطبقة غريبة، هو مزيج من الضباب والغبار.. إنه يشعر أن سطحه شبيه بسطح بحر صغير بتلك الأمواج المستمرة التي لا تتوقف أبدًا.

مدَّ يده إلى أحد الصناديق المغلقة ليرى ما بداخلها، فوجدَ فيها بعض من

obeikandl.com

العطور النسائية، يبدو أنها كانت تخص زوجة الكونت الراحلة.. مدَّ يده بحرص وهو يلتقط إحدى الزجاجات، وما إن فتحها، حتى انسالت منها قطرات، ولكن إلى أعلى الغرفة!!.. وكأن هناك قوة تسحبها إلى أعلى.. كان ينظر بدهشة وعدم فهم..

كيف تتصاعد تلك القطرات إلى أعلى بهذه الطريقة المنافية للطبيعة؟! كل شيء أسطوري وغريب ومخيف في تلك القلعة؟!.

هكذا هتفَ في أعماقه.. كان المكان صامتًا كالقبور.. بل أشد صمتًا..

«جوناثان.. !»

أجْفَل بشدة حينما سمع اسمه يتردد في تلك الغرفة.. وقف يجوب ببصره أرجاء الغرفة وهو خائف.. كان الصوت مازال يتردَّد، صوت نسائي ناعم، ناعس، رقيق، به لمحة شهوانية.. كان الصوت ينتشر في أرجاء الحُجرة،كأنه يمشي مع الهواء.. يتسلل إلى أعماقه.. يستحوذ عليه ويخدره.. يجعله مسلوب الإرادة، وكأنه نائمٌ.. خُصوصًا مع تلك اللمحة الشهوانية.

«تعالَ إليَّ جوناثان.»

وجد نفسه يسير مسلوب الإرادة لينام على ذلك الفراش، كان يشعر براحة وهو مستلقٍ وسط هذا الضباب، مخدَّرًا تمامًا، وذلك الصوت يسيطر عليه سيطرة تامة.

وعلى الفراش كان الضباب ينزاح تدريجيًّا.. حتى طبقة الغبار الكثيفة لم يعد لها وجود.. كل شيء كان نظيفًا لامعًا.. وكأنه صُنِعَ في تلك اللحظة.. ومن الفراش نفسه خرجت ثلاث نساء فاتنات شِبه عاريات.. كانتَ تخرجن واحدة تلو الأخرى في سلاسة ونعومة.. وكأن الفراش تحوَّل إلى قبرٍ تنهض منه الجثث النسائية.

ثلاث نساء فاتنات، جمالهن شهواني، يلتمع الشر في عيونهن.. إنهن نساء الكونت دراكيولا، ومَحْظيَّاته.. إنهن نساء الظلام.. تعِشْن لخدمة سيدهن فقط.. تخافنه وترهبنه مثل خوفهن من ضَوء الشمس.. كُنَّ موالين له

obeikandi.com

بالطاعة العمياء.
والآن جوناثان المسكين بمفرده وسط ثلاث مصاصات للدماء، كل هَمُّهن هو مص دمه وشبابه بمنتهى الشراهة.. كانت قد التفَّن حوله وأنيابهن الحادة تخترق كل جزء من جسده.. وهذا الأخير يئن ويتوجع.. كُنَّ أشبه بأخطبوط عملاق التصق بجسده بممصات قوية لا يمكن الفكاك منها أبدًا..

إنهن مَحْظيَّات الكونت بشرهن العاتي.. ذلك الشر الشبيه بالإعصار.. حتى إن تلك الحِلية في صدر جوناثان لم تتحمل كل هذا الشر المحيط بها فذابت هي الأخرى وتلاشت.. كان مخدَّرًا وضعيفًا لدرجة أنه لم يجد القدرة على منعهن من امتصاص دمائه.. شعر أنها النهاية.. مع إحساسه بأن روحه تنسحب منه..
وفجأة..
اندلعت النيران والدخان ليدخل الكونت وهو يصرخ فيهن بتلك اللغة الشيطانية القديمة:
- ماذا تفعلن أيتها المحتالات؟.
كان غضبه عاتيًا، ونظرة عينيه تحمل تهديدًا.. وما إن رأته نساء الظلام حتى دبَّ فيهن الرعب والخوف ليتركن جوناثان بسرعة، وتتجه كل واحدة للاختباء في رُكن الحُجرة لاتِّقاء شر سيد الظلام.. أمَّا جوناثان، فقد بدأ يفيق من تلك الغيبوبة ويشعر أن روحه تعود إليه، ولكن ببطء..
كان غضب الكونت هائلا .. مازال يصرخ فيهن ويلومهن وهو يقول:
- كيف تجرؤن على لمسه.. إنه يخصني أنا فقط!.
- ولكنكَ لم تحب أو تهتم بأي شخص طوال حياتكَ أبدًا!.
هكذا ردَّت عليه إحدى مَحْظيَّاته، ولكن الكونت بادرها قائلًا وهو يواجه عيونهن الشيطانية:
- نعم سوف أحب.. لقد وجدت الحُبَّ مرَّة أخرى.. لقد وجدت

حب حياتي الضائع.
أما جوناثان، فقد كان شِبه جالس على ذلك الفراش.. بل بمعنى أدق كان يشعر أنه مشلول من ذلك الكابوس الذي يدور حوله، والذي لا يعرف كيف يصحو منه.
كانت مَحْظيَّات الشيطان قد اطمأنوا إلى أن ثورة الكونت قد هدأت إلى حدٍّ ما، فبدأت تزحفن ناحيته وكأنهن آفاعي.. حتى وصلن تحت قدميه وهن يهتفن بدلال شهواني:
- هل هناك أي شيء أحضرته لنا الليلة؟.
نظر الكونت نظرة رضا إليهن، ليمد يده يلتقط طفلًا رضيعًا عاريًا يصرخ.. يبدو أنه سُرِقَ من أمه منذ فترة قصيرة.. وهو يناوله لهن.. وما إن رأينه حتى جنَّ جنونهن وازداد شبقهن الجنوني للدماء.. ليلتفوا حول تلك الضحية وتبدأن في مص دماء ذلك الطفل الرضيع بشراهة وهن يتصارعن عليه كالأسود.
كان جوناثان يصرخ في جنون وهو لا يصدق تلك الوحشية وما تراه عيناه من أهوال..
حنجرته تكاد تتقطع وهو يصرخ، ويصرخ، ويصرخ.. وجهازه العصبي قد احترق من مشاهدة كل تلك الدماء التي تسيل حوله.. أما الكونت، فقد كان يشاهد كل هذا بعينين صُنِعتا في جهنم.. وهو يطلق ضحكاته القوية في استمتاع شيطاني لتردد جَنبات القلعة ضحكاته.. طويلًا..
طويلًا.

***

عدة أيام وجوناثان راقدًا في تلك الغيبوبة.. ولا يزال في تلك الحُجرة التي شهدت هذه الأحداث الدامية.. لم يعرف كم مرَّ عليه وهو مستلقٍ مثل الموتى الأحياء.. الليل والنهار.. دقات الساعة.. الزمن نفسه.. لم يعد له وجود.. كان كل شيء حوله قد توقف في عقله عند تلك اللحظة التي رأى

فيها ذلك الرضيع وهو يتحوَّل إلى أشلاء بين أنيابهن جميعًا.

حينما أفاق من كابوسه وصدمته، عرفَ في أي جحيم ومع أي شيطان هو مسجون إلى الأبد.. كان أكثر شيء يجعله خائفًا هو تلك الرسائل التي كتبها إلى خطيبته مينا والتي فتحها الكونت طبعًا.. كان ينتقل من جزءٍ إلى آخر في القلعه نهارًا.

حتى وصلَ إلى أسفل جزء من القلعة.. كان يراقب بتلصص.. غجر الكونت الذين يخدمونه موالين له حد الموت.. والذين يعملون ليلًا ونهارًا ليملأوا تلك الصناديق الضخمة الكثيرة.. بتراب قَبْو القلعة.. وما لفت نظره باهتمامٍ شديدٍ أنه وجد على تلك الصناديق عنوان داره الجديدة حيث سيعيش الكونت في لندن.

«ولكن لماذا يملأون هذه الصناديق بكل هذا التراب الشبيه بتراب المقابر.. !»

هكذا كان يتساءل في دهشة ..

وقلق..

وخوف ..

***

obeikandl.com

obeikandl.com

أحداث متلاحقة

obeikandl.com

obeikandl.com

في حديقة منزل عائلة ويستن.. كانت مينا جالسة على وجهها سعادة لا توصف.. حيث أنها كانت قد استلمت في الحال خطابًا من خطيبها جوناثان هاركر.. فاختلَت بنفسها في ذلك الركن الهادئ لتطالع بلهفة وفضول ما جاء فيه:

«مينا الغالية.. كل شيء على مايرام هنا في ترانسلفانيا.. الكونت أصرَّ على أن أبقى معه مدة شهر.. لن أخوض في تفاصيل أو أقول لك أكثر من هذا سوى أنني أحُبُّكِ.. المُخلِص لكِ دائمًا.. جوناثان هاركر!!»

طوت الخطاب ورفعت عينيها إلى السماء في حيرة، كان وجهها يحمل مزيجًا من خيبة الأمل، ونظرات الدهشة والحيرة والقلق وعدم الفَهم.. هل هذا هو الخطاب الذي انتظرته طويلًا.. !

الشيء الوحيد الذي أنقذ مشاعرها من تلك الحيرة هو دخول صديقتها لوسي وهي تصرخ بفرحٍ:

- أحبه.. أحبه.. أحبه يا مينا .. إنه شيءٌ رائع جدًّا.. لقد اتخذت قراري وقلت نعم.. إنني أحبه بالفعل.. لورد ‹‹أرثر هولموود›› رقم ٣ في قائمتي.. أنتِ ستصبحين وصيفتي الشرفية الأولى وأنا عروس.

كانت تتحدث وهي في قمة السعادة والإثارة، ولكن كل هذا تبخر حينما رأت نظرات مينا الحائرة في شيء ما.. مما جعلها تقول لها:

- مينا، ماذا هناك؟ هذا هو اليوم الأكثر إثارة في حياتي.. أنتِ لا تبدين مهتمة بفرحي.

ردَّت عليها مينا بحزنٍ:

- أنا فقط قلقة للغاية بشأن رسالة جوناثان.. هذه الرسالة التي استلمتها منه باردة للغاية.. لا يوجد بها أي مشاعر.. إنها ليست تلك الرسائل التي تعودت أن أستلمها منه.. يبدو وكأن شخصًا آخرًا هو من أرسل

obeikandi.com

إليَّ تلك الرسالة، مع أنها بخط جوناثان!
أمسكت لوسي الرسالة لتطالع كلماتها القليلة.. لتُربِّت على يد صديقتها وتقول لها محاوِلة إزالة ذلك القلق في أعماقها:

- مينا لا تقلقي يا صديقتي.. كل شيء سيكون على ما يرام.

ولكن يبدو أن القدر لم يشأ أن تكون جملتها الأخيرة صحيحة، فمع آخر حرف نطقته من جملتها، أعلنت السماء والسُّحب أنها غير راضية عن حديث الصديقتين، ونزلت أولى قطرات المطر على وجهيهما.. في البداية جعلهما المطر تشعران ببعض السعادة وهما تطلقان ضحكاتهما كأنهما طفلتان صغيرتان تلعبان تحت المطر.. ولكن حتى هذا لم يستمر طويلًا، فسرعان ما تجمَّعَت تلك السُّحُب السوداء الكثيفة في السماء، ولكن ما أثار رعبهما حقًّا، هما هاتان العينان اللتان انطبعتا خلف تلك السُّحُب في مشهدٍ أثار الرعب فيهما.

عينان شيطانيتان.. تراقبان مينا و لوسي.. عينان مرعبتان..

لقد كانتا عيني الكونت دراكيولا ..

بنفسه .

***

في ذلك البحر الهائج والذي تحوَّلت أمواجه إلى جبالٍ من المياه.. ومع تلك الرياح الشديدة كالأعاصير والمطر.. كانت تخترق جبال الماء تلك السفينة الكئيبة المنظر والتي تشعر أنها صُنِعَت في جهنم ذاتها.

سجَّل النقيب ‹‹ديميتر››:

(إنني أسجِّل أحداث تلك الرحلة.. (٢٧ يونيو ١٨٩٧).. رفعنا ٥٠ من تلك الصناديق الكبيرة الحجم.. متجهين من ترانسلفانيا إلى لندن بإنجلترا.. لقد أبحرنا ظهرًا نحو عاصفة والتي يبدو أنها لا تمتُّ لعالمنا بشيءٍ.. إن السفينة يبدو أن قوة عاتية تحرِّكها نحو هدفٍ مجهول..)

ما لم يعلمه النقيب ديمتر قائد السفينة أو أحد من البحَّارة، أن تلك الصناديق

obeikandl.com

كان يستقر في أحدها الكونت دراكيولا بنفسه.. كان نائمًا في هدوء، ولكن أعماقه وروح الشر العاتي التي تجرى في تلك الدماء بجسده كانت تجعل الطريق إلى لندن وكأنه الجحيم ذاته.. كانت قوى الشر وروح الظلام قد تكاتفتا معه وأثرت على كل شيء.. لهذا كانت الطبيعة قلقة بشدة، وأعلنت عن قلقها بالبرق والرعد والمطر الغزير والسُّحُب السوداء الكثيفة والتي غطَّت ضَوء الشمس..

وهناك في حديقة الحيوان الضخمة بلندن.. كانت الفوضى تعُم كل شيء.. الحيوانات نفسها شعرت بتلك الموجة الروحانية الشريرة العاتية التي تتجه إلى أراضيها.. جميع الحيوانات تشاركت في الهياج، والصراخ مع صوت البرق والرعد والمطر والظلام حول الحديقة إلى لَوْحة مرعبة ما كان أحد يجْرُؤ على وُلوجها أبدًا.

وكان أكثر الحيوانات هياجًا هو ذلك الذئب الأبيض الضخم.. والذي كان يشعر بقدوم سيد الظلام بنفسه إليه.. مما جعله يفعل المستحيل .. لينسل هاربًا من قفصه .. ليلاقي سيده .. سيد الظلام .

***

(٣يوليو ١٨٩٧) مازال النقيب ديمتر يقود تلك السفينة ويسجِّل رحلته:
(لقد اقتربنا من مضيق جبل طارق.. مازالت تلك العاصفة الشرسة تتبعنا بإصرارٍ غريب.. يلاحقها ذلك المطر اللعين مع البرق والرعد وهو ما لم أرَه في حياتي من قبل!! إن طَقْم السفينة مضطرب، خائف، متوجس من تلك الرحلة المشؤومة.. إننا نعتقد بوجود شخص ما.. أو بمعني أدق شيء ما غير طبيعي يسكن تلك السفينة معنا)
فطوال تلك الرحلة البحرية، كان أمام الكونت دراكيولا غذاءٌ وفيرٌ من أجساد

ودماء البحَّارة المساكين، الذين وضعهم حظهم العاثر في تلك الرحلة، لم يكن أمامهم مفرٌّ، إنهم محبوسون على تلك السفينة.. وفي الخارج ذلك البحر الهائج الذي يتمنى ابتلاع أي بحَّار يفكر في إلقاء نفسه.. صحيح أنْ لا أحدَ كان يرى ما يحدث على وجه الدقة، ولكن كان اختفاء البحَّارة واحد تلو الآخر وأثار الدماء اللعينة والتي أصبحت موجودة بكثافة في كل ركن من أركان السفينة.. كل هذا كان كفيلًا ببث الرعب في قلوب أشجع البحَّارة .. ولكن لا أحد حتى أستطاع أن يقترب من تلك الصناديق السوداء القابعة فى أعماق السفينة .

***

وهناك في مصحَّة كارفكس.. كانت الفوضى تعُمّ كل شيء هي الأخرى.. تلك الأمطار المنهمرة بغزارة من سقف المصحَّة المليء بالثقوب الكبيرة؛ هياج المرضى بلا تفسير، ومحاولة السيطرة على هياجهم بدون أي نتيجة.. حتى إن رينفلد كان دائم الصراخ وهو يردِّد طوال الوقت:

- هو هنا.. إنه السيد الذي بيده كل أشكال الحياة.. إنني هنا أحل محلكَ يا سيدي.. لقد عبدتك من بعيد.. ولكن الآن أنتَ قريب.. سيدي.. أنا عبدكَ وأنتظر قيادتك..

وفي الجانب الآخر من تلك المصحَّة اللعينة، كان دكتور جاك ستيوارد .. مهتمًّا بشدة بما يحدث حوله ويحاول أن يسجِّل ملاحظاته عن ذلك الهياج والسعار الجنوني الذي أصاب الجميع.. ويبدو أن تلك الحالة الغريبة قد انتقلت إليه هو الآخر بدون أن يدري.. حتى شعر بحمى الهياج تجري في دمه، فما كان منه إلا أن حقنَ نفسه بالمُرفين ليظَلُّ يردد في شهوة ونشوة

« لوسى .. لوسى .. لوسى «

***

obeikandl.com

وأخـيرًا.. على شواطىء لندن، رست سفينة الشيطان.. سفينة الكونت دراكيولا.. في ليلة من أشنع الليالي التي مرَّت على تلك المدينة-كما وصفها جميع السكان-.. ليلة شارك فيها الجميع احتفالهم بوصول سيد الظلام: البرق، الرعد، المطر الغزير، القمر المكتمل الذي يلتمع خلف تلك السُّحب السوداء الكثيفة، عُواء ذلك الذئب المجنون.

جميع السكان قبعوا في منازلهم اتِّقاء شر تلك العاصفة العاتية.. تحولت شوارع لندن إلى لَوْحة رهيبة مرعبة قاتمة خالية من البشر، وقد أقسم البحَّارة الواقفون على رصيف الميناء أنهم رأوا ذئبًا هائل الحجم ذا شعر أسود كثيف يقفز من تلك السفينة بمجرَّد أن وصلت لرصيف الميناء.. لينطلق بعدها ذلك الذئب يركض بسرعة في شوارع لندن الضبابية الخالية من البشر..

ذئب له هدف واحد واتِّجاه لا يحيد عنه..
منزل عائلة ويستن..
هناك كانت لوسي نائمة في حُجرتها، على فراشها الدافئ.. وبدون أي مقدمات شعرت أن هناك قوة عاتية، قوة أكبر وأقوى منها بمراحل تتحكم فيها وتجبرها على مغادرة فراشها والنزول إلى تلك الحديقة وسط هذا الظلام والمطر الغزير والعاصفة العاتية..
كانت ترتدي فستانًا أحمر دمويًّا، كشف الكثير عن جسدها الأبيض وسيقانها، وحوَّلها إلى أنثى فاتنة بحق.. لم تكن تعرف إلى أين تتجه.. كانت تمشي باستمتاع تحت المطر.. تمشي بدلالٍ شهواني.. كانت نائمة مغناطيسيًّا.. ولكن كل هذا لم يهمها.. فقط هي كانت تشعر بمتعة داخلية غريبة.. حتى أنها لم تسمع صوت مينا وهي تنطلق خلفها وتصرخ منادية عليها..
وحينما لم تلتفت إليها لوسي.. هنا شعرت مينا أن صديقتها ليست على ما يرام.. هناك شيء ما خطأ.. لهذا استمرت تجرى وراءها بملابس النوم،

غير مبالية بذلك الطقس السيء.. كل ما كان يشغل عقلها فقط هو إنقاذ صديقتها لوسي من شيء مجهول لا تدري كُنْهه.

كانت ماتزال تجري وراءها.. حتى وصلت إلى تلك المِنطقة المنعزلة من الحديقة والخاصة بمدافن أسرة ويستن.. هناك تسمَّرت مينا مكانها وهي ترى ذلك المنظر الذي توقف قلبها خوفًا منه..

هناك كانت لوسي راقدة.. على تلك الصخرة الشبيهة بمذبح القرابين.. كانت نائمة.. تتأوه.. وتتوجع.. وتصرخ.. ولكن ليس هذا ما أثار الذعر والرعب في نفسها.. ، بل ذلك الشيء الجاثم على جسد صديقتها كالكابوس.. في الأول ظنَّتْه وحشًا .، ولكنه كان يبدو في صورة إنسان ضخم مليء بالشعر الكثيف.. كان يغتصب صديقتها لوسي .، ويمتص دماءها بذلكما النابين الحادين البارزين في شراسة.

مينا لم تشعر بالمطر ولا البرق ولا حتى سمعت دوي الرعد.. كل ما شعرت به فقط هو تلك العينان الحمراوتان بلون الدم والتي يحدقها بهما ذلك المخلوق.. وما أثار فزعها هي تلك الأسنان الحادة والنابان البارزان واللتان يقطر منهما دم لوسي..

وفي تلك اللحظة الْتمع ضَوء البرق على وجه ذلك المخلوق.. وهنا أيقنت أنها رأت تلك العينين من قبل.. لقد كانتا نفس العينين اللتين تختلسان لها النظر في الحديقة.. ذات العينين اللتين رأتهما منطبعتين على صفحة السماء خلف السُّحُب الكثيفة.

إنهما عينان الكونت بنفسه.. أمَّا الكونت فقد هتف في عقلها:

«لا.. لا تنظري إليَّ.. أنتِ يجب ألا ترينى على تلك الحالة أبدًا .»

obeikandl.com

ليسْطع ضَوءٌ شديدٌ في عقل مينا، وبعدها لم ترَ ذلك المخلوق الذي اختفى وتبخَّر.. في تلك اللحظة فقط جرت على صديقتها لوسي؛ لتساعدها وتجبرها على الوقوف وتدخلها المنزل.. أمَّا لوسي فقد كانت في حالة مُزرية، خائفة، ترتجف بشدة:

- أنا لا أستطيع أن أُسيطر على نفسي يا مينا..

كانت مينا تحتضنها محاولة أن تبث بداخلها بعض الطمأنينة، في حين أكملت لوسي:

- كان هناك هذا الشعور المؤلم.. لقد كنت نائمة.. وفجأة، شعرت بتشويش وهياج داخلي.. روحي نفسها كانت تترك جسدي.. لقد سحبني وأغراني بصوته.. لم أستطع أن أسيطر على جسدي.. تلك العيون الحمراء.. مازلت أراها في أعماقي.. حتى ذلك الطعم.. إن طعم الدماء مازال في فمي.. أشعر به.. إنني أشعر أنني أموت يا مينا .. أموت.

احتضنتها مينا أكثر لتعطيها بعض الدفء.. ولكن في قرارة نفسها كانت تشعر أن هناك شرًّا وقوة سوداء سكنت مدينة لندن، وكانت أولى ضحاياها في تلك الليلة هي صديقتها لوسي.

ألقت نظرة طويلة على تلك الحديقة والتي أصبحت مخيفة في نظرها بعد كل ما شاهدته من أحداث شنيعة في تلك الليلة..

هي كانت ترتجف بشدة.. تشعر بالخوف.. ولا تعرف ماذا تفعل.

هي الأخرى مازالت تتذكر تلك العينين بلون الدم اللتين انطبعتا في أعماقها.

دعت الله أن ينهي هذا الكابوس.. ألقت نظرة على صديقتها، لتجدها قد ذهبت في نومٍ عميق.. لتجلس بجانبها تمسك يدها.. كانت تنتظر وُلوج ضَوء النهار ليبدد ذلك الظلام المحيط بها من كل جانب.

وفي خارج الحديقة.. كانت تلك العينان الحمراوتان بلون الدم.. تراقبها بعناية..

عينان.. أتى صاحبهما من الجزء الآخر من العالم..

عينان أتى صاحبهما من أجلها هي..
عينان تحملان حب أربعة قرون..
عينا الكونت دراكيولا..
بنفسه.

***

obeikandl.com

اللقاء المنتظر

obeikandl.com

obeikandl.com

(٧يوليو ١٨٩٧).. في الصباح الباكر هناك في أطراف لندن.. وبالتحديد في منزل الكونت الجديد.. إنها نفس المِنطقة المنعزلة والتي تقع بالقرب منها المصحَّة النفسية.. كل شيء تغيَّر إلى النقيض.. سِمْفونيَّة الرعب صمتت.. الأمطار والرعد والبرق والهياج الذي صاحب الحيوانات قبل البشر.. كل هذا تحوَّل إلى هدوءٍ تامٍّ.. يبدو أن الجميع استنفذ طاقته ليلة أمس ابتداءً من الطبيعة، مرورًا بالبشر وانتهاءً بالحيوانات.. لهذا كان الجو صحوًا رائقًا.. وهذا ما ساعد العمال في أن ينقلوا الصناديق الخمسين بهمة ونشاط؛ لتفريغها وتجهيز المقر الجديد.. وعلى الناحية الأخرى من المِنطقة، كان رينفلد يقف متعلِّقًا بقضبان تلك النافذة العالية في زنزانته.. كان يراقب بشغف وفضول وصول تلك الصناديق، كان يعلم يقينًا أنه في إحدى تلك الصناديق يقبع سيده الكونت دراكيولا.. منتظرًا اللحظة المناسبة ليخرج ويواجه لندن وليحقق حُلم حياته.. كان شعور رينفلد بأنه الآن بجانب سيده يعطيه القوة ويجعله متشوِّقًا طوال الوقت للقائه ورؤيته مما أورثه شعورًا بالهيجان والصراخ طوال الوقت وهو ينادي سيده ويقول:

- سيدي.. إنني هنا أحل محلكَ.. سيدي أنا هنا.. أنا عبدكَ المُطيع.. سيدي!!

***

(على النقيض من بعض الاعتقادات الخاطئة.. فإن مصاص الدماء مثله مثل أي مخلوقٍ ليلي آخر.. صحيح هو يعيش دائمًا في الظلام.. ولكن يمكنه أيضًا أن ينتقل في ضَوء النهار.. ولكنه بهذا يضحي بأن يكون في أوهن حالاته وشروره وقوته.. وهنا تكمن الخطورة على حياته.)

***

انتهى أخيرًا العُمَّال من رصِّ تلك الصناديق.. وهناك في ركنٍ مظلم من منزل الكونت الجديد، كان يقبع صُندوق أسود ضخم منزوٍ، منعزل عن باقي الصناديق.. من ذلك الصُّندوق خرج الكونت دراكيولا.. محطِّمًا إياه بقوة كاسحة.. لم يعد ذلك العجوز المُتغطِّن الوجه ذو الشعر الأبيض والصوت الذي أنهكته تلك القرون الطويلة..

كان قد تحوَّل بفعل كَمِّيَّات الدماء الرهيبة التي امتصها من البحَّارة ومن لوسي إلى شابٍّ قوي، ذي جسد وصحة واضحة.. شاب ترى في عينيه إصرارًا بلا حدود.. وفي عينيه لمعة وثقة لا متناهيتان.. كان يمتلك جمال وسحر وخطورة أفعى نشيطة.

***

أمَّا بخصوص العناوين الرئيسية للجرائد في هذا اليوم
(جريدة الجازيت): هروب ذئب ضخم من حديقة الحيوان.
(جريدة التايمز): تسجيل أغرب عاصفة عاتية تمر بجميع البلاد.
(جريدة الأستاندرد): فقدان جميع طَقْم مركب شراعي في غموضٍ مريبٍ.

***

في الثامنة مساءً من نفس اليوم..
كان الكونت دراكيولا يمشي في شوارع لندن المليئة بالبشر، بعد أن سُجِنوا في منازلهم طوال مدة العاصفة.. كانت الحركة والنشاط هما العنصرين السائدين على كل لندن.. وهناك وسط أكبر ميادين لندن، وقف منادٍ يقول بصوته الجَهْوري بلا كلل أو ملل:

«شاهِد الصور السينمائية المدهشة.. حديث العالم كله.. أعجوبة الحضارة الحديثة.. جاذبية القرن.. شاهد الأعجوبة الحديثة للعِلم.»

كان الكونت واقفًا يستمع إليه وهو يجوب ببصره الحاد المتفرِّس بعناية في جميع المـارة.. يراقبهم بعينٍ كالصقر تبحث عن فريسة محددة.. فريسة اسمها مينا .. كان واقفًا مختلفًا تمامًا عن هيئته السابقة في قلعته بترانسلفانيا؛ متأنّقًا، وسيمًا، جذابًا، يرتدي حُلَّة فاخرة.. شاب مليء بالحيوية والثقة بالنفس إلى أقصى درجة.. لا يزال واقفًا.. يراقب بعناية كل ما يدخل مجال بصره.. الآن توقَّف بصره عند نقطة بعينها..

ومع توقف بصره خفق قلبه بعنفٍ غريبٍ.. لقد شعر أن كل خلية في جسده ترتجف بقوة.. لقد نسي هذا الشعور منذ قرون طويلة.. والآن يشعر أنه عاد بالزمن إلى الماضي حينما كان في حضن زوجته إليزابيتا.. إنه نفس الشعور.

عيناه كانتا مرتكزتين على شيءٍ واحدٍ فقط.. إنها مينا .. الصورة الجديدة لزوجته الراحلة إليزابيتا..

الإنسانة الوحيدة التي لم ولن يحب سواها..

هناك كانت مينا تمشي بخفة كالنسيم.. فاتنة.. متألقة.. خجولة.. رقيقة مثل حبَّات الندى على سطح زهرة بكر.

كان الكونت يلتهمها بعينيه.. يشعر أن عينيه وقلبه جائعان لذلك الوجه.. إنه جوع استمر أربعة قرون..

كانت تتجه إلى تلك الصيدلية، وبدون أن يحرك شفتيه أو حتى يصدر أدنى صوت.. هتف من أعمق أعماقه.. مخاطبًا أعماقها:

«مينا.. انظري إليَّ.. انظري إليَّ الآن.»

على الناحية الأخرى، كانت مينا تستعد لدخول تلك الصيدلية.. لم تدرِ لماذا

توقفت فجأة لتنظر إلى الناحية المقابلة لها.. إرادة أقوى منها جعلتها تلتفت لتتلاقى عيناها في عيني ذلك الشخص الغريب الذي يراقبها باهتمامٍ شديد.. ثم بعد ذلك أشاحت بوجهها في خجلٍ لتكمل طريقها..

- الذئب الهارب مازال طليقًا.. هل تريد صحيفة ياسيدي؟»

هكذا هتف صبي الجرائد وهو يناول الكونت صحيفة، فما كان من هذا الأخير إلا أن أخذها وهو يناول الصبي النقود.. وهناك على الزجاج المواجه له والخاص بالصيدلية والذي يعكس جميع المارة بالشارع وكل التفاصيل بلا استثناء.. إلا شيء واحد مهم.. الكونت ذاته.. لم يكن يظهر وكأنه شبح أو هواء.. فقط الصحيفة في يده هي من كانت تظهر معلَّقة في الهواء.

استعدت مينا للخروج، وانتقل الكونت بسرعة البرق ليعبر الشارع ليصطدم بها عن عمد.. لتسقط منها زجاجة الدواء ،، ولكنه التقطها بسرعة وخفة وبراعة، لتلتمع في أعين مينا نظرة دهشة من رد فعله السريع.. ليقول لها الكونت و هو يرسم على وجهه ابتسامة اعتذار:

- أقدِّم إليك اعتذاري وأسفي المتواضع.. اعذريني لجهلي بهذه المدينة.. لقد وصلت مؤخَّرًا من الخارج وأنا لا أعرف مدينتكِ.. وبما أنكِ سيدة جميلة فإنني أود أن..

قاطعته مينا في برودٍ وصرامة لتقول له بسرعة وهي تكمِّل طريقها:

- هذه ليست مشكلة، يمكنك شراء أطلس خاص بطرق المدينة ومعالمها.. طاب يومكَ.

ارتسمت خيبة أمل واضحة على وجه الكونت بعد أن تركته مينا وأكملت طريقها في سرعة.. ولكنه كائن لا يستسلم أبدًا.. لقد خُلِق ليحقق أهدافه بأي وسيلة كانت وهو لا يعرف الهزيمة أبدًا.

لحق بها وهو يقول:

- إنني أبحث عن الصورة السينمائية؛ أعجوبة العالم المتحضِّر.
- إذا كنت تريد أن تزوِّد ثقافتكَ، يمكنكَ أن تزور المتاحف ولندن

obeikandl.com

مليئة بهم.. اعذرني، فأنا في عجلة من أمري.
كانت كلماتها سريعة وردودها حادة.. تركته وأكملت طريقها إلى منزلها في سرعة وحزم.. وأثناء دورانها خلف ذلك المبنى، وجدت أمامها الكونت واقفًا.. ارتسمت الدهشة على وجهها.. فكيف وصل هذا الشخص إلى تلك النقطة بهذه السرعة ولم ترَه، لقد حسبتْه أنها تركته خلفها.. كان لحوحًا، مُصرًّا بحزمٍ غريبٍ على أن يحدِّثها بأي شكل.. وفوجئت به يقول لها في جرأة غريبة:

- امرأة رائعة وجميلة وذكية مثلكِ ينبغي أن لا تمشي في شوارع لندن بمفردها دون أن يرافقها رجل.

- لقد تعديت حدود اللياقة والأدب.. هل أعرفكَ يا سيدي؟ هل تعرف زوجي؟؟ سوف أستدعي الشرطة.

قالتها مينا بصرامة وشراسة لم تعهدهما في نفسها من قبل.

- زوجكِ؟!.. أنا لن أضايقكِ أكثر من هذا.. اعذريني يا سيدتي.

ردَّ عليها الكونت بخفوت وأسف وهو يتركها ويستعد أن يمشي في الاتجاه الآخر.. شعرت مينا أنها كانت سيئة الطباع مع ذلك الشخص، فما كان منها إلا أن أوقفتْه وهي تقول له بنبرة آسفة:

- سيدي، بل أنا التي كنت وقحة.. إذ أنتَ نظرت إلى الـ..

قاطعها الكونت في أدبٍ وهو يرفع قبعته في احترام كأي رجُل نبيل متحضِّر في عصره:

- اسمحي لي أن أقدِّم نفسي إليكَ يا سيدتي.. أنا الأمير ‹‹فلاد››.

- أمير!.

شعرت مينا بدهشة مضاعفة من أنه يوجد أمير يهتم بها ويلاحقها بهذا الشكل.. مع وجود كثيرات يفوقونها جمالًا وثروة.. وهذا ما جعلها تشعر بالسعادة الحقيقية في أعماقها حينما اختارها هذا الشخص بالذات من وسط جميع النساء الذين يملأن الطرقات، ردَّت عليه وعلى وجهها ابتسامة عذبة:

obeikandl.com

- وأنا مينا موراي.

اقترب الكونت منها وهو ينظر في عينيها الساحرة ويقول:

- أنا خادمكِ المتواضع.. لي كل الشرف يا سيدة مينا أن ترافقيني.

- من هذا الطريق يا سيدي توجد السينما.

قالتها مينا وعلى وجهها ابتسامة مشرقة وهي تغيِّر اتجاهها مع الكونت، ليذهبا سويًا لمشاهدة السينما.. إنها الآن مع رجل غريب عنها.. ويالها من تجربة جديدة.. لهذا تركت نفسها لتشعر بتلك المشاعر الجديدة تمامًا عليها والتي لم تجرِّبها من قبل.

هي نفسها لا تعرف السر الغامض وراء هذا الشخص الذي يمشي بجوارها.. هناك شيء ما مألوف في صوته يجعلها تطمئن له.. هناك شيء ما في نظرة عينيه.. إنها تلك القوة الكبيرة الغامضة التي لا تجد تفسيرًا لها..

لقد أصبحت ترى شيئًا واحدًا فقط.. أنها سعيدة للغاية.. وهذا يكفي من وجهة نظرها.

***

في نفس اللحظة.. في منزل عائلة (ويستن)..

كان دكتور جاك ستيوارد، يدخل إلى منزل لوسي وهو يقول لكبير الخدم:

- مساء الخير بتلر، إن السيد ‹‹أرثر هوملوود›› قد طلب مِنِّي التوقف لرؤية الآنسة لوسي والاطمئنان على صحتها.

قاده كبير الخَدم إلى حيث توجد لوسي.. كانت ترتدي فستان زفافها كنوع من أنواع الإعداد (البروفة) قبل حفل زفافها.. التفتت إلى جاك وهي تقول له بسعادة:

- جاك.. دكتور جاك الرائع.. كيف حالكَ؟ مارأيكَ في ثوب زفافي.. ؟

فوجيء جاك بـــ لوسي.. ما هذه الحالة المُزرية التي وصلت إليها.. لم تكن تلك الوردة المتفتِّحة التي طالما تغزَّل في جمالها وبشرتها المتألقة النضرة، ولا تلك الحيوية التي كانت تشع من جميع أجزاء جسدها.. كانت على النقيض

تمامًا؛ شاحبة.. هزيلة.. عيناها شبه زائغتين.. الآن تيقَّن أن هناك أمرًا جللًا يحدث لها.. أمرًا يؤثر على صحتها.. هناك شيء ما بداخلها ليس على مايرام!
كان سارحًا في أفكاره حينما قالت له لوسي:

- هل خطيبي أرثر هوملوود هو من أرسلكَ إلى هنا؟.

- لوسي، إنني هنا كطبيبكِ.. إن خطيبكِ قلِق جدًّا بشأن تدهور حالتكِ الصحية، ويبدو أنه على حق تمامًا في هذا القلق.

كانت لوسي قد شعرت بإرهاق شديد من وقفتها، فنامت على الأريكة، فسحب دكتور جاك مقعدًا، وجلس أمامها وهو ينظر لعينيها ويقول في اهتمام يحمل لمحة حنان:

- ثقة الطبيب مقدسة يا لوسي.. يجب أن أحصل على ثقتكِ التامة.. يجب أن تصارحيني بكل شيء حتى أستطيع أن أساعدكِ.

صمتت لوسي فترة قصيرة.. كان هناك ذلك الصراع بداخلها.. تقاوم في أعماقها شيئًا ما.. في النهاية أمسكت يد جاك لعلَّها تستجمع بعضًا من شجاعتها التائهة وهي تقول بصوتٍ مرتجف:

- أرجوكَ ساعدني يا جاك.. أنا لا أعرف ما الذي يحدث لي هناك، تغيُّر شنيع، أنا لا أعرف ما هو، ولكن أشعر به.. كل شيء يتغيَّر بداخلي.. لقد أصبحت حواسي غريبة.. أسمع من حجرتي أصوات همس الخَدم بعضهما لبعضٍ في الناحية الأخرى من المنزل.. حتى الفئران في الحديقة أسمع أصوات خطواتها بقوة كأنها أقدام قطيع من الفيلة العملاقة تعدو بداخل منزلي.. دائمًا لدي كوابيس مروعة يا جاك.. ودائمًا هناك تلك العيون النارية التي تطاردني في كل مكان أذهب إليه، حتى وأنا نائمة.

كانت تبكي في ضعف وجسدها يهتز من الانفعال والخوف.. فما كان من جاك إلا أن أخرج زجاجة المُرفين وملأ مِحْقنه وهو يربِّت على يدها.. بدأ جسدها يهدأ تدريجيًّا بعد أن أفرغ المِحْقن في ذراعها.

- لا تخافي لوسي من أي شيء سيؤذيكِ.. سوف تتحسن حالتكِ،

وسوف أظَل بجانبكِ ولن أتركَكِ أبدًا حتى تشفي تمامًا.

- شكرًا لكَ يا جاك..

وفي الخارج عند عتبة المنزل.. كان السيد موريس، والسيد أرثر خطيب لوسي، قد حضرا على ظهري حصانهما لكي يطمئنا على صحتها.. وقد وصلا في نفس لحظة خروج جاك.. والذي فوجىء بهما أمامه.. وهذا ما جعله يشعر ببعض الراحة والاطمئنان.. ، بل إنه يشعر بالحيرة من حالة لوسي العجيبة التي لم يرَ مثلها أبدًا من قبل.. هتف به أرثر:

- أهلًا جاك.. كيف حال مريضتنا الجميلة اليوم؟.

- بصراحة أنا مرتبك من حالتها!.

قالها جاك في حيرة وعدم فَهم حقيقين.

ردَّ عليه موريس في دُعابة سمجة وهو يضحك:

- هل مازلت مكتئبًا من أنها ستتزوج شخصًا آخرًا غيركَ يا جاك؟!.

لم يلتفت إليه جاك أو يرد إليه الدُّعابة، كان عقله فعليًّا مشغولًا بحالة لوسي وهو يقول في اهتمامٍ:

- يجب أن يكون هناك تفسير طبي عقلي لحالتها، إنها تتدهور بسرعة شديدة.. وأنا أقف عاجزًا لا أعرف ماذا أفعل لإنقاذها..

فجَّرت كلماته كل القلق في أعماقهما، حتى إنهم دخلوا سريعًا ناحية لوسي؛ ليرياها عن قرب.. كانت ما زالت شبه نائمة على تلك الأريكة، وتأثير المُرفين يجري في دمها.. تئن وتتوجع.. حتى صوت أنفاسها كان قويًّا، لاهثًا وكأن هناك حجرًا ثقيلًا يجثم على صدرها ويجعل تنفُّسها عسيرًا.. وجهها أيضًا كان شاحبًا بشدة وكأنه لا يحوي أي دماء.

إنني أعترف أمامكم ياسادة بأنني مرتبك ومشوَّش للغاية.. لقد أرسلت في طلب ‹‹أبراهام فان هيلسنج›› طبيب الأمراض الغامضة والخبير بالظواهر فوق الطبيعية، لعلَّه يفيدنا في تلك الحالة.

قالها جاك وكأنه يتمسك بآخر أمل لديه، حتى إن أرثر، ردَّ عليه بسرعة:

obeikandi.com

- إنه إنسان غريب الأطوار.. يبدو أنه أشبه بالمشعوذ وليس بطبيب يقوم بتدريس الطب.

التفت إليه جاك وهو يقول بحماس:

- بالعكس، إنه عالم بارع في الأمراض والظواهر الغامضة، وهو مُعلمي وناصحي دائمًا.. ودائمًا ما يعرف أشياء كثيرة عن كل ماهو غير مفهوم في هذه الحياة.. إنه أملنا الأخير لإنقاذ حياة لوسي، وبدونه لن نفعل أي شيء، سنظَلُّ هكذا واقفين أمام حالتها في ارتباك وحيرة وضعف، إلى أن نفقدها إلى الأبد.

قال موريس.. وقد أتت كلمات جاك مفعول السحر بداخله وهو يقول في صرامة وسرعة:

- افعل ذلك يا رجل، أحضره إلى هنا بأقصى سرعة، مهما تكلَّف هذا.. لا تُضيِّع لحظة واحدة.

وحينما غادر الثلاثة المنزل، كانت أعماقهم تنبئهم أنَّ الساعات القادمة ستكون مختلفة تمامًا عن أي ساعات مرَّت عليهم طوال حياتهم.

أما لوسي.. فكانت لا تزال نائمة بمفردها، وامتدت يدها غريزيًّا لتزيل تلك الحِلْية الضخمة التي تلتف حول عُنقها بالكامل.. في الحقيقة لم يكن أحد يعرف لماذا تغطي عنقها بتلك الحِلْية الضخمة.. هي وحدها كانت تعرف السر.

كانت قد وضعتها لتغطِّي بها على آثار الثُّقبين الشرسين المنظر الموجودين في عُنقها.. تجويفان يحملان إليها ذكرى شنيعة.. تجويفان صُنِعَا بواسطة كائن مرعب.. امتصَّ دماءها بشراسة..

كائن اسمه..

(دراكيولا).

***

في نفس الليلة.. .في تلك القاعة الكبيرة التي تعرض أعجوبة العِلم في ذلك الوقت كما يقول البشر.. وقف الكونت ومينا وسط ذلك الجمع الغفير من

obeikandl.com

رجال ونساء يشاهدون السينما.. كل شيء كان بالنسبة لهما أشبه بالسحر وهما يريان البشر يتحركون أمامهم وتدب فيهم الحياة على تلك الشاشة البيضاء.. حتى إن الكونت مال على أذن مينا وهو يقول:

- أنا مندهش.. حقيقي أنا مندهش للغاية.. يبدو أنه لا حدود للعِلم.

ردَّت عليه مينا بتساؤل:

- كيف تسمي هذا الهراء عِلمًا؟!.

لم يردَّ عليها الكونت، إنما نظر في عينيها مباشرة.. حتى إن مينا شعرت بالخجل والحرج من نظراته الجريئة، فأشاحت بوجهها في خجلٍ وهي تقول:

- أنا ما كان يجب أن آتي إلى هنا معكَ.. يجب أن أذهب الآن..

أخذت قرارها بسرعة وتركته حتى دون أن تقول كلمة وداع.. كانت تهرب منه ومن نفسها ومن تلك المشاعر الغامضة التي تتولد داخلها ناحيته وتكبر مع كل لحظة منذ أن تعرَّفَت عليه.. وكان هذا يشعرها بالحزن.. إنه نوع من أنواع العقاب الذاتي الذي تمارسه أعماقها عليها بعد أن شعرت بتأنيب ضمير.. لأنها تقف وتخرج وتتحدث مع رجل آخر غريب عنها.. رجل آخر غير خطيبها (جوناثان هاركر).. لهذا قررت أن تكتفي من كل هذا وتترك كل هذا وراء ظهرها وتبتعد عنه.. ويكفي أنها خاضت تلك التجربة وسمحت لنفسها أن تأتي معه إلى هذا المكان..

مشت خطوتين فقط.. وكان الكونت واقفًا يراقبها وهي تبتعد عنه.. وبسرعة اتخذ قراره في لمح البصر.. ليذهب إليها ويطوقها بذراعيه، يحتويها، يحضنها.. كان ممسكا بها في قوة.. وكانت عيناه الحادتان.. مركزتين على عينيها وهو يقول في صوتٍ عميق:

- مينا.. لا ترعبيني بتصرفاتكِ..

أما مينا نفسها، فكانت تشعر أنها مثل الغزال الصغير التي وجدت نفسها بين أنياب تمساح عملاق.. دبَّ الرعب في أوصالها حينما مشى بها الكونت بتلك

الطريقة الهائمة.. شعرت أن قدمها لا تلمس الأرض، وأنما تطير عليها.. كان الكونت يجرها جرًا إلى تلك القاعة الخاوية الملحقة بقاعة السينما.. كانت بمفردها معه.. مرعوبة.. وزاد من رعبها أنه أجبرها على النوم على تلك الأريكة وهو يقترب منها.. مما جعلها تتوسل إليه في رعب شديد.

- أرجوك.. أرجوك توقف عن ذلك..

لم يعرها الكونت أدنى اهتمام، ولم يتوقف، بل ازداد قُربًا منها وهو يتحدث بتلك اللغة الرومانية القديمة قِدَم الزمن نفسه.. كان يتحدث بصوته العميق القادم من أغوار سحيقة.. كانت عيناه مركزتين على عيني مينا .. وهنا انتبهت مينا إلى تلك العينين.. نعم إنها رأت تلك العينين من قبل.. إنهما نفس العينين اللتين زارتها في حفل لوسي.. ونفس العينين التي أثارت الرعب في أوصالها هي ولوسي حينما شاهداها منطبعة على صفحة السماء.. وهنا هتفت به في خوفٍ شديدٍ، وقد شعرت بصدق إحساسها:

- يا إلهي الرحيم.. من أنتَ؟ أنا أعرف هاتين العينين.. إنني أعرفكَ.

- لقد عبرت مُحيطات الوقت والزمن حتى أجدكِ وأكون معكِ الآن يا مينا.

قالها الكونت بصوته العميق والذي كانت كل كلمة منه تخترق جسد مينا لتسكن في كل خلية من أعماقها.. كانت تستكين له.. تشعر بخدر يجري في كامل جسدها.. وفي النهاية أغمضت عينيها تمامًا.. واستسلمت له..

وكانت هذه هي اللحظة التي ينتظرها الكونت.. بدأ يتحول عن هيئته البشرية.. تحولت عيناه إلى لون الدم.. استطالت أنيابه بسرعة.. واستعد أن يقتحم عنق مينا ليحوِّلها إلى كيانٍ مثله ليعيشا إلى الأبد في قلعته.. اقترب من عُنقها ببطءٍ..

كانت مثل العصفور الصغير ترتعش بين يديه وهي مغمضة العينين.. ولكن الكونت توقَّف فجأة.. لم يستطع أن يفعل بها هذا.. كانت هناك قوة تفوق الكونت دراكيولا بمراحل.. منعته من أن يمتص دماء مينا .. قوة مستحيل

أن يتفوق عليها أبدًا.. إنها قوة قلبه وحبه إليها.. إنه ذلك السد المنيع الذي منعه من أن يخترق عُنقها.. شعر بقبضة باردة تعتصر قلبه.. وفي سرعة عاد إلى هيئته البشرية..

وفي الخارج سمع صراخ الجميع، بعد أن اقتحم الذئب الهارب المكان.. كان الرعب والفوضى والخوف يسيطرون على المكان تمامًا..

ترك الكونت مينا .. وما إن شعرت بأن تلك السيطرة ذهبت عنها، حتى استجمعت شجاعتها لتهرب من هذا المكان.. كانت تجري على غير هدى.. محاولة أن تتبين طريق الخروج.. وفجأة قطع عليها ذلك الذئب الأبيض الضخم الطريق تمامًا، وشعرت أن روحها تنسحب منها وهي تحدق في عينيه اللتين تلتمعان في شراسة.. وأنيابه الحادة.. وصوت الزَّمْجرة.. كان يستعد للانقضاض عليها.. إنها النهاية.. هذا ماشعرت به في تلك اللحظة.. لم تتخيل أبدًا أن تكون نهايتها بين أنياب ذئب مُتوحِّش..

كلمات سريعة..

كلمات سريعة انطلقت من فم الكونت بتلك اللغة الرومانية القديمة.. لم تفهم منها مينا حرفًا واحدًا..

كلمات كان لها مفعول السحر على الذئب.. ليهدأ تمامًا، ويخنع وينطلق نحو سيده..

نحو سيد الظلام..

ليقدِّم له الولاء والطاعة ويجلس عند قدميه.

كانت مينا واقفة، مصدومة، مذهولة مما يحدث أمامها.. في حياتها لم تسمع أبدًا عن ذئبٍ يركع عند أقدام رجل..

في حياتها لم تسمع أبدًا عن رجلٍ.. أي رجل يستطيع أن يسيطر تلك السيطرة المطلقة على تلك الحيوانات الشرسة الغير قابلة للترويض أصلًا..

وقد أحسَّ الكونت بما يعتري أعماقها، فقال لها وعلى وجهه ابتسامة مشجِّعة:

- مينا.. تعالي هنا.

اقتربت مينا ببطء حذرٍ.. ليمسك الكونت يدها الرقيقة ويجعلها تلمس فراء الذئب الأبيض الناعم وهو يقول بهدوء:

- لا تخافي مينا.. إنه يحبكِ الآن.

كان الذئب مستلسمًا تمامًا كالحمل الوديع.. مستسلمًا تمامًا للمسات يد مينا على فِرائه الناعم.. أمَّا مينا فقد انتقلت إلى أعماقها تلك الروح الهادئة المسيطرة على الذئب.. لتشعر في أعماقها بالهدوء والطمأنينة.. تبدد خوفها في لحظة.. وارتسمت على وجهها ابتسامة ساحرة حينما سمعت الكونت يقول لها:

- هناك الكثير يا عزيزتي من المشاعر الجميلة التي يمكن أن تتعلميها من هذه الوحوش..

«من كان يسمع عن هذا.. حُبٌّ يولد بقوة على ظهر ذئبٍ شرس؟! «

هكذا هتفت مينا لنفسها بهذا السؤال والذي لم يخرج من شفاها.

ما الذي حدث لها اليوم؟! إنها تشعر أنها نائمة لا تدري هل ما تمر به حُلم جميل أم كابوس مرعب.. أم هما الاثنان معًا؟؟!!

ما نهاية هذا الطريق الذي تمشي فيه.. ؟.

إنها تشعر أنها تائهة.. تشعر أن كل شيء كان يخصها لم يعد مِلكًا لها الآن.. حتى نفسها لم تعد مِلكها، بل أصبحت مِلكًا لذلك الكونت الغريب.. طوال الطريق إلى منزلها لم يتبادلا كلمة واحدة.. كان الصمت هو ثالثهما طوال الطريق.. وهو يوصلها بتلك العربة الفارهة التي يجرها جوادان بلون الليل نفسه.

الصمت.. الصمت.. كان يجمعهما الصمت.. ولكن كانت قلوبهما تتحدث.. أن ما تمر به الآن، لم تشعر بمثله أبدًا من قبل حتى مع خطيبها (جوناثان هاركر).. وهذا ماكان يؤلمها بشدة؛ أنها تشعر بخيانته، وتشعر في ذات

obeikandl.com

الوقت أن نفسها وكل خلية في كيانها تريد هذا الكونت.
وأمام بوابة المنزل الضخمة.. وقفت مينا وأمامها الكونت يمسك يدها الرقيقة.. لم ينطق بكلمة أو حتى بحرف وهو يودعها..
بل فعل الشيء الذي جعل كل أعماقها تهتز بشدة.. مسك يدها الرقيقة، وطبع عليها قُبلة وضع فيها انتظار وحرمان وشوق ولهفة أربعة قرون من الحُبِّ.. كان القمر مكتملًا فوقهما وكأنه يراقب هو الآخر ما يحدث تحت ضَوئه الجميل.
انسلت بخفة من بين يديه.. ليذهب كل واحد منهما في اتِّجاه.. هي دخلت المنزل لتختفي بداخله..
وهو استقل عربته متجهًا إلى منزله.
ليبقى القمر وحيدًا.. بعد أن سجَّل أحداثًا جديدة.. بين الكونت ومينا.
لقد كان هذا هو اللقاء المُنتظَر.

***

oberkandl.com

أبراهام فان هيلسنج

obeikandl.com

obeikandl.com

في اليوم التالي في كلية الطب بلندن.. وفي قاعة المحاضرات الرئيسية، وقف دكتور ‹‹أبراهام فان هيلسنج››.. وسط تلك القاعة الدائرية والتي تراصت المقاعد فيها بحيث يسمح لكل طالب أن يرى التجارب العملية التي تدور أمامه.

كان متخصصًا في أمراض الدم.. ذلك العلم الغامض الذي مازال يحبو أولى خطواته.. هو نفسه لم يعرف لماذا عشقَ هذا العلم بالتحديد.. كل ما يعرفه أنه دائمًا ماكان يشعر بافتنان من هذا السائل الأحمر الذي يحمل في خلاياه سر الحياة نفسها.. عمره كله ذهب وهو يبحر ويتوغل في كهوف أمراض الدم.. كم من العثرات نالها وكم من النجاحات حققها.

سنوات طويلة وخبرة مهولة في أمراض الدم والخوارق.. صحيح هو يشعر أحيانًا أن كل من حوله ينظر إليه على أنه مخبول أو مجنون، ولكنه يثق ثقة عمياء في أن الجميع ينظرون إليه مع غرابة أطواره على أنه يمتلك تلك العبقرية الفذَّة وهذا العلم الغزير الذي يرتع تحت جمجمته ويسكن في تلافيف مخه..

إنه ‹‹أبراهام فان هيلسنج››.. وهذا كل شيء..

أمام ذلك القفص الذي يحتوي وَطواط، وقف هيلسنج يشرح درسه الجديد، أمام تلك العقول النهمة للعلم.. جرح إصبعه بنفسه ليقطر قطرات بسيطة من دمائه ويقرِّبها من فم الوطواط.. وهو يقول لتلاميذه:

- الوطواط يجب أن يستهلك عشر مرَّات مثل وزنه الخاص من الدماء كل يوم، وإلا فإن خلايا دمه ستموت وتتكسَّر.

وما إن انغرست أسنان الوطواط الحادة في إصبعه حتى سحب يده بسرعة

obeikandl.com

من الألم وهو يكمِّل:

- إن الدم.. وخصوصًا أمراض الدم، مثل مرض الزهري والذي يتعلق بنا اليوم.. إنه مرض اشتقَّ اسمه من كوكب الزهرة، حيث رمز الحب والعشاق.. بل إن أساس هذا المرض هو الجنس.. إنه يتقدم مع تقدُّم الحضارة نفسها.. كل ما نحتاجه للقضاء على هذا المرض اللعين هو التمسك بالأخلاق والمثاليات.. حتى يجب أن..

بترَ كلامه دخول مساعده إلى قاعة المحضارات وهو يعطيه ورقة مَطويَّة.

- ما هذا ؟!.

قالها هيلسنج بتساؤل يحمل نبرة ضيق لمقاطعته المحاضرة.

- إنها برقية يا سيدي.

اطلع على محتواها بسرعة، والتهم كلماتها في نهمٍ وفضول.. ليلتفت إلى الطلبة وهو يقول لهم:

- شكرًا لكم أيها السادة المحترمون.. هذا كل شيء اليوم.

ليغادر القاعة سريعًا، وفي أعماقه كان ينمو ذلك الشعور بالتوتر من كلمات تلك البرقية..

توتر يُشعِره أن المرحلة القادمة ستحمل إليه الكثير..

الكثير جدًّا.

***

وفي الناحية الأخرى من العالم.. هناك عند قمم جبال الكاربثيان، وبالتحديد في قلعة الكونت.. تلك القلعة التي تقبع في سكونٍ وصمتٍ مهيب من الخارج على عكس ما يحدث في داخلها.. كان جوناثان مقيّدًا في الحائط، مصلوبًا، وحوله نساء الشيطان.. مَحْظيَّات الكونت.

كان مستسلمًا تمامًا لما يفعلوه بجسده، ودمائه.. عقله كان يشعر أن هذه

obeikandi.com

قد تكون كلماته الأخـيرة..، بل لحظاته الأخيرة نفسها.. إن الكونت قد تركه مع نساء الشيطان.. تلك المسوخ المتنكرة في أجساد نسائية؛ ليمتصَّن دمه دائمًا؛ ليظَل ضعيفًا ولا يقوى على الهرب.. وفي قرارة نفسه، كان أمامه محاولة واحدة فقط قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة؛ سيهرب من خلال مياه النهر.. لا بد أن يكون هناك ممر يقوده إلى النهر ليهرب ويترك تلك الأرض الملعونة حيث يمشي ويعيش الشيطان بنفسه مع عشيرته..
إنه يتمنى من الله أن يهبه القوة ويقف بجانبه لينقذ حياته..
ولينقذ مينا.

***

نفس الليلة، في منزل عائلة(ويستن).. لندن.. منتصف الليل.
«أنا ‹‹أبراهام فان هيلسنج››.. أشهد بأنني أشترك في هذه الأحداث التي تثير بداخلي خوفًا مبهمًا، من هذه اللحظة»

دوت هذه الجملة في أعماق هيلسنج وهو يقف أمام الباب الأمامي لمنزل لوسي.. كان كعادته متأنقًا يرتدي أفخر الثياب وكأنه ذاهبٌ إلى حفلة راقية..
لم يدرِ أي أحد من المتواجدين في المنزل أنه في نفس اللحظة بالتحديد..
وعند الباب الخلفي لحُجرة لوسي.. كان يقف الكونت دراكيولا بنفسه..
صحيح لم يرَه أي شخص ولا حتى لوسي، ولكن هذه الأخيرة شعرت بقدومه منذ اللحظة الأولى.. مع ذلك الفوران في أعماقها، والذي حوَّل دماءها إلى بركان..
حتى صوت ذلك العُواء الذي يتردد في كل مكان.. كان يتوغل في ثنايا عقلها.. عُواء كان له أثر السحر.. جعلها تفقد القدرة على الاتزان والإحساس بكل ما حولها..
إنه عُواء منتصف الليل.. ذلك الصوت الذي يجعلها تشعر أنها مثل الدمية، تتحرك بواسطة خيوط في يد كائن آخر أقوى منها ألف مرَّة.. إنها في يد

الشيطان نفسه.. الآن تراه واضحًا.. واقفًا أمامها.. ينظر إليها بالعيون النارية ذاتها، التي طالما طاردتها في كوابيسها.

إنها تلك العيون النارية التي تنومها مغناطيسيًّا، وتجعلها تشعر بلذة وشهوانية عنيفة.. كانت ماتزال ترتدي نفس الثوب الأحمر الناري الذي شهد أول واقعة مصّ دمائها فعليًّا.

صحيح أن الباب الداخلي كان مغلقًا بعناية وإحكام، ولكن مع كائن شيطاني مثل هذا لا يوجد أي موانع.. في ثبات ومع انهيار الباب أمام قوته الشيطانية، انفتح الباب بمفرده وكأنه يخشى هو الآخر هذا الزائر الغير مرغوب فيه..
بنفس الثقة والثبات خطا الكونت خطواته الواثقة ناحية لوسي.. ومن ورائه كان معه ذلك الظِّل الذي لا يفارقه أبدًا.. كانت لوسي راقدة على فراشها.. تتأوه مثل الغانيات في شهوة.. وهي تمد يدها إلى سيدها ليذيقها تلك المتعة.. متعة مصّ دمائها.. كل شيء في حُجرتها لم يتحمل روح الشر الموجودة.. حتى تلك الأزهار الموجودة في حُجرتها بكثافة والتي تم قطفها هذا الصباح، ذبلت في لحظات وكأنها موجودة منذ زمن سحيق.

لم يكن أحد من السادة المحترمين يشعر بما يحدث في غرفة لوسي، حيث كان الكل مشغولًا باستقبال فان هيلسنج.. حتى إن جاك استقبله بسعادة وهو يشعر بالأمان ويقول له في حماس:
- برفيسور فان هيلسنج.. كم هو لطيف منك القدوم بهذه السرعة في تلك الظروف الحرجة.
- أنا دائمًا آتي حينما يحتاجني صديق.. هيَّا أخبروني بحالتها؟.
- كل شيء في جسدها طبيعي، حتى دمائها، رغم أن لديها فقدان دم متكرر، وذلك الشحوب الذي يعتريها.

هتفَ فان هيلسنج بقلق:

- فقدان دم متكرر؟ كيف هذا!.

قطع حديثهما صوت صرخات لوسي الشديدة وهي تتأوه.. هرع الاثنان سريعًا إلى حُجرتها.. وما إن اقتحموها بقوة حتى كان الكونت قد هرب سريعًا ومن ورائه ذلك الظل.. والدماء ما زالت تقطر منه.. لتترك خطًّا دمويًّا بطول الحُجرة.

ليأمر فان هيلسنج، جاك.. بأن يؤمِّن المدخل الخلفي جيِّدًا ويغلق الباب.

ألقى نظرة سريعة على لوسي.. والتي كانت في حالة مزرية بحق.. ثيابها مبعثرة وشبه ممزقة.. أمَّا جسدها نفسه فكان يرتجف من شدة الألم.. ومن الكمية الكبيرة التي تم امتصاصها من دمائها.

كان فان هيلسنج يجوب بعينيه على جسد لوسي؛ محاوِلًا الاطمئنان عليها ظاهريًّا قبل أن يفحصها داخليًّا.. وعلى عُنقها تصلَّبت نظراته بشدة على ثقبين مخيفين لونهما أحمر من شدة الالتهاب.. وهتف بـــ جاك منزعجًا:

- يجب أن يتم نقل دم لها حالًا.. وبأقصى سرعة.. اخلع مِعْطفكَ وساعدني.. أنت تعرف كيف تربط أعصاب إيقاف النزيف.. أنا أعلم جيّدًا أنكَ جيد في إجرائها.. نريد أن تتم عميلة نقل الدم بشكل نظيف وسريع.. وإلا سيحدث لها انحلال في الدم وخلايا دمها ستنفجر وتموت في أي لحظة.

ومن حقيبته أخرج جاك معداته الطبية وهو يجهزها لعميلة نقل الدم.. وعلى فراشها كان هيلسنج جالسًا بجانب لوسي يتأكد من نبضها.. وفي هذه اللحظة انفتح الباب بقوة ليظهر على عتبته أرثر خطيب لوسي وهو يهتف بحَنِق وغضب:

- ما الذي يحدث هنا؟ ما الذي يحدث للوسي؟.

استوقفه فان هيسلنج بيده وهو يبعده عن لوسي.. والذي ما إن رآها أرثر.. حتى شحب وجهه وتراجع في جزع وهو لا يفهم أي شيء مما يحدث حوله..

obeikandl.com

فما كان من جاك إلا أن أمسك يده وهو يجلس على ذلك المقعد بجانب خطيبته ويقول له في سرعة:

- إننا نحاول إنقاذ حياتها.. وهذا دكتور فان هيلسنج.. أستاذي ومُعلمي وهو الوحيد الذي سيساعدنا في فَهم ما الذي يحدث لها ولنا جميعًا.

كان جهاز نقل الدم قد اكتمل، وهنا طلب هيلسنج من أرثر أن يشمر عن يده وهو يدخل فيها تلك الإبرة.. ومن الناحية الأخرى أدخلها في يد لوسي.. ليبدأ جاك عمله بمنتهى السرعة والدقة في غسل دمائها..

في غسل دماء الشيطان التي تجرى في جسدها .

***

لم يشعر أي شخص من الموجودين بالحُجرة كم مرَّ عليهما من وقت وهما على هذه الحالة.. كان الكل يشعر أن الزمن نفسه قد توقف أو أنه يتحرك ببطء شديد مع كل خلية من دماء أرثر وهي تنتقل إلى جسد لوسي..

كل شيء أصبح مرتبطًا بالدماء بطريق مباشر أوغير مباشر..

لماذا يشعرون أن كل الأحداث تدور ليلًا فقط.. لقد أصبح الظلام مرتبطًا بهم وبحياتهم بشكل أساسي..

القلق، التوتر، التوجُّس، الخوف المبهم من ذلك العدو المجهول.. إنهم لا يدرون كُنْهه.. يشعرون أنهم جميعًا يتحركون مثل قِطَع الشطرنج في يد من هو أقوى منهم.. وألعن شيء هو محاربة شيء مجهول لا تعرف عنه أي شيء .

فقط في أعمق أعماق فان هيلسنج.. كانت تبدو الحقيقة واضحة للغاية مثل الشمس.. هو وحده كان يدري الحقيقة ويعرف على وجه اليقين أي مسخ ينتظره.. بل أي شيطان يجب أن يتعامل معه..

obeikandl.com

هناك في تلك الحديقة المظلِمة، وعلى ضَوء القمر الشاحب وذلك الضباب اللعين، وقف الأربعة يلتقطون أنفاسهم، أو بمعنى أدق يستنشقوا هواءً نقيًّا غير محمّلٍ برائحة الدماء التي تحيط بهم.

فان هيلسنج، جاك، أرثر.. وأخيرًا موريس.. والذي انضم إليهم بعد أن بلغته تلك الأخبار اللعينة بخصوص لوسي.

كان التوتر هو سيد الموقف.. ومع التوتر كانوا ينفسون قلقهم ويحرقونه بدخان التبغ.. شيء يفرغون من خلاله تشتتهم وإحساسهم بالعجز وعدم الفَهم.. وكان أول من قطع حديث الصمت هو أرثر.. كان ينظر إلى جاك ويقول له بعدم فَهم:

- ولكن يا جاك، لو لوسي بداخلها دماء رجلين أنا وذلك الشيء اللعين.. هل يستطيع جسدها أن يتحمل هذه التغيُّرات أصلًا؟؟ مع هذا الخلل في جسدها ودمائها.. اللعنة.. وأين ذهبت دماؤها أصلًا، هل نواجه الشيطان نفسه أم ماذا؟!

- إنه سؤال جيد مستر أرثر.

كانت هذه من هيلسنج وهو ينفث دخان غَلْيونه مفكِّرًا بعمق.. أمَّا جاك فكان يحاول أن يرتب أفكاره كعادته كلما واجهه شيء لا يفهمه في الطب، لهذا قال وهو يزن كلماته:

- تلك العلامات على عُنقها ليست بمرضٍ معروف.. ومع هذا، فأنا متأكد من فقدان دم حدث لها حيث كنا موجودين!

ردَّ عليه هيلسنج:

- إذن أين ذهبت دماؤها يا جاك.. لقد كنت دائمًا طالبًا حذرًا ومتفوقًا، تهتم بأدق التفاصيل وتفكر في كل شيء، أخبرني الآن أين ذهبت تلك الدماء، استخدم عقلك وفكِّر وأخبرني.. أخبر الجميع.

- أكيد طبعًا لم يتشرّبها الفراش.

- بالطبع يا جاك لم يمتصها فراش لـوسي.. أعتقد أن أحاسيسكَ تخبركَ، ولكنكَ لا تجعل عيونكَ ترى أو أذانكَ تسمع.. أنت تخاف أن تعترف بالحقيقة التي يرفضها عقلكَ.. ومع هذا فالحقيقة واضحة وضوح الشمس.

قال جاك وهو ينفس دخان سيجارته بقوة وكأن كلمات أستاذه قد أطلقت مخزون عقله دُفعة واحدة:

- شيءٌ ما حدث هناك في غرفتها.. شيء ما امتصَّ دماءها وذهبَ بعيدًا.. هل هذا ما تريدني أن أقوله يا دكتور هيلسنج؟.

- نعم يا جاك.. هذا ما كنت أريد أن ينطقه لسانك منذ البداية.. إنها الحقيقة المخيفة يا سادة.

وقف أرثر يتطلع بعيون خاوية هو وموريس، لعلَّهما يستطيعان أن يفهما حديث الأطباء هذا، وفي النهاية هتف بقوة وقد نفد صبره:

- ذلك رائع.. ذلك رائع جدًّا، حديث الأطباء المجنون هذا.. هل يودّ أحدكم أن يخبرني ما الذي يحدث لخطيبتي قبل أن أفجِّر نفسي من الغضب.

- أيها السادة، إن لوسي لم يصبها مرض، ونحن لا نحارب مرضًا معروفًا أو حتى غير مكتشَف بعد، مع أن ما حدث لها من فقدان دماء وتدهور شنيع في صحتها لهو أمر بشع.. إننا يا سادة نحارب الموت نفسه عن طريق كائن ليس بميت يطاردنا جميعًا لغرضٍ ما مجهول لنا.. كائن يعيش ويتغذى على الدماء فقط.. إنه وحش بكل ما تحمله الكلمة من معانٍ..، بل لن أستبعد أن أقول أننا نحارب قوى الظلام نفسها متجسدة في كيان ذلك الشيطان.. إن هدفنا يا سادة هو منع ذلك الشيطان من الاقتراب من لوسي مجددًا.. يجب أن نقوم بحراستها جيّدًا ولا نغفل عيوننا عنها لحظة واحدة.. والأهم من هذا كله يجب أن نفهم لماذا اختار لوسي على وجه التحديد، وما الهدف من هذا كله؟!!.

كان وقع كلمات فان هيلسنج على الجميع مثل الرعد.. فلم يستطع أحد أن ينطق بحرف واحد.. وإن تشارك الجميع في ذلك الإحساس الذي انتشر

داخلهم.
إن الساعات المقبلة ستحمل إليهم أشياءً تفوق أشنع كوابيسهم مجتمعة..
ستحمل أشياء تفوق شناعة الموت ذاته .

***

obeikandl.com

obeikandl.com

مينا والكونت دراكيولا

obeikandl.com

obeikandl.com

ساعات طويلة مرَّت على لوسي وهي مازالت راقدة في تلك الغيبوبة الغريبة في حُجرتها، كانت تجلس مينا بجانبها.. الغرفة مغلقة بعناية شديدة والستائر مُنسدِلة بإحكام.. جو صامت مثل الموت ذاته..

في أعمق أعماق مينا كان يولد ألف سؤال وسؤال.. لم تكن تستطيع أن تتخيل أن تلك الفتاة الراقدة أمامها مثل الموتى بلونها الشاحب هي نفسها تلك الفاتنة التي كانت تمتلئ حيوية وتملأ العالم كله بضحكاتها وتعليقاتها الساخرة.. كل شيء يحدث حولها أصبح مبهمًا، غامضًا.. إن الظلام يحيط بكل شيء.. أمسكت يد لوسي لعلها تستمد منها بعض الشجاعة.. أولعلَّها تبثها أفكارها.. ومع ثقتها من أن صديقتها لن تسمعها وهي نائمة مثل الموتى إلا أنها قالت لها بصوتٍ خافت يحمل هموم العالم كله:
«ما الذي يحدث لـــ لوسي.. ولي أيضًا؟».

أشعر أنني أسير في طريق مظلم.. كل شيء متخبط حولي وغير واضح.. أشعر أنني تائهة لا أفهم أي شيء مما يحدث حولي.. أتمنى أن أجد نفسي مرَّة أخرى.. أن أعود إلى الماضي.. أن يكون عقلي وقلبي مستقرين.. إنني أريدكِ أن تشفي يا لوسي.. بدونكِ أشعر بأنني طفلة تائهة .. ضعيفة .. وجودكِ يشعرني بالأمان يا صديقتي الوحيدة «.

***

على تلك المائدة الخاصة في أرقى مطعم بلندن.. كان يجلس الكونت دراكيولا ومينا في أبهى صورة لهما.. هو كان وسيمًا ومتألقًا، وهي كانت مُبهِرة مثل الشمس.. إن الحب يصنع المعجزات.. من وقت بسيط كانت

بجانب لوسي.. وكان الشعور الوحيد المسيطر عليها هو القلق والخوف من شيء مبهم مجهول.

الآن الشعور الوحيد المسيطر عليها هو الحب ولا شيء سوى الحب.. لقد أيقنت أن قلبها لم يعد ملكها.. إنها تمشي مدفوعة بقوة داخلية تنبع من قلبها ذاته، لهذا لا تملك أي سيطرة عليه أبدًا.

لم تعد تتذكر خطيبها جوناثان هاركر.. لم تعد تتذكر تلك الأحداث الدامية لصديقة عمرها.. ، بل حتى لم تعد تتذكر نفسها.

كان الكونت ينظر لعينيها في حب حقيقي.. حب لم يعرف الضعف للحظة واحدة طوال أربعة قرون.. كان يصب لها كأس شراب، أحسَّت أنه يفرغ لها انفعالاتها.. أحسَّت أنه مع كل قطرة من ذلك الشراب كأن نفسها وروحها تمرَّان عبر مرشح دقيق يحتجز الشوائب والانفعالات.. ويجعل في النهاية روحها تعبر وهي صافية مُنقَّاة إلى آخر قطرة..

الكونت نفسه أحسَّ بتلك الانفعالات بداخلها.. كان كل شيء واضحًا في عينيها.. لهذا قال لها هامسًا:

- إنه الخمر.. ذلك المشروب الساحر الشهواني.. هناك في تلك الخمر تعيش تلك الروح الشريرة الغاضبة.. أشعر أنها تريد روحكِ ذاتها يا مينا.. ولكن أنا بجانبكِ دائمًا يا أميرتي الجميلة.. ثقي أنكِ معي ستشعرين بالأمان والحب ولا شيء سواهما.

مع رشفاتها لذلك المشروب الروحاني، كانت تشعر أنها تذوب بكل ما تحمله الكلمة من معانٍ.. تذوب في ذلك الجو الهادئ.. الساحر.. الرومانسي.. هناك مع ذلك الكونت الشعور الوحيد المسيطر على روحها هو الشعور

obeikandl.com

بفقدان الزمان والمكان!! إنها تشعر أن روحها تترك جسدها وتحلِّق في كل مكان خارج حدود عالمها.. شعور غريب لم تعشه من قبل.. حتى إنها نظرت في عين الكونت وسألته:

- أخبرنى يا أميري عن بلادكَ؟.

- حبيبتي مينا.. إنه مكان رائع ساحر خلاب.. أجمل الأماكن إثارة وسحرًا في كل العالم.. إن روحي مرتبطة بكل بوصة في تلك البلاد، وأشعر وأنا بعيد عنها أنني تائه.. أشعر أنني جسد فقط طالما أنا بعيد عن أرضي الجميلة.

- أنا واثقة يا أميري من صدق كلامكَ.. يكفي أنكَ من تلك الأرض حتى تكون بمثل هذا الجمال.. إنني أشعر أنني أراها بإحساسي بروحي ذاتها، غابات واسعة عظيمة مَحُوطة بالجبال الأسطورية.. وهناك تلك المزارع المشبعة بحبَّات الندى.. وتلك الأزهار الساحرة.. كل شيء جميل.. إنني أشعر أنه لا يوجد مكان أروع من تلك الأرض.

مندهشًا في حيرة وعدم تصديق يقول لها الكونت:

- تصفين أرضي ومملكتي كما لو أنكِ رأيتِها.. وعشتِ فيها من قبل!. بذلك الصوت الساحر، وتلك النغمة الحالمة في صوتها والتي تشعركَ أنها تتحدث عن رحلة زمنية حدثت لها في الماضي، ردَّت عليه مينا:

- هو صوتكَ يا أميري.. أشعر أنني سمعته من قبل منذ زمن طويل.. طويل جدًّا.. يبدو لي مألوفًا.. أشعر أنه يأتيني مثل الصوت داخل الحُلم.. . يريحني بشدة ويجعل كل أحاسيسي في راحة عندما أكون بجانبكَ.

كان الصمت هو سيد الموقف.. لحظات صمت طويلة مرَّت عليهما وهما ينظران لعيون بعضهما بعضًا.. حتى قطعت مينا ذلك الصمت وكأن ضَوءًا قويًّا سطع بداخلها:

- وماذا عن الأميرة؟.

- الأميرة!.. أي أميرة تقصدين؟!.

نطقها الكونت وهو يتنهد تلك التنهيدة الحارة والتي ذكَّرته بكل أحداث الماضي.. كان قد بهت وشعر بمفاجأة كبيرة من سؤال مينا والذي حمل إليه ذكريات زوجته الراحلة إليزابيتا.. شعر أنه يحس بملمسها.. برائحتها.. بحضنها.. بعينيها.. بكل همسة فيها.. كل شيء كان يتراءى أمام عينيه.. لم يكن يشعر بأي شيء سوى بدموعه الساخنة التي تحمل كل عذاب الوحدة على مدى قرون طويلة.. دموع حملت كل انفعالاته وعشقه..

أما مينا، فكانت تشعر أنها ترى لمحة من الماضي أمام عينيها.

لا تدري كيف ترى ما تراه، ولكنها كانت تسترسل في كلامها:

- هناك دائمًا تلك الأميرة الجميلة الرقيقة.. أرى ملابسها البيضاء الناصعة مثل الثلج، وأرى وجهها مثل النهر الصافي.. ولكن ذلك النهر قد امتلأ بدموع الحزن والأسى.

احتواها الكونت بذراعيه وهو يقول لها بنفس صوته الساحر الذي يخدِّر كيانها كله:

- نعم يا مينا.. فعلا هناك أميرة.. اسمها (إليزابيتا).. لقد كانت الأميرة الأكثر جمالًا من أي أميرة أخرى في أي مملكة من العالم كله..

في أحضان الكونت كانت دموعها تنزل بصمت هي الأخرى.. دموع ساخنة والتي ازدادت سخونة حينما أكمل الكونت حديثه:

- ولكن تلك الأميرة الجميلة ماتت نتيجة خدعة حقيرة من بعض الرجال.. لم تتحمل فقدان حبيبها وقفزت إلى موتها.. قفزت إلى نفس النهر الذي تكلمتِ عنه ووصفتِه يا مينا .. في لغتنا نطلق عليها اسم (آرتشي ARTZECHE).. أي أميرة النهر.

نظر الكونت في عينيها، وبيده مسح تلك الدموع التي ملأت وجهها.. وعلى يده تحولت تلك الدموع إلى ألماس صغير برَّاق؛ نجحتْ في جعل مينا تبتسم في حُبٍّ إلى أميرها.. والذي كان يشعر أنه يحتوي زوجته وحبيبته إليزابيتا..

obeikandl.com

فى قرارة نفسه، كان يشعر أن هذا هو حُلم حياته قد تحقق أخيرًا بعودة زوجته الراحلة إليه.. هو سوف يحارب الكون كله من أجل أن يحتفظ بها.. لن يسمح لأي كائن مهما كان أن يفرِّق بينه وبين حب عمره مرَّة أخرى..
وكأنه قرر أن يفرغ انفعاله بتلك القُبلة الرقيقة على جبين مينا..
قُبله شعرت مينا من خلالها أنها تحمل إليها الكثير..
بل أكثر مما تحمله إلى الكونت نفسه .

***

بعد عدة أيام في حديقة منزل لوسي، وفي ذلك الركن الهادئ المفضَّل لها، جلست مينا تقرأ ذلك الخطاب:

«سيدتي العزيزة ‹‹مينا موراي›››.. خطيبك في أمان مع إخوته في الدين.. مستر جوناثان هاركر يعتقد أن حياتكِ في خطر، ويرغب أن تنضمي إليه هنا في ذلك الدير لكي يستطيع الزواج منكِ.. لك كل التحيَّة والبركة..
أختك الراهبة: أجاثا.. «

انتهى الخطاب وترك بداخلها ألف علامة استفهام.. كانت تفكِّر بعمق في كلمات الرسالة، هي لم تستوعب أغلب ما جاء فيها، ولم تفهم مغزى أنها في خطر.. طبعًا هي لم تعرف أن خطيبها جوناثان قضى الأيام الماضية يحاول الفرار من نساء الشيطان.. لم تعرف أنه ظل معلقًا بالإفريز الخارجي لتلك النافذة الشاهقة وهو يهرب من الجانب الخلفي للقلعة.. لم تعرف أن رجليه انزلقتا بدون وعي منه ليهوى كل تلك المسافة إلى أعماق النهر.. لم تعرف أنه ظل يكافح ويقاتل من أجل حياته حتى وصل إلى الضفة الأخرى من النهر، ليجد نفسه غارقًا وسط كل هذا الوحل والمياه والأمطار اللعينة التي تنهمر بغزارة.. هو نفسه لم يدرِ كيف تحملت ساقاه أن تمشيا كل تلك المسافة، حتى وجد أمامه أخيرًا ضَوء الأمل.. ذلك الضَّوء المنبعث من تلك

obeikandl.com

النافذة لذلك الدير..
كل ما شعر به هو أنه عندما رأى الصليب، شعر أنه وجد الخلاص والأمان.. لم يشعر بنفسه إلا وهو يطرق أبواب ذلك الدير، وبعدها لم يشعر بأي شيء.. كان جسده قد استنفذ كل طاقته حتى تلك اللحظة.. يومان متتاليان قضاهما في تلك الغيبوبة العنيفة.. يومان لم يشعر فيهما على الإطلاق بأي شيء سوى رؤى غامضة لأشخاص يتحركون حوله ويعتنون به.
وكان هذا كفيلًا بأن يشعر بالأمان من أن هناك من يعتني به ويحاول أن يفعل المستحيل لإنقاذ حياته..

وما إن أفاق من غيبوبته.. حتى همس بتلك الكلمات القليلة في أذن الراهبة أجاثا، ليطلب منها إرسال ذلك الخطاب إلى خطيبته مينا..
طبعًا كل هذا لم تعرفه مينا .. الغريب أن الشيء الوحيد الذي وجدت نفسها تفكر فيه ويطغى على كل عقلها هو أميرها.. (كونت فلاد).. طبعًا قررت أن تخفي حقيقة أميرها عن خطيبها جوناثان.. كانت تريد أي عونٍ فيما تمر به، لهذا انطلقت مسرعة إلى حجرة لوسي.. وهي تصعد تلك السلالم أعترض طريقها فان هيلسنج وجاك.

- لا بد أنكِ الأنسة مينا.. الصديقة المقرَّبة والوحيدة للوسي؟.

كانت هذه من فان هيلسنج وهو يمسك يدها الرقيقة.

- كيف حالها يا دكتور؟.

- هي مازالت ضعيفة للغاية يا مينا، بصراحة أنا قلِق أيضًا على خطيبك.. أنا دائمًا ما أكون قلِقًا على كل الأحبَّاء.

كان ينظر في عينيها مباشرة وبثبات، محاوِلًا أن يغوص في أعماقها وهو يكمِّل كلامه:

- إن العالم مليء بالشرور يا طفلتي الجميلة.. هناك دائمًا ذلك الظلام المحيط بنا.. وهناك أيضًا ذلك الضَّوء الذي يبدد كل هذا الظلام.. أنتِ

إحدى أشعة ذلك الضَّوء يا مينا .. ، بل أكاد أجزم أنكِ كل هذا الضَّوء نفسه.. أنا واثق ثقة عمياء لا أدري مصدرها من أنكِ الوحيدة القادرة على إزالة كل هذا الظلام المحيط بنا جميعًا.. والآن اذهبي لرؤية صديقتكِ.. إنها تنتظركِ. كانت مينا تنظر له بدهشة، محاولة أن تفهم حرفًا واحدًا من كلامه، ولكنها عجزت. تركته وذهبت للقاء صديقتها والاطمئنان عليها. دخلت غرفة لوسي ومن ورائها جاك وفان هيسلنج الذي اتخذ مقعدًا قريبًا إلى حدٍّ ما من فراش لوسي.

مينا كانت تعرف أن صديقتها تعشق الموسيقى، امتدت يدها لتشغل ذلك الجرامفون لتهبط تلك الموسيقى الهادئة على مسامع الجميع لعلَّها تبدد ذلك التوتر الغير معلن ولأنهما صديقتان، فقد شعرت لوسي أن هناك أمرًا ما داخل صديقتها مينا، لهذا قالت لها وهي تمسك يدها:

- تبدين مختلفة يا مينا، هناك ابتسامة على وجهكِ، وذلك التألق في عينيكِ وملابسك.. يبدو أن هناك أخبارًا سارَّة عن خطيبك جوناثان؟.

- نعم يا لوسي، لقد استلمت منه خطابًا اليوم.. هو الآن في ذلك الدير بترانسلفانيا.. يعاني تلك الحمى العنيفة.. هناك أناس طيبون يعتنون به ويقولون إنه بحاجة إلى وجودي هناك بجانبه.. ولكني لا أريد الذهاب.. لن أتركِ يا لوسي.. أريد أن أظَل بجانبكِ حتى تشفين.

- مينا، يجب عليكِ الذهاب يا صديقتي.. إنك تحبين جوناثان وهو أيضًا يحبكِ.. لقد انتظرتِ دائمًا تلك اللحظة.. اذهبي إليه يا صديقتي وتزوجيه هناك ثم عودي معه إلى هنا حينما يسترد صحته ويُشفى تمامًا.

ومن يدها خلعت لوسي ذلك الخاتم الثمين لتعطيه إلى مينا وهي تقول لها:

- أريد أن تأخذي هذا ياصديقتي.. إنها هدية زواجكِ.. لن يستحق هذا الخاتم أحدًا سواكِ يا مينا.

- لا يا لوسي، لن أتركِ بمفردكِ أبدًا.

- مينا حبيبتي، إن الجميع يعتني بى هنا جيِّدًا، سأكون بخير، ثقي من هذا.. فقط أخبري جوناثان بكل بحور الحب التي تحملينها له في أعماقكِ.

لم تجد مينا أي رد أو كلمات مناسبة تشكر بها لوسي سوى أن تضع على جبينها تلك القُبلة التي حملت مشاعر الحب العميقة التي تكُنَّها إلى صديقة عمرها.

وصل مستر موريس في تلك اللحظة ليطمئن على صحة لوسي..

وبجانب فراش لوسي كانت مينا تضع كومة الثوم برائحتها النفَّاذة بناءً على تعليمات فان هيلسنج..

لم تتحمل لوسي تلك الرائحة النفاذة اللعينة التي ملأت وعبقت جو الحُجرة تمامًا.. إنها تلك الرائحة التي تشبه نِصال حادة على جسدها.. لم تتحمل تلك الرائحة.. لهذا صرخت.. وتلوت.. كانت الرائحة خانقة.. جاثمة على أنفاسها.

كانت أشبه بنمرة شرسة.. هائجة.. هرع إليها الجميع ليقيدونها.. أمسك فان هيسلنج يديها، وكبَّل جاك قدميها ليمنعها من التحرك أو إيذاء نفسها.

- إنه علاج يا لوسي.. سوف يساعدكِ على النوم وإبعاد كل تلك الكوابيس الشريرة.. سوف ينقذك يا لوسي من ذلك الوحش.

قالها فان هيسلنج وهو يحاول باستماتة أن يسيطر عليها ويجعلها تهدأ.. لتصرخ لوسي في وجهه:

- لا، إنه ليس علاج.. إنه لا شيء.. لا أريد هذا الثوم بجانبي.. إنه يقتلني.

- آنسة لوسي، يجب أن تهدئي من نفسكِ، إن خطيبك مستر أرثر أرسلني هنا لكي أطمئن عليكِ وأسهر على رعايتكِ وحراستكِ.. سوف نفعل المستحيل كلنا يا لوسي لنخرجكِ من هذا البؤس.

قالها مستر موريس وهو يحاول تهدئتها من ذلك الهياج ونوبة الصرع العنيفة التي انتابتها، ويبدو أن وقوفه أمام أعين لوسي مباشرة قد هدَّأ من

روعها قليلًا لتقول له بصوت ناعم، مثير، شهواني وهي تمد يدها إليه بعد أن تركها فان هيلسنج:

- قبلني يا موريس.. قبلني بشدة..

كانت تتجه نحو عُنقه، محاولة تقبيله فعلًا.

أما موريس نفسه، فقد شعر أنه يغيب عن الوعي، أوبمعنى أدق كان يشعر أن صوتها المثير قد خدَّرها تمامًا.. وما إن أصبح بين يديها.. حتى فوجئ الجميع بأنيابها تستطيل بسرعة خارقة وهي تحاول امتصاص دمائه.. ولكن فان هيلسنج كان أسرع منها ليبعدها عنه ويكبِّل جسدها تمامًا.. ليقول لها في صرامة:

- لوسي.. لوسي.. استمعي إليَّ.. نامي يا لوسي..

صوته ورائحة الثوم القوية المحيطة بها من كل اتجاه كان لهما مفعول السحر لتذهب في تلك الغيبوبة بعد نوبة الهيجان والصرع العنيفة.

صحيح لوسي راقدة الآن، وأنيابها بارزة في شراسة.. حتى بؤبؤ عينيها قد اختفى أو تلاشى تمامًا.. لقد أيقن الآن فان هيلسنج أن من ترقد أمامه لم تعد لوسي.. لم تعد تلك البشرية التي يعرفها الجميع..

لقد أصبحت هي الأخرى من نساء الشيطان نفسه..

يشعر أنه يسمع الآن صوت ضحكات غريمه وعدوه.. سيد الظلام..

كونت دراكيولا..

لقد ربح سيد الظلام هذه الجولة..

بجدارة.

***

obeikandl.com

obeikandl.com

انتقام دموي

obeikandl.com

obeikandl.com

في وقتٍ لاحق.. كان فان هيلسنج جالسًا داخل أَرْوِقة تلك المكتبة الكبيرة.. ممسكًا كتابًا ضخمًا قديمًا اصفرَّت صفحاته بفعل الزمن.. كتابًا عن الأمير فلاد.. الكونت دراكيولا.

(إن تاريخ حياة الأمير فلاد.. تاريخ مرعب.. مريع.. دموي.. مليء بتلك المذابح الغير آدمية.. وضع الناس على الخوازيق.. حرقهم.. سلخهم أحياء.. التمثيل بجثثهم وتقطيعها إلى أجزاء صغيرة وشرب دماءهم.. إنه الكونت فلاد الولاشي.. إنه دراكيولا بنفسه.. دمه هو الحياة).

كان ما يقرأه يجعل جسده يصاب بتلك القشعريرة المخيفة.. إنها ذات القشعريرة التي يصاب بها كل من هو مقبل على كارثة الموت.. لا يوجد مسخ أشنع من هذا الذي نواجهه.

***

وفي الجانب الآخر من لندن.. في ذا المطعم الراقي الذي دائمًا ما يشهد لقاءات الكونت وحبيبته مينا.. كان متأنقًا كعادته في أبهى صورة.. منتظرًا وصول حبيبته مينا حسب الميعاد المتفق عليه.

الوقت يمر..

لقد تأخرت.. بدأ يشعر بالقلق..

قلبه أخبره أن هناك شيئًا ما حدث بخصوص مينا .. كان جالسًا ينتظرها بشوق في صمت.. حينما سلمه كبير الخَدم تلك الرسالة المطوية.. أخذها الكونت وهو يشعر أنها ستحمل له أخبارًا سيئة.. وفي سرعة التهم حروف تلك الرسالة..

(أميري العزيز الغالي.. اغفر لي وسامحني.. لقد استلمت رسالة من خطيبي جوناثان هاركر.. وأنا في طريقي إليه.. إنه يدعوني إلى الانضام إليه

obeikandi.com

في ترانسلفانيا.. لنتزوج.. أخبرك فقط أنني لن أستطيع أن أراك مرَّة أخرى إلى الأبد.. مينا)

مع كل حرف يقرأه كانت دموعه تتساقط..
مع كل حرف كان يشعر أن ألف سيف يمزق جسده..
مع كل حرف كان يشعر أن روحه نفسها تتلاشى..
إنه نفس الإحساس يتكرر.. نفس الشعور الكريه حينما وجد زوجته السابقة إليزابيتا ميتة..
الآن عليه أن يجرب نفس الشعور.. مرَّة أخرى..
هو لا يدري ماذا حدث له.. ولكن في لحظة واحدة.. جمع كل ما بأعماقه من غضب.. في صرخة هائلة.. عاتية..
صرخة تحمل اسم.. مينا.

***

في نفس اللحظة وذات التوقيت كانت مينا تعبر القناة الإنجليزي على متن تلك الباخرة.. كانت واقفة على سطحها.. تنظر لكل تلك المياه المحيطة بها.. كل شيء حولها كان حزينًا.. مكتئبًا.. ذلك الضباب اللعين.. وذلك الضَّوء الشاحب للقمر، وتلك الغيوم السوداء.. يبدو أن ما في أعماقها قد انطبع على كل ما حولها.. كانت واقفة تتطلع لصفحة المياه المتناثرة حولها من كل جانب.. ممسكة بمذكراتها.. تكتب كل ما تحس به.. وفي النهاية.. تنزع الصفحة وترميها في المياه.. في أعماقها كانت تدوي أفكارها كألف هَزِيم للرعْد.

(إنه لشعور غريب ما أعيشه الآن.. لا أدري كيف أصف ما أمرُّ به.. إنني أشعر أن أميري العزيز معي هنا الآن.. يحوطني بطيفه.. يتسلل إلى

obeikandl.com

عقلي ليستمع إلى أفكاري.. أشعر أنه ساكن وكامن في أعماقي ذاتها.. إن أميرى العزيز جعلني أشعر أنني امرأة لها حياة.. لها رونق.. لقد فجَّر بداخلي أحاسيس لم أشعر بها من قبل.. بدونه أشعر أنني تائهة.. مشوشة.. ضعيفة.

سوف أتزوج جوناثان.. وأبعد عن أميري.. إن ضميري يؤنبني بشدة.. لا أعرف ماذا أريد.. إنني امرأة سيئة متقلِّبة.. إنني أكره نفسي بشدة).

***

كونت دراكيولا..

زوجته إليزابيتا.. حبيبته مينا..

للمرَّة الثانية يتذوق ويشرب من كأس الفراق..

للمرَّة الثانية.. يموت بسبب حبه وبسبب قلبه..

دموعه الساخنة.. تلك الحُمَم البركانية التي تنهمر من عينيه وتغرق وجهه..

لم يعد ذلك الأمير الوسيم المتأنق المليء بالحيوية والنشاط..

لقد تحوَّل إلى مسخ.. كل شيء فيه مُتغضِّن، مجعد، مشوَّه.. لقد جعلوا حبيبته مينا تتخلى عنه.. أبعدوها عنه..

نفس ما حدث سابقًا.. سوف ينتقم.. سوف ينتقم من كل من اعترض طريقه.

وبعيون شيطانية.. لا تحمل شيء سوى الغضب والانتقام..

إنها الثورة.. يجب أن يقتل الجميع.. ومن أعماقه خرجت تلك الصرخة العاتية..

صرخة مهولة.. كان يصرخ باسم الرياح.. إنه يجندها له الآن.. رياح عنيفة هبَّت على كل أرجاء المدينة.. في ثورة وغضب وقوة.. رياح تحمل كل ما يعتمل في أعماق سيد الظلام من غضبٍ وانتقام.

***

obeikandl.com

في تلك اللحظة كان فان هيلسنج.. مازال منكبًا يحاول أن يعرف أكبر قدر ممكن عن العدو الذي يحاربه.. كان يجلس في صمتٍ وهـدوء.. حتى اقتحمت تلك الرياح نافذته وحطمتها في قوة لتطفئ كل المشاعل التي تضيء المكان.

إنه السبب.. إنه السبب.. دراكيولا.. الغير ميت.. الخصم الذي تتبعته طوال حياتي.

قالها وهو يضحك في جنون هستيري.. ليترك كل شيء خلفه ويذهب سريعًا وسط تلك العاصفة الهوجاء إلى منزل لوسي.. وفي حديقة منزل تلك الأخيرة، كانت الفوضى تعُم كل شيء.. رياح عنيفة.. ضباب لعين.. عُواء ذئب يتردد في كل مكان.. جياد متوترة خائفة مضطربة تصهل باستمرار وهي تحاول أن تفلت من قيودها..

الجميع كان هناك.. جاك واقفًا مع مستر موريس أمام الباب الأمامي.. حيث كان هذا الأخير ممسكًا سلاحه.. وفي داخل الحُجرة كان بجانب لوسي خطيبها أرثر.. وأمام الباب الخلفي كان يقف أحد الحراس ممسكًا بسلاحه هو الآخر.

- أحرسها جيِّدًا مستر موريس.. إنها ليلة شنيعة.. انظر لتلك الرياح إنها تحمل روح الشر ذاته.. لا يجب أن يكون هناك أي فشل.. نحن نتعامل مع قوة هائلة.. احرس لوسي جيِّدًا.. وألا ستصبح ملعونة إلى الأبد بسبب ذلك الشيطان.. .إنها في طريقها للتحول إلى عاهرة الظلام.

وقفَ الجميع يستمعون إلى أوامر فان هيلسنج في اهتمام وتوتر.. والذي استطْرد حديثه بنفس الحماس والقوة:

- اصغوا إليَّ جميعًا.. إن لوسي ليست ضحية عشوائية أصيبت في حادث بالصدفة.. كل شيء مخطَّط له منذ البداية.. لقد كنا مثل قطع

الشطرنج في يد ذلك الشيطان.. إن لوسي مجندة لخدمة سيد الظلام الآن.. إنها أكثر شيئًا مرعبًا ستقابلونه في حياتكم.. لقد أصبحت مَحْظية الشيطان الآن.. هل تفهموني جميعًا.. إنها مَحْظية الشيطان.. الآن يمكننا أن ننقذ روحها.. طالما الجميع يحرسونها.. أمَّا أنا فلن أستطيع أن أفعل أي شيء بمعدة خاوية.. جاك!!!.

- نعم سيدي؟.

- اذهب بي إلى أقرب مطعم فاخر.. أريد أن أملأ معدتي.. رُبَّما تكون لحظاتي الأخيرة.. ولهذا أحب أن أموت وأنا لست جائعًا!!.

***

فى وقتٍ متأخر من تلك الليلة.. كانت الرياح مازالت تضرب كل جزء في المدينة بنفس القوة.. أحداث كثيرة كانت تحدث في نفس الوقت وفي عدة أماكن وكأن بينها خيطًا خفيًا يحركها جميعًا بدقة متناهية..

داخل غرفة لوسي.. كان أرثر مازال جالسًا ممسكًا بسلاحه يحرسها.. كان قد شعر بالملل فجرب أن يشرب كأسًا من الخمر.. وكانت هذه هي البداية.. لتتحول الكأس الواحدة إلى عِدَّة كُؤُوس.. وفي النهاية تخدرتْ حواسه ونام تمامًا..

في حديقة المنزل.. كان دراكيولا بنفسه واقفًا فيها خلف تلك الأغصان الكثيفة.. متنكِّرا في صورة ذئب شيطاني غاضب.. مع كل خطوة يخطوها كانت النباتات تذبل، لم تكن تتحمل كل هذا الشر الذي يقف عليها..

الحشرات.. الفئران.. الطيور الليلية.. الجميع كان قلِقًا.. خرج من مخبئه.. وبعينيه الناريتين كان يراقب ذلك الحارس الذي يقف أمام الباب الخلفي.. مع كل هذا الضباب لم يرَ الحارس أي شيء يتقدم نحوه.. كل ما شعر به هذا

obeikandl.com

المسكين هو أن عُنقه وحنجرته تتمزق بين أنياب ذلك الذئب الشرس.. أنه حتى لم يجد الوقت ليطلق صرخة واحدة.
في تلك الكنيسة بترانسلفانيا.. كانت مينا وجوناثان.. يقفان أمام القس ليتموا مراسم الزواج..

لوسي.. كانت نائمة.. ومع انطلاق أول صوت عُواء ذئب.. فتحت عينيها وبها تلك النظرة الشهوانية.. إنه نداء سيدها.. سيد الظلام نفسه.
مع كل صوت عُواء.. كان يصدر منها شهيق المتعة.. جسدها كان عاريًا.. وذلك الفحيح في صوتها..

الآن تراه بعينيها واقفًا أمام بابها الخلفي.. متجسدًا في هيئته.. نظراته غاضبة نارية.. أمَّا أرثر.. فقد أفاق ليجد نفسه وقوة منيعة تقذفه نحو الحائط ليفقد الوعي في نفس اللحظة.

كان القس يضع أكاليل الأزهار على رأس كل من مينا وجوناثان وهو يتلو صلاواته.
«رجالكِ العاجزون الضعفاء الذي تتزعمهم حَفْنة من الحمقى، لن يستطيعوا حمايتكِ من قوتي.. إنني أنقلكِ إلى حياة الموت الأبدية.. أنقلكِ إلى عالمي الخاص.. عالم الظلام.. سأنقلكِ إلى الجوع الأبدي، للعطش المستمر للدماء.»
قالها دراكيولا وهو واقفًا محدقًا في جسد لوسي العاري..
مينا وجوناثان يشربان نبيذ الزواج..

كونت دراكيولا.. تحول إلى ذئب مرَّة أخرى ليحطم زجاج الباب الخلفي بقوة ويندفع بشراسة وشهوانية ليمتطي جسد لوسي العاري.. لم يكن يمتص دماءها.. ، بل كان ينهش عُنقها ويمزقها.

obeikandl.com

وبين أنيابه الحادة كانت تصرخ لوسي بقوة.. روحها كانت تُسحَب منها.. كانت موقنة أنها تموت.

ومن جسدها تفجَّرت نافورة دم رهيبة.. وكأن جسدها انفجر فعليًّا.. نافورة دم.. لوَّثَت كل شيء.. وغطت على كل شيء.

وكان واضحًا أن الكونت دراكيولا قد ربح تلك الجولة أيضًا بمنتهى الجدارة.

***

في صباح اليوم التالي.. في صالة الاستقبال بمنزل (ويستن)..

كان الجميع موجودين؛ الأقرباء، الأصدقاء، الخَدم، جاك، أرثر، موريس.. الجميع بلا استثناء التفوا في صمتٍ مهيب حول جسد لوسي الذي فارق الحياة..

هناك في ذلك النَّعْش، رقدتْ بثيابها البيضاء وبشرتها الشاحبة الخالية من نقطة واحدة من الدماء.
إنها لوسي.. فاتنة الفاتنات وصاحبة أروع ضحكة وملكة البهجة والحيوية والشباب النضِر.. كلها أشياء لم يعد لها وجود إلا في ذكريات من يقف حول جُثْمانها فقط.

إنها رهبة الموت، ذلك الصمت الذي يغلِّف الجميع.. إنها لحظات الوداع حيث أفضل طريقة تودع بها شخص ميت؛ هي أن تراه بعينيكَ، وتحسه بقلبكَ، وتترك حياته وذكرياته في أعمق أعماقكَ.
إنه التحوُّل من النقيض إلى النقيض..

كان فان هيلسنج واقفًا بعيدًا إلى حدٍّ ما عن ذلك الجمع الغفير.. كان عقله يهدر بشدة ولا يكف عن التفكير.. حتى إنه هتف بـ جاك بصوتٍ منخفض ليلحق به بعيدًا عن جمع المُعزِّين هذا:

- جاك، أنا أعرف كم أحببت لوسي وارتبطت بها، ولكن أريد منكَ أن تأتمني على ما سأفعله معها أو بمعنى أدق بجسدها..

- ماذا تقصد يا دكتور فان هيلسنج؟.

أريد منكَ يا جاك أن تجهز لي بعض أدوات التشريح.

هتف جاك في دهشة حقيقية وهو لا يستوعب الأمر:

- تشريح!!! هل تريد أن تشرِّح جُثة لوسي يا دكتور؟.

- لا يا جاك، أنا لن أشرِّح جُثتها، أنا فقط سأقطع رأسها، وأخرج قلبها!!.

ردَّ عليه فان هيلسنج وهو ينظر في عينيه.. حتى إن جاك نظر إليه وهو غير مصدق لما يسمعه.. وحينما تيقَّن أن ما يقوله أستاذه حقيقة وليست دُعابة.. تركه وهو غير مصدق وعلى وجهه علامات الاشمئزاز من هذا الجنون الذي يسمعه.

***

أسبوعان مرَّا على دفن لوسي..

مينا عادت إلى لندن هي وزوجها جوناثان والذي حوَّلته التجربة الأخيرة التي مرَّ بها إلى كائن غير متزن، يعيش في قلق وخوف دائمين مستمرين.. تحوَّل شعره الأسود الفاحم إلى لون رمادي، يبدو أن جهازه العصبي لم يتحمَّل ما مرَّ به من أحداث مهولة..

كان خبر وفاة لوسي قد نزل نزول الصاعقة على قلب وعقل مينا .. إنها الآن تشعر بأن جزءًا مهمًّا من حياتها قد دُفِنَ مع صديقتها لوسي، وذهب إلى

obeikandl.com

الأبد بلا رجعة.. إنها الآن تشعر أنها عارية بحق.. عارية ووحيدة وضعيفة.
وهناك في شوارع لندن مساءً.. كانت الجُموع الغفيرة تتحرَّك كُلٌّ إلى هدفه..
إنها الساعة التي تنشط فيها المطاعم وحركة البيع.
كانت مينا تمشي ويدها في يد زوجها.. وفي عقلها كانت الأفكار تلتهم بعضها بعضًا..

«زوجي جوناثان مازال مريضًا يعاني تلك الكوابيس المخيفة ليلًا.. ودائمًا ما يبدو تائهًا غائبًا عن الوعي.. إنه لم يعد جوناثان الذي أعرفه، أنا نفسي لم أعد أشعر بأي شيء حولي.. كل من حولي وما حولي يبدو غريبًا.. كئيبًا.. مخيفًا.. لوسي ميتة.. وزوجي مريضًا.. أشعر أن نصف أعماقي قد دُمِّر تمامًا.. ولكن مازال بداخلي بصيص أمل ضئيل يتعلق بأميري العزيز.. أتمنى أن أراه.. قلبي يتمنى هذا.. ولكن عقلي يستنكره بما أنني أصبحت متزوجة؟؟ إنني تائهة ومشتتة للغاية، وضائعة بين ذلك الصراع الموجود دائمًا بين عقلي وقلبي.. أتمنى فقط أن أعرف هل مازال أميري موجودًا بلندن أم أنه تركها وعاد إلى بلاده؟؟ أشعر دائمًا أنه موجود معي.. يعيش حولي.. يسيطر على تفكيري.. ولكنى لا أراه بعيني.. أشعر به فقط.. أين أنت يا أميري؟ «.

على الجانب الآخر من الطريق..
وفي تلك البقعة الخافتة الإضاءة.. كانت عينان.. ثاقبتان.. تشعان ببريقٍ مخيف..
تراقبان مينا وجوناثان..
عينان لهما هدف واحد فقط؛ الانتقام من الجميع والفوز بـ مينا.
في تلك العربة الراقية جلست مينا وزوجها، حيث كان هذا الأخير يراقب المارة بعيون خاوية.

ولكن نظره تصلَّب.. وتوقُّف عند تلك البقعة الخافتة.. وتلاقت عيناه بعيني كونت دراكيولا.. وسرت تلك الرعشة الشديدة في جسده كله.. حتى إن مينا انزعجت وقالت وهي تهتف بقلق:

- جوناثان، ماذا هناك؟.

ردَّ عليها بصوت مرتعش مليء بانفعالٍ كبيرٍ:

- إنه الرجل نفسه يا مينا .. إنه ذلك الشخص المخيف.. انظري لقد أصبح شابًّا بطريقة ما.. إنه ذلك الشيطان يا مينا..

نظرتْ بسرعة إلى تلك الجهة التي يشير إليها زوجها.. ولكن في نفس اللحظة تحركت العربة وخرج الكونت عن أنظار الجميع، ولم تستطع مينا أن ترى ما الذي أخاف زوجها إلى هذا الحد..

يبدو أن تلك الأمسية قد جعلت الجميع يتوتر بشدة.

***

في نفس الليلة، في وقت متأخرًا جدًّا.

أمام الباب الخارجي لمقبرة لوسي.. وقف فان هيلسنج.. ومن خلفه موريس وجاك وأرثر، وفي أيديهم تلك المصابيح التي تحاول أن تبدد الظلام والضباب المحيط بهم..

وفي داخل المقبرة وأمام ذلك التابوت الرخامي الذي يحوي جُثة لوسي.. وقف الجميع في صمت مهيب.. كان أرثر يشعر بالتوتر طوال الوقت، حتى إنه لآخر لحظة كان يسأل الجميع السؤال الذي كرره أكثر من مرَّة:

- أيها السادة المحترمون.. هل يجب أن ندنس قبر خطيبتي الراحلة بهذا الشكل المهين؟؟! هي ماتت بما فيه الكفاية وتعذبت أيضًا قبل موتها.. ما الذي تريدون صنعه بها مرَّة أخرى؟؟ ألا يكفيكم ماحدث!!.

obeikandl.com

ردَّ عليه فان هيسلنج وهو يخلع مِعْفطه وقُفَّازيه ويقول بهدوءٍ:

- إذا كانت لوسي ميتة فعلًا إذًا لا ضير مما سيحدث لها.. أمَّا إذا كانت غير ذلك.. !!.

قاطعه أرثر بسرعة وهو يقول في دهشة:

- ماذا ؟ هل تقول إن خطيبتي دُفِنَت حيَّة يا دكتور.. ؟؟!!.

- لا طبعًا يا أرثر.. إنني أقصد أنها ميتة وغير ميتة في نفس الوقت.

- إنه جنون.. كل كلامكم وأفعالكم جنون.

ترك الجميع أرثر يدور في المقبرة مثل الليث الغاضب وهو ينفث دخان سجائره بقوة لعلَّها تخفف ذلك التوتر الذي يعتليه.. واتجهوا إلى حقائبهم يخرجون ما بها من معدات لكسر تلك المسامير الطويلة التي تثبِّت غطاء التابوت..

وحينما انتهوا ونزعوا كل المسامير.. وفي حركة واحدة حركوا ذلك الغطاء الرخامي الثقيل.. كان صوت تحرُّك الغطاء وسط كل هذا الصمت.. كئيبًا مثل الموت ذاته..

وعلى الضوء الشاحب لمصابيحهم.. اقترب الجميع والتفوا ليروا مابداخل التابوت.. وكانت صدمتهم قاسية حينما وجدوه خاليًا تمامًا، وكانت هذه هي اللحظة التي فقد فيها أرثر أعصابه تمامًا ليخرج سلاحه ويشهره في وجه فان هيلسنج وهو يصرخ ويقول:

- أين لوسي؟؟ أين هي؟؟ ماذا حدث لها ولجسدها؟؟ ماذا فعلتم بها؟!!.

وقف فان هيسلنج صامتًا هادئًا ينظر إلى الجميع وإلى ذلك السلاح، وفي النهاية ركَّز بصره على وجه أرثر وهو يقول له:

- إن لوسي.. أو بمعنى أدق جسدها، يعيش الآن بعيدًا عن رحمة

obeikandl.com

الله.. إنها تعيش هناك في هيام ذلك الظلام الخارجي لقوى الشر.. إنها مصاصة دماء الآن.. إن لوسي لم تعد لوسي.. لقد تحوَّلت إلى شيطانة يا أرثر.. هذه المخلوقات لا تموت مثل النحلة بعد اللدغة الأولى.. ولكن بدلًا من ذلك تنمو باستمرار وتصبح خالدة.

أبعد ذلك السلاح عن وجهه وهو يستطرد كلامه ويقول بمنتهى الحزم والقوة:

- أصدقائي.. إننا لا نحارب وحشًا واحدًا.. ولكن نحارب جَحافل الشر عبر العصور.. إنهم يعيشون على الدماء.. وهذه هي طريقتهم الوحيدة للمحافظة على أنفسهم.. ولهذا..

بتر كلامه والتفت مع الجميع بسرعة إلى مدخل المقبرة، حيث تلك الضوضاء المختلطة ببكاء طفل صغير.. كان أمامهم يمتد ذلك الظِل المجهول وهو ينزل درجات المقبرة في هدوءٍ وثقة..

أمرهم فان هيلسنج أن يختبئوا سريعًا في تلك الأركان المظلمة وهم يراقبون ذلك الظل الذي بدأ يتجسد حاليًا ويتخذ شكل جسد لوسي.. كانت هي أو بمعنى أدق كان جسدها الذي يتحرَّك.. لا تزال مرتدية نفس ملابسها التي دُفِنَت بها.. نفس البشرة الشاحبة الخاليه من الدماء.. نفس العينين الحمراوتين الدمويتين..

كانت تحمل طفلًا يبدو أنها اختطفته من أهله.. إنه وجبتها ووليمتها الشنيعة لهذه الليلة..

مع كل خطوة تخطوها.. كانت الشموع تشتعل بمفردها.. وكأن هناك يدًا خفيَّة شيطانية تشعلها.

- لوسي..

هتف بها فان هيلسنج بقوة وهو يواجهها.. والتي التفتتْ إليه بسرعة خارقة.. لتترك ذلك الطفل يقع من يدها على الأرض الصلبة.. وهو مازال يصرخ ويبكي.. ليلتقطه موريس سريعًا ويحمله بعيدًا عن تلك الشيطانة.

كانت واقفة في ثباتٍ وقوة.. وفي عينيها تلك النظرة الشريرة الشيطانية الشهوانية.. وقد وقفت تتفرس في ملامح الجميع.. وتوقفت عيناها أمام عيني خطيبها السابق.. تقدمتْ ناحيته وهي تقول له ببطء بصوتٍ شبيه بفحيح الأفاعي.. مليء بالإثارة والشهوانية:

- تعالَ إليَّ يا أرثر.. اترك الآخرين وتعالَ معي.. إني مشتاقة إليك يا حبيبي.. قبِّلني قُبلة واحدة يا أرثر.

كانت تتجه نحوه في بطءٍ شديدٍ وهي تمد يدها إليه.. أمَّا أرثر نفسه، فكان مخدَّرًا بفعل صوتها الذي استحوذ على أعماقه كلها.. ولكن فان هيلسنج سدَّ عليها الطريق، ووقف أمامها رافعًا ذلك الصليب في وجهها وهو يصرخ فيها بقوة:

- نحن مؤمنون وأقوياء بالله وبقدرته.. نحن مؤمنون وأقوياء بالله وبقدرته..

كان يكرر الجملة وهو يصرخ في وجهها بقوة.. لترتد لوسي إلى الخلف وتُهبّ مُشيحة بوجهها وتداري عينيها عن مرأى ذلك الصليب.. وهي تصرخ في الجميع وأنيابها الحادة بارزة بشدة.. كانت تتراجع إلى نَعْشها.. وفان هيلسنج يتقدم نحوها في ثباتٍ وهو مازال يطلق كلماته ممسكًا بصليبه.. صراخ لوسي وفحيحها امتزجا بقوة مع صراخ فان هيلسنج وكلماته.. أما الآخرون فقد تسمَّرت أقدامهم في الأرض من الرعب.

وفي النهاية انتصرت الكلمات على الفحيح.. لترقد لوسي في نَعْشها بهدوءٍ. توقف الجميع مشدوهين.. وأخذ فان هيلسنج يلتقط أنفاسه.. واتجه الجميع ناحية النَّعْش.. كانت الشيطانه نائمة بهدوء.. وفجأة وبسرعة غريبة، فتحت عينيها، واعتدلت بسرعة خارقة.. . للتقيأ على الجميع ذلك الدم الأحمر اللزج الذي خرج من فمها قويًّا مثل الشلال.. ليغطي ملابسهم ووجوههم وأرضية المقبرة التي تحولت إلى بحيرة من الدماء .

obeikandl.com

أمسك فان هيلسنج صليبه مرَّة أخرى وهو يصرخ في وجهها:

- إنني أخرجكِ من الظلام إلى النور.. إنني أنقذكِ من ذلك الشيطان.. أنا بعون الله سأطرد ذلك الشيطان من جسدكِ إلى الأبد.

استكانتْ لوسي تمامًا، ونامتْ في هدوء، وكانت هذه هي اللحظة المناسبة التي ينتظرها فان هيلسنج ليلتفت إلى أرثر وهو يناوله وتدًا حديديًّا عملاقًا، ويقول له وهو ممسك سيفًا:

- ستكون شجاعة كبيرة منكَ أن تفعلها يا أرثر.. امسك الوَتِد بيدكَ اليسرى.. نعم هكذا.. وضعه في منتصف قلبها.. ثم باسم الله اضربه بقوة .

ليضربه أرثر بقوة وهو يصرخ.. ليخترق الوتد قلب لوسي.. ومع كل ضربة كان أرثر يفرغ انفعاله بالمزيد من الصراخ.. وهو يرى كل تلك الدماء تتفجر بغزارة من قلبها..

وفي النهاية هوى فان هيلسنج بسيفه على عُنق لوسي ليقطعه في قوة، ويطير في الهواء؛ ليشعر بهذا دراكيولا وليصرخ هو الآخر في غضب بعد أن خسر إحدى مَحْظيَّاته..

الآن يشعر فان هيلسنج أنه هو من ربح هذه الجولة بجدارة.

***

الحرب

obeikandl.com

obeikandl.com

في اليوم التالي.. في ذلك المطعم.. وحول تلك المائدة، جلس فان هيلسنج و(مينا) وجوناثان هاركر كانت هذه هي المرَّة الأولى التي يتقابل فيها فان هيلسنج مع زوج مينا .. صحيح هو كان يعرف كل التطورات التي حدثت له بالتفصيل، إلا أن هذه كانت المرَّة الأولى التي يجتمع فيها الثلاثة معًا.

قال له هيلسنج وهو يقطع شريحة كبيرة من اللحم البقري المشوي ويضعها أمام جوناثان:

- يجب عليك أن تأكل جيِّدًا.. يجب أن تعوِّض ذلك الدم الذي امتصوه منك.. إن المرحلة القادمة ستحتاج إلى قوتك.. بصراحة نحن مقبلون على أيام حالكة.. إذا صح هذا التعبير.

استجمعت مينا شجاعتها وهي تسأل فان هيلسنج:

- كيف ماتت لوسي يا دكتور؟ هل تألمت كثيرًا قبل وفاتها؟.

- في الحقيقة هي تألمت كثيرًا يا مينا .. تألمت بشدة حتى قطعنا رأسها.. وأدخلنا وَتِدًا كبيرًا في قلبها، وفي النهاية أحرقنا جثتها.. وأخيرًا حظيت بالسلام الروحي مع نفسها!!!.

شعرتْ مينا أن معدتها تتقلَّص، وأنها ستفرغ كل ما بداخلها أمامهم على المائدة.. شعر بها زوجها وهو يهتف بقوة واستنكار في وجه فان هيسلنج:

- دكتور.. !! من فضلكَ.. احترس لكلامكَ.

نظر له هذا الأخير نظرة صامتة وهو يفكر في أمرٍ ما ثم سأله في اهتمام:

- مستر جوناثان، يجب عليَّ أن أسألك كطبيبك المعالج سؤالًا حساسًا في وجود زوجتك فقط لمجرد الاطمئنان.. أكيد أنتَ تتذكر نساء الشيطان أومَحْظيَّات الكونت جيِّدًا.. هل دخل أي جزءٍ من دمائهم داخلكَ؟.

- لا يا دكتور أنا واثق أن هذا لم يحدث أبدًا.

obeikandl.com

كانت هذه من جوناثان وهو يرد عليه بسرعة..

- إذن عظيم.. أنتَ لم تصَب مثل لوسي المسكينة.. إن جسدكَ خالٍ ونظيف، ولكنه فقط مُتعب ومرهق للغاية مما حدث له.

- دكتور فان هيلسنج، يجب أن تفهم جيّدًا أني وحتى آخر لحظة، كنت أشعر أنني أعيش في كابوس.. لقد شككت في كل شيء شعرت أنني مجنون.. كنت عاجزًا وخائفًا.. مقيدًا محبوسًا..

صمت لحظة وكأنه تذكر شيئًا غاب عن باله، ثم أكمل حديثه بسرعة وحماس:

- يا إلهي العظيم.. لقد تذكرت شيئًا مُهمًّا.. أنا أعرف أين ينام هذا الشيطان.. إنني أعرف مكانه السري في لندن.. إنه ينام هناك في ذلك المنزل المواجه للمصحَّة النفسية بمقاطعة كارفكس.. لقد أشرفت بنفسي على بيع هذا المكان له.

- عظيم مستر جوناثان.. إنها معلومة لا تقدَّر بثمن.. دعونا لا نضيع لحظة واحدة.. يجب أن نضرب ضربتنا الليلة.

ثم نظر نظرة طويلة إلى مينا وهو يستعد للمغادرة.. ويقول:

- إنها طُبول الحرب يا عزيزتي مينا تدق بقوة.. الليلة ستبدأ حربنا مع الشيطان نفسه في داره.

***

بعد ثلاث ساعات من تلك المحادثة، وبالتحديد أمام تلك المِنطقة المُقفرة الخالية من السكان والمواجهة لتلك المصحَّة النفسية.. كان الجميع موجودين أمام عَرين الشيطان .

موريس، جاك، أرثر، جوناثان هاركر، مينا وفان هيلسنج.. الجميع كانوا واقفين تنبض قلوبهم بعنف.. إنها المرَّة الأولى التي يكون فيها الجميع بهذا القرب من ذلك المسخ.. كانوا مسلحين جيِّدًا، يحملون المشاعل، وللمزيد من

الحماية كان معهم بعض من كلاب الحراسة الشرسة المدربة جيّدًا.
التفت إليهم فان هيلسنج وبيده تلك الشُّعلة الكبيرة وهو يقول بحماسٍ؛ محاولًا أن يخفف من توترهم ويبث داخلهم الشجاعة:

- استمِعوا إليَّ جيّدًا، إننا الآن أمام منزل الشيطان نفسه.. أكيد هو يعلم بقدومنا وبلا شك يراقبنا الآن وينتظرنا.. إن مصاصي الدماء موجودون فعلًا، وليسوا خرافة، والدليل أمامكم على بُعد خطوات قصيرة.. سنحارب كائنًا بقوة أكثر من عشرين رجلًا.. كائنًا شيطانيًّا يسيطر على أكثر الأشياء قبحًا في هذه الحياة.. إنه يجند الذئاب والخفافيش والفئران لخدمته، ومع قوته هذه فإنه ليس حُرًّا كما يحاول أن يظهر لنا؛ لأنه مقيَّد ومسجون بعامل الوقت والوطن.. هو لا يستطيع أن يواجهنا نهارًا أبدًا ولا يستطيع أن يبتعد عن تراب وطنه.. لهذا أحضر معه كل هذه الصناديق التي أخبرنا عنها مستر جوناثان هاركر.. يجب أن ينام بداخل تلك الصناديق ليكتسب ويحافظ على قوته الشريرة.. أتمنى أن يكون كلامي مفهومًا للجميع.

ردَّت مينا بسرعة وكلماتها تخرج مرتعشة:

- إذن كيف سننتصر على هذا المخلوق الشيطاني يا دكتور؟.

نظر فان هيلسنج إلى جاك نظرة فهمَ منها هذا الأخير ما المطلوب منه، لهذا التفت إلى مينا وهو يمسك يدها برفق ويقول لها:

- تعالي معي، أنتِ ستكونين بأمان هناك في حُجرة مكتبي في هذه المصحَّة.

كان هيلسنج يشعر بخبرته أن وجود مينا معهم بخوفها ورعبها سيمثل نقطة ضعف خطيرة ضدهم وهو لا يريد أي نقاط ضعف هذه الليلة أبدًا.. ومع ابتعاد مينا .. ومع أولى خطواتهم داخل منزل دراكيولا..
كانت أمامهم مهمة واحدة غير قابلة للنقاش..
إما أن ينتصروا عليه ويقتلوه..

أو ينتصر عليهم ويقتلهم.

***

الخوف من الجنون والرهبة والفزع من كل ماهو غير عاقل وشاذ في تصرفاته. إنه ذلك الخوف الغريزي بداخلنا نحن بني البشر..

لهذا كانت مينا تشعر بخوفٍ شديد وهي تمشي داخل أَرْوِقـة المصحَّة النفسية.. هي لا تصدق أنها الآن داخل سجن الجنون هذا وحولها كل هؤلاء المعاتيه.. لهذا تمسكت بيد جاك بشدة والذي شعر مع مسكتها أنها خائفة ترتجف كورقة وحيدة في شجرة وسط عاصفة صحراوية.

كان الاثنان متجهين إلى غرفة المكتب.. وما إن رآهما رينفيلد حتى صرخ بقوة:

- دكتور جاك.. دكتور جاك.. لقد وعدنى سيدي بالحياه الأبدية..
- مَن هذا الرجل يا جاك ؟.
- إنه مستر رينفلد يا مينا.
- رينفيلد!!! .. أنا يجب أن أراه حالًا يا جاك .. أرجوك أريد أن أتحدث معه.

أخذها جاك، واتجه معها إلى زنزانة رينفلد، حيث كان هذا الأخير مقيَّدًا بإحكام، وبسرعة عرَّفهما جاك بعضهما ببعض.. لتلتمع عينا رينفيلد وهو يقول بشراسة:

- إنني أعرفك جيّدًا سيدة مينا ،. إنكِ العروس المنتظرة.. إنك العروس التي يطلبها السيد لنفسه!!.

نظرتْ مينا إليه بدهشة وهي تقول:

- عروس!! إنني متزوجة بالفعل يا مستر رينفيلد.. متزوجة من السيد جوناثان هاركر.

تجاهل رينفيلد عبارتها تمامًا وهو يقول لها:

obeikandl.com

- سيدي يخبرني دائمًا عنكِ سيدة مينا.

بلهفة قالت له مينا:

- ماالذي أخبرك به؟.

نظر رينفلد في عينيها وهو يقول ببطء:

- إنه قادم من أجلكِ أنتِ فقط.. لقد قطع كل هذه المسافة الطويلة من أجل أن يفوز بكِ.. أرجوكِ مينا .. ارحلي عن هذا المكان بسرعة.. ابتعدي عن طريق سيدي.. إنني أصلي دائمًا.. أنا واثق أنني لن أرى وجهكِ الجميل مرَّة أخرى.

أخذ جاك يد مينا وابتعد بها عن زنزانة رينفيلد، الذي ازداد هياجه وهو يصرخ بتلك العبارة التي لا يكرر سواها.

- سيدي.. لقد وعدتني بالحياة الأبدية، ولكنك أخلفت وعدك لي، وأعطيته لتلك المرأة الجميلة.. دكتور جاك، أنا لست مجنونًا يا رجل.. أنا أكافح من أجل روحي ذاتها..

وفي داخل حُجرة دكتور جاك الشخصية، وقفت مينا تنظر إلى حجرة المكتب، فما كان من جاك إلا أن قال لها:

- أرجو المعذرة مينا، فحُجرتي ليست فاخرة أو كبيرة كما ينبغي ولكنها مريحة.. ستجدين هنا فراشًا، حاولي أن تنامي وترتاحي، وستجدي الماء والحمَّام الخاص بك تحت تصرفك أنتِ وحدك.. ثقي أنك ستكونين بأمان هنا.

وضع قُبلة على يدها وتركها ليلحق بالرفاق على باب عَرين الشيطان..

ومن تلك النافذة، اتجهت مينا مسرعة لتراقب الجميع..

كان قلبها يرتعش وينبض بعنفٍ وهي تراهم يدنسون قبر الشيطان نفسه.

***

فرق شاسع بين أن ترى الأسد من بعيد، وبين أن تكون في عرينه.. لا يوجد

obeikandl.com

مجال للمقارنة.. هذا بالضبط كان إحساس الرجال جميعًا وهم بداخل منزل الكونت دراكيولا.. كل شيء حولهم يحمل رائحة الموت.. الظلام يحيط بكل شيء، هدوء قاتل، هناك ذلك الضباب الذي يطغى على كل ركن.

خيوط العنكبوت المتشابكة.. كل شيء يُشعِرك أنك لا تمشي داخل منزل.. ، بل داخل قبر الشيطان نفسه.

الكل مُتوجِّس، خائف، الأعصاب مشدودة، العيون تتحرك في كل اتجاه بسرعة، تراقب كل شيء.. لا توجد هفوات الليلة.. إن أي هفوة سيدفعون حياتهم نفسها ثمنًا لها.
إما هم.. أو.. هو..
كان فان هيلسنج يقود الجميع؛ الكلاب متوترة بشدة، ولها الحق.. من قال إن مواجهة الشيطان لا تبث الخوف في قلوب جميع الكائنات؟! وفي منتصف القاعة الرئيسية توقف الجميع وهم يشاهدون كل تلك الصناديق التي تحوي تراب الموت ذاته.

وفي سرعة وبدون تردد، هتف فان هيلسنج برجاله:
- حطِّموا كل الصناديق، وعفِّموا التراب من الداخل بالماء المقدَّس، انثروا الماء المقدَّس على كل شِبر هنا.. إن عملية طرد الأرواح الشريرة قد بدأت.
أخرج الرجال بسرعة خارقة معداتهم، وبسرعة انهالوا على كل تلك الصناديق يحطمونها.. ومع كل صندوق محطم كانوا يشعرون أنهم يحطمون جزءًا من خوفهم.
صراخ الرجال وهم يحطمون كل شيء أفرغ شحنة الخوف ليحل محلها إحساس الشجاعة.. ومع كل كَمِّية ماء مقدَّس يتم رشها.. كانوا يشعرون

أنهم يغتسلون من أي انفعالٍ لهم.. ولكن هناك.. في أعلى مكان من المنزل.. وفي تلك البقعة شديدة الظلام.. كان الكونت دراكيولا معلّقًا كخفاش ضخم.. يراقبهم بصمتٍ، وعيونه تشتعل غضبًا ليطلق صرخة هائلة ويطير محلِّقًا بعيدًا عنهم، ويغادر المكان على هيئة ضباب أخضر اللون كثيف، يتلوى ويتحرك على الأرض مثل الثعبان العملاق.

هناك على الجهة الأخرى وفي نفس اللحظة.. كانت مينا مستلقية على فراشها بثياب النوم.. إنه الإرهاق والتعب والخوف والوحدة ما جعلوا جفونها ثقيلة.. كانت تحتاج إلى الهرب من كل ما حولها بالنوم.

ولكن تلك الصرخة الحادة المريعة أيقظتها.. يالها من صرخة، وكأن هناك من يُحرَق في جهنم ذاتها.

لقد اخترقت الصرخة حاجز المسافة، واخترقت جدار النوم لتتسلل إلى أعمق أعماقها وتجعلها تقفز مفزوعة من فراشها.. لتنظر من نافذتها لترى ماذا هناك.. هي لم تفَهم أو ترى ماذا يحدث هناك داخل عَرين الشيطان، كل ما شاهدته هو ضباب أخضر كثيف يزحف كأفعى عملاقة باتجاهها.. مرأى ذلك الضباب أثار في نفسها الخوف والرعب.

شعرت أن الموت أصبح متجسِّدًا وله شكل ولون.. لم تدرِ ماذا تفعل.. كل ماشعرت به هو أن الرعب دبَّ في أوصالها، وأنها لم تعد قادرة على أن تحرك عضلة واحدة في جسدها.

أما الضباب نفسه، فكان له هدف آخر في تلك اللحظة.. هدف يسعى ويعرف طريقه إليه جيِّدًا.. إنها زنزانة رينفلد.. ومن تلك النافذة العُلوية للزنزانة، انسلَّ الضباب بهدوءٍ يليق بقوة الشيطان نفسه.

كان رينفيلد مُتَكوِّمًا على الأرض شِبه نائم، ولكنه استيقظ في فزعٍ حينما دوى

obeikandl.com

في أرجاء زنزانته ذلك الصوت القاسي بقوة وهو يقول:

- رينفليد.. لقد خنتني..

نظر هذا الأخير إلى الضباب في خوف وهو يرد مدافعًا عن نفسه ملوِّحًا بيده:

- لا.. لا ياسيدي.. أنا خادمكَ المطيع.. أنا خادمكَ أنتَ وحدكَ..

فجأه شعر رينفيلد أن كيان له قوة ألف شخص قد حمله وقذف به بقوة ناحية الباب المعدني.. ليرتد بقوة.. ليتم قذفه مرَّة أخرى.. ضرابات متتالية.. في النهاية لم يتحمل جسد رينفيلد.. فتهشمت عظامه تمامًا، وتحوَّل جسده إلى عجين.. إنه حتى لم يجد الفرصة ليصرخ.. ليتألم.. كل شيء تمَّ بسرعة وقوة وشراسة.

إن الكونت دراكيولا غاضب جدًّا الليلة، وغضبه مريع، لا يوجد وقت للمناقشة أو لفَهم الأسباب.

إن عجلة الحرب قد بدأت.. وهي تتحرك الآن بقسوة.. وكان أولى ضحاياها في تلك الليلة..

هو رينفيلد .

***

ولأن عجلة الحرب تدور بسرعة، ولا يوجد وقت.. فكما دخل الضباب بسرعة.. خرج بنفس السرعة.. لقد ترك الضباب خلفه جسد رينفيلد مُتَكوِّمًا في قاع الزنزانة.. إن الوقت قد حان لشيء أهم من كل هذا..

الوقت قد حان إلى مينا..

ومن نافذتها.. انسل الموت بلا صوت..

كانت مينا في فراشها نائمة.. إن النوم هو وسيلتها للهرب من كل هذا الرعب. نائمة مثل الملاك.. الضباب ينسل بهدوءٍ ويزحف تحت غطاء فراشها.. يلمس كل خلية في جسدها..

obeikandl.com

هي نفسها كانت تشعر أن هناك من يعبث بجسدها ويلمسه برقة وحب.. شعرت أنها تحلم كعادتها.. سمعت نفسها وهي تقول بصوتٍ تردَّد صداه في أعماقها طويلًا: «أميري الحبيب.. أخيرًا.. لقد وجدتني.

وبنفس الصوت الحالم الذي يتردد في أعماقها، سمعت صوت الكونت يقول:

- مينا.. حبيبتي الغالية..

- أميري الجميل.. دائمًا ماتمنيت أن تأتي تلك اللحظة.. أريد أن أكون معك دائمًا.. لا تتركني.

الصوت في أعماقها أصبح أكثر وضوحًا.. اللمسات على جسدها أصبحت أكثر واقعية.. .شعرت أن هناك أنفاسًا حقيقية بجانب وجهها.. إن هذا ليس حلمًا.. إنه حقيقة.

هكذا هتفت لنفسها.. فتحت عينيها ببطءٍ.. أمام عينيها كان الضباب يتجسد إلى شيء آخر تمامًا..

أمام عينيها كانت ترتسم صورة أميرها الوسيم.. بشبابه.. وجاذبيته.. وأناقته.. وأكثر شيء جعلها تشعر بالسعادة هو أنه معها في فراشها يجمعهما غطاءٌ واحدٌ.. وكعادة المحبين لم تسأل أو تتوقف عند كيفية وصول أميرها إليها في ذلك المكان.. كان صوت ضربات قلبها وارتعاشته يفوق صوت عقلها مليون مرَّة.. لم تدرِ إلا وهي في أحضانه تقول له بهمس:

- خِفْتُ من أن لا أشعر بلمستكَ أبدًا.. لقد اعتقدتُّ أنكَ رحلت إلى الأبد.. إنني أحبكَ.. أحبكَ.

نظر الكونت في عينيها وهو يمسك يدها الرقيقة ليضعها على مكان قلبه وهو يقول في حزنٍ:

- لا توجد حياة في هذا الجسد يا مينا..

نظرتْ إليه مينا بخوفٍ، وغريزيًّا سحبت يدها وهي تنظر له غير مصدقة.. كانت تتراجع إلى الخلف وهى تقول بتردد:

- ولكنك حي.. حي.. تعيش وتتحرَّك!! من أنتَ؟؟ أنا يجب أن

obeikandl.com

أعرف كل شيء حالًا.. يجب أن تخبرني يا أميري بكل شيء.
أدار الكونت وجهه إلى الناحية الأخرى وهو يتلاشى نظرات عينيها، ليجيبها بلهجة خاوية حزينة:

- أنا لا شيء يا مينا .. كائن بلا حياة.. بلا روح.. أنا بالنسبة للعالم كله كائن ميت منذ قرون طويلة.. أنا مجرَّد وحش شيطاني يقتل الناس.. أنا يا مينا.. الكونت دراكيولا الذي يحاول كل من حولك قتله والفتك به.

إنه كابوس.. هذا ما شعرت به مينا .. غير مصدقة.. منهارة.. تبكي بحرقة.. بتلك الدموع الغزيرة التي تنهمر من عينيها.. انهارت بين ذراعيه وهي تصرخ:

- لقد قتلت لوسي.. أنت قتلت لوسي بوحشية.

هتفت مينا وهي مازالت تبكي بشدة.. ذلك البكاء الذي يجمع بين الحزن والصدمة والمرارة:

- لقد أحببتكَ.. ومازلت أحبكَ.. لماذا خدعتني.. لماذا تركتني أحبكَ؟.

تركت نفسها باستسلام في أحضانه.. كانت مع كل دموعها وصدمتها تشعر أنها أصبحتْ دُمْية في يد حبيبها.. إنه قلبها.. ليس عليه أي سلطان.. هو من يحركها الآن.. ويتحكم بها.. لقد أيقنَتْ الآن أنها لا تحب الكونت.. بل تعشقه أكثر من روحها.

***

على الناحية الأخرى كان حشد الرجال يحرقون كل التوابيت الشيطانية.. فان هيلسنج يقرأ تلك الآيات بصوتٍ عالٍ.. إنها عملية تطهير حاسمة.. تتم بمنتهى الحزم والقوة..
المياه المقدسة تمَّ رشها على كل شبر وكل بوصة..

obeikandl.com

تم غرس الصليب في كل ركن..
النيران تتصاعد بشدة، والدخان يغمر كل شيء حتى الضباب نفسه احترق..
أخيرًا.. أصبح هذا المكان محرَّمًا ومميتًا للكونت نفسه.. ولن يستطيع حتى مجرَّد النظر إليه.

***

أخيرًا..
أخيرًا.. هدأت دموع مينا .. وأخيرًا تمالكت نفسها.. الآن أصبحت واثقة ثقة عمياء أن حبها للكونت يفوق حبها لزوجها جوناثان هاركر.. الآن أصبحت واثقة أن حياتها لن تكون أبدًا بعيدًا عن ذلك الشخص الذي يحتويها الآن.. حتى لو كان أشنع المسوخ على وجه الأرض..
لقد اختاره قلبها.. وهذا قدرها.. وبعينين مليئتين ببقايا دموع لم تجف قالت:

- أنا أريد أن أصبح مثلك.. أحب أن أكون لكَ دائمًا.
- لكي تكوني مثلي يا مينا .. وحتى تستطيعي أن تشاركيني حياتي.. يجب أن تضحي بكل شيء.. يجب أن تودعي تلك الحياة الفانية ونعيد ولادتك من جديد.
- أنت حبي الوحيد يا أميري.
- مينا.. أنا سأعطيكِ الحياة الأبدية.. الحب الأبدي الذي لا يموت.. بقوة الرياح والظلام.. ووحوش الأرض.. امشي معي لتكوني حبيبتي وزوجتي الوحيدة إلى الأبد.

وعلى شفتيها وضع تلك القُبلة الحارة.. قُبلة خدَّر بها كل أحاسيسها.. قُبلة جعلت كل خلية في كيانها كله تنام.. وفي عُنقها انغرست أنياب الكونت

obeikandl.com

بشراسة.. امتص دمها بقوة..
لم تتحمل تلك الأنياب المميتة وهي تخترق عُنقها.. صرختْ.. تألمتْ.. تلوَّتْ.. قاومتْ.. وفي النهاية تركها الكونت.. وعلى الناحية التي تحوي قلبه خدش جسده وهو يقول لها:

- الآن جاء دورِكِ يا حبيبتي مينا.. اشربي دمائي، وانضمي إليَّ.. انضمي إلى حياتي الخالدة.

وضعت مينا شفتيها على ذلك الجرح وبدأت تمتص دماءه.. ولكن سريعًا ما دفعها الكونت بيده وهو يبعدها ويقول لها:

- لا.. أنا أحبكِ.. لن أدع هذا يحدث لكِ.. لن أجعلك تعيشين هذه الحياة أبدًا.

قالت مينا وهي تحضنه بقوة:

- أنا لا أهتم بأي شيء في هذه الحياة سواكَ يا أميري.

- سوف تصبحين ملعونة دائمًا.. كل حياتكِ ستكون في الظِل والظلام.. أنا أحبكِ يا مينا أحبك أكثر من نفسي.

- خُذني بعيدًا عن كل من حولي.

قالتها مينا وهي تضع شفاهها على ذلك الجرح لتشرب وتمتص من دماء دراكيولا بقوة.. وهذا الأخير يضمها بحب.. لحظات جميلة مرَّت على الاثنين.. لم يشعرا فيهما بأي شيء مما يحدث حولهما.. لقد انعزلا فعليًّا عن العالم المحيط بهما.. مينا لم تشعر سوى أنه مع كل قطرة كانت تدخل جسدها من دمائه.. كانت روحها البشرية تنسحب منها.. لقد كانت تتغير.. تتحول.

أما الكونت فكان يشعر مع كل قطرة تُسحَب منه.. أنه يعطي روحه ذاتها إلى مينا .. إلى الإنسانة الوحيدة التي تستحق أن يعطيها كل دمائه.. وحبه.. وكيانه نفسه..

وفجأة..

فُتِحَ باب الحُجرة بقوة وعنف.. ليقتحم جوناثان هاركر المكان ومعه جميع الرجال.. كان يحمل مسدسه الخاص.. طبعا هالهم أن يجدوا رينفيلد ميتًا ومحطم العظام تمامًا في زنزانته..

وما أثار رعبهم أكثر أنهم وجدوا مينا بثياب النوم تحتضن الهواء ولا تشعر بهم.. لقد شعر بهم الكونت قبل دخولهم بلحظات.. وفي جزء من الثانية اختفى عن أعينهم وترك جسد مينا.. وتحوَّل إلى تلك الصورة التي تجمع بين الخفاش والذئب.. كان معلقًا بسقف الحجرة كخفاش عملاق ليهبط واقفًا على قدميه وسطهم وهو يحدق فيهم بعيون حمراء دموية..

هتف هاركر بقلق وهو يجري ليحتضن زوجته:

- مينا..

تقدم فان هيلسنج ليواجه دراكيولا، حاملًا الصليب والمياه المقدسة، ويتلو صلاوته.. لحظات صمت مرَّت على باقي الرجال.. والكونت ينظر إلى وجوههم الممتقعة بتمعن ويقول بثقة فيها لمحة استخفاف، مشيرًا بذراعيه المجنحتين إلى الصليب:

- تعتقد بأنه يمكنكَ تدميري بهذه الأشياء؟!.

ليُخرج نفسًا قويًا من رئتيه.. لتشتعل النيران في ذلك الصليب ويحترق في يد فان هيلسنج.. ولتبدأ تلك الرياح الباردة في خدمة سيدها.. سيد الظلام وتهب على الحُجرة بقوة..

كان دراكيولا.. مازال مُمِدّ ذراعيه وهو يهتف بصوت قوي:

- لقد خدمتْ تحت لواء واسم الصليب.. لقد كنت قائدًا للأمم والجيوش العظيمة قبل مولدك بقرون طويلة..

ردَّ عليه فان هيلسنج بسرعة:

- جيوشكَ قد هُزِمَت جميعًا، لقد عذبت وقتلتَ آلاف الناس، أحرقتهم وأعدمت الكثير منهم بالخوازيق.

obeikandl.com

بنفس لهجة المرارة والغضب والثورة، ردَّ عليه الكونت:

- لقد تم خيانتي، وقتلوا زوجتي.. انظر ماذا فعل بي ربكَ للانتقام مِنِّي.. لقد جعلني ذلك المسخ المشوَّه.. الملعون إلى الأبد.

- حربكَ مع الله انتهتْ.. يجب أن تدفع ثمن جرائمكَ الآن أيها الشيطاني.

قالها فان هيلسنج وهو يتقدم ناحيته، وبيده زجاجة الماء المقدَّس ليقذف ما بها على جسد الكونت.. ليصرخ هذا الأخير ويتراجع في ألمٍ شديد وهو يداري جسده.. إنه يشعر أن جسده يحترق من الداخل وينصهر من ذلك الماء..

حاول الكونت أن يخطف مينا وهو يقول بتحدٍّ:

هي عروسي الآن.. هي عروسي الخالدة.

ولكن جوناثان كان أسرع منه وهو يحتوي زوجته بذراعيه، وفي نفس الوقت يرفع مسدسه؛ محاولًا قتل دراكيولا، ولكن مينا حاولت أن تمنعه وتجذب السلاح من يده، ولكنه أطلق تلك الرصاصة التي اخترقت صدر الكونت.. وكانت هذه هي الشرارة الأولى.. فقد أخرج باقي الرجال أسلحتهم بعد أن التهبت أعصابهم تمامًا.. ليطلقوا عشرات الرصاصات على جسد الكونت.. وهذا الأخير يطلق زئيره الغاضب.. وهو يتراجع إلى ذلك الركن المظلم من الحُجرة ليتوارى فيه..

ليصرخ فان هيلسنج في الرجال:

- الضَّوء.. اللعنة نريد المزيد من المشاعل هنا.. أنيروا تلك البقعة المظلمة.. إنه يجنِّد الظلام لحسابه.

تقدَّم الرجال بتوجُّس ناحية تلك البقعة المظلمة، وعلى ضَوء المشاعل لم يجدوا أي أثرٍ للكونت.. كل ماوجدوه هو كيان من عشرات الفئران، اتخذت شكل الكونت نفسه، كانت مترابطة بعضها مع بعض بشكلٍ غير طبيعي بالمرَّة.. عشرات من الفئران القذرة، حاملة للأمراض والأوبئة.. تهاوت أرضًا

obeikandl.com

بعيونها النارية، وبسرعة جرت خارج الغرفة..

هتف فان هيلسنج برجاله الذين أصابهم الاشمئزاز والصدمة:

- اقتلوا تلك الفئران جميعًا.. يجب حرقها قبل أن تهرب..

ولكن الفئران كانت أسرع منهم بمراحل وهربت جميعها.. شعر فان هيلسنج بغضبٍ شديد ومرارة.. لقد كان الشيطان بين أيديهم واستطاع أن يهرب بتلك الحيل الجهنمية.. من ذلك الكمين.. فأين بفرصة ذهبية مثل هذه.. اللعنة على كل شيء.

بعد مرور عدة ساعات من تلك الليلة.. وفي وقتٍ متأخر جدًّا، كانت مينا راقدة على فراشها بنفس الحُجرة.. كانت شبه نائمة، أو لنَقُل في شِبه غيبوبة، ولكنها تستمع جيِّدًا إلى كل ما يدور حولها..

أما فان هيلسنج فكان يشعر بخوفٍ شديدٍ عليها.. لا يريد أن يحدث لها ماحدث للوسي، ولا أن تكون نهايتها بأن تُقطَع رأسها ويدخلون وَتِدًا في قلبها، ولكنه حتمًا سيفعلها إذا حتَّمَت الظروف هذا.. اللعنة على هذا الشيطاني..

قال محدِّثًا مينا وهو يفكر بعمق:

- لقد أصبحنا متأكدين أن دراكيولا يخافنا.. إنه يخشى الوقت.. يخشى الضَّوء والشمس وكل تلك الرموز والماء المقدس.. إن لم يكن كلامي صحيحًا، فلماذا هو يضرب ضرباته بهذه السرعة ويختفي؟.

- لقد ذهب.. لقد ذهب بعيدًا يا دكتور ولن يعود هنا مرَّة أخرى.

قالتها مينا بصوتها الواهن، ليهتف فان هيلسنج بدهشة حقيقية:

- ذهبَ ؟! كيف عرفتِ هذا يا مينا؟.

- لقد تحدَّث معي بروحه.. دائمًا ما يخبرني عن تحركاته في أعماقي.. إنني أستمع إلى صوته بوضوح داخل عقلي.

ردَّ عليها هيلسنج وهو يحدق بعيون خاوية إلى لا شيء:

- إن إحساسه قوي، قلبه كان يشعر بكل شيء دائمًا لهذا انتصر علينا واستطاع الهرب.

obeikandl.com

- غريب هذا يا دكتور، أشعر أنك تحترم هذا الكونت.. نبرة صوتكَ تدل على هذا.

- أكيد يا عزيزتي أحترمه.. لقد كان في حياته رجلًا عظيمًا بحق.. تاريخه يقول هذا، ولكن ما فعله حديثًا يستحق أن نتحد ونفعل المستحيل لهزيمته وتحطيمه تمامًا.

لحظات صمت طويلة مرَّت على الاثنين.. لتقطع مينا ذلك الصمت وهي تضع يدها على يد فان هيلسنج وتقول:

- دكتور.. إنني أعرف يقينًا أنني سأصبح مثله.

ردَّ عليها هذا الأخير محاولًا أن يخفف من قلقها:

- سنفعل المستحيل لإنقاذكِ مينا، في إنقاذكِ دماره هو شخصيًّا، لهذا أريد تنويمكِ.. أريدك أن تساعديني بقدر الإمكان في العثور عليه.

أمسك بيده تلك الشمعة وهو يقرِّبها من وجهها ويقول لها بصوتٍ هادئ خدَّر أعصابها تمامًا:

- انظري إلى هذا الضَّوء مينا .. انظري إلى ذلك اللهب.. ركزي عينيكِ.. ستشعرين أن جُفونكِ ثقيلة.. تريدين النوم.. لا تقاومي.. نامي يا مينا .. نامي بعُمق.

تهاوتْ جُفونها وبصوت شعرت أنه ينبعث من كل مكان حولها، سمعت صوت فان هيلسنج يقول لها:

- ماذا تسمعين الآن؟ ماذا يقول لكِ.. أخبريني يا طفلتي؟.

بعين خيالها وروحها، كانت ترى بحرًا هائجًا.. عواصف.. أمطارًا.. جوًّا شديد البرودة.. ظلامًا.. تلك السفينة الضخمة.

بصوتٍ خافت متثاقل قالت:

- أميري يدعوني إلى الانضمام إليه.. هو مسافر الآن عبر تلك العواصف والبحار المجمدة.. إنه عائد إلى وطنه.. حيث قلعته.. سوف يعود قويًّا مرَّة ثانية.. يجب أن أذهب إليه.. إليه.. إليه..

obeikandl.com

ظلَّت تردد هذه الكلمة حتى نامت تمامًا وغابت عن الوعي.

« إذا كان الكونت دراكيولا يحاول أن يهرب ويعود إلى قلعته الحصينة، فيجب أن نمنعه من الوصول إليها بأي شكلٍ وثمنٍ.. لقد انتصر علينا هنا في أرضنا.. وهذا معناه أننا لن نستطيع أن نواجهه أبدًا وسط حرَّاسه ورجاله الموالين له.. هناك سيكون أقوى ألف مرَّة.. «

تفجَّرت تلك الأفكار داخل عقله..

إنه يشعر في قرارة نفسه أن النهاية أصبحت وشيكة جدًّا.

ولكن السؤال هو: نهاية مَن؟.

نهاية الكونت دراكيولا؟؟.

أم..

نهايته هو ورجاله.. ومينا؟.

***

obeikandl.com

obeikandl.com

النهاية

obeikandl.com

obeikandl.com

من نافذة ذلك القطار.. كان جوناثان هاركر واقفًا يرمق كل الجبال التي تحيط به، والقطار يخترقها بسرعة وقوة.

كانوا قد غادروا لندن منذ عدة أيام وعبروا القناة الإنجليزي وسط عاصفة مريعة، كان واضحًا أن الكونت دراكيولا بنفسه هو من أرسل تلك العاصفة لعرقلتهم.. إنه يتحكم في الرياح بطريقه ما.. !

ولكن مع كل تلك العقبات، فنحن مازلنا نسبقه.. فقريبا سنصل إلى الميناء الروماني (فارنا) بعد ثلاثة أيام.. أمَّا سفينة الكونت فستستغرق على الأقل أسبوعًا.
نحن الآن نخترق الحدود الفرنسية، ومنها سنكمل الرحلة ونخترق الجبال إلى بودابست.. أمَّا الكونت فيجب أن يمر عبر مضيق جبل طارق.. وهناك وضعنا أصدقاء لمراقبة سفينته.. وعندما نصل ميناء فارنا.. سنكون بانتظار سفينته لنحرقها بكل ما فيها وما عليها في البحر.

في تلك المقصورة الخاصة، كانت مينا نائمة في تلك الغيبوبة الوقتية.. يبدو أنها تعاني حمى ما.. وهناك تلك الكوابيس والهذيان اللعينة التي تقتحم عقلها باستمرار.. دائمًا ما كانت تهتف بذلك الفحيح في صوتها:
«الوطن.. الوطن.. الوطن»
الآخرون لم يكونوا يرون ما ترونه هي بعين خيالها.. إنها قلعة الكونت التي تنادي روحها باستمرار.. بجانبها كان جالسًا فان هيلسنج يراقب حالتها الصحية ويسجل ملاحظاته الخاصة..
إن مينا تتغير فعلًا إلى الأسوأ..

obeikandi.com

يرفع شفاهها العليا ليرى أن نابيها قد برزا واستطالا بشدة.. يلتفت إلى الجميع وهو يقول في قلقٍ واضح :
إن مصاص الدماء الملعون قد لوثها بدمه الخاص، إن دمها الطبيعي يموت ويتكسَّر الآن.. لهذا هي تعيش تلك الغيبوبة والهذيان.. إنها تتحول فعليًّا إلى مصاص دماء يفوق لوسي الراحلة شراسة.. يجب أن ننقذها بأي شكل.
أما مينا .. صحيح كان يبدو أنها دائمًا في تلك الغيبوبة التي تلاحقها باستمرار، ولكنها كانت تحس وتشعر أن جسدها يتحول إلى شيءٍ آخر.. هي تشعر بهذا.. تشعر بأن يدًا شيطانية تشكل كيانها وتعيد تكوينه إلى كيان آخر.. أنها باختصار تشعر أنها تموت.. تنفسها.. وقلبها.. ودمها.. وكل خلايا جسدها.. . أصبحوا لا يَمُتّون بشيء إلى حياتها السابقة..

حتى الهواء نفسه يبدو ثقيلًا وهو يدخل رئتيها.. تشعر أن هناك ثقلًا على صدرها يزِن أطنانًا.. إنها تشعر باختناق.. تشهق بقوة؛ محاولة أن تتنفس.. تسعُل بشدة وهي تفتح عينيها بضعف..
جلس بجانبها زوجها جوناثان، والذي تحوَّل شعره إلى اللون الرمادي الفاتح.. صحيح هو مازال شابًّا إلا أن هيئته تُشعِر من يراه أنه يبلغ مائة عام.. يبدو أنه هو الآخر يذبل ويموت بطريقة ما.. إن يد الكونت تبطش بالجميع أينما كانوا.
احتضن زوجته وهو يقول لها بحنان:
- مينا.. زوجتي الحبيبة.. نحن جميعًا لن ندعكِ تمشين وحدك في ذلك العالم المجهول.
بيدها تتحسس وجهه وشعره وتهتف بجزع:
- مسكين جوناثان.. ماذا فعلَ بكَ؟.
يقبِّل يدها وهو مازال يحتويها:
- لا يا مينا.. إن ما يحدث.. يحدث لنا نحن الاثنين.. حياتنا مرتبطة

ببعض يا مينا.

- جوناثان، أنا أستطيع سماع صوت تنفسه.. أراه دائمًا أمامي.. أسمع أفكاره.. هو دائمًا يعيش بداخلي ويدعوني للانضمام إليه.

- لا يامينا، تشجعي، يجب أن تقاوميه بأي شكل.. لا تدعيه يتحكم بكِ ويدمر حياتكِ.

***

في اليوم التالي ظهرًا..

استلم السيد أرثر تلك البرقية.. والتي تقول كلماتها:

«**أبحرت سفينة الكونت إلى الميناء الشمالي لجالاتز..** »

هتف فان هيلسنج بغضبٍ:

- اللعنة.. إن هذا الشيطان الملعون يعرف أسرارنا عن طريق عقل مينا.

قال أرثر وهو يفكر بعمق:

- لقد فشلتْ خطتنا يا سادة.. إذن كيف سنمسكه الآن؟.

لحظات صمت مرت على الجميع.. ليلتقط جوناثان تلك الخريطة وهو يقول باهتمام:

- نحن الآن في فارنا.. أمَّا جالتز لأنها تبعد عنا ٢٠٠ ميل، يمكننا أن نقطعها عبر ذلك الطريق المختصر بالجياد.. أمَّا فان هيلسنج ومينا.. فعليهما أن يستقلا تلك العربة إلى موقف بورجو؛ ليكونا الخط الدفاعي الثاني لنا إذا ما فشلنا نحن.

أكمل حديثه وهو يتطلع إلى فان هيلسنج الذي كان يدخِّن سيجاره وهو يفكر في خطة جوناثان:

- أنت يجب أن تنهيها يا بروفيسور فان هيلسنج، افعل المستحيل لتنهي هذه المهمة الكريهة وتحافظ على زوجتي مينا في ذات الوقت.

تم تنفيذ الخطة فورًا.. ودون إضاعة لحظة واحدة..

obeikandl.com

إن الزمن والوقت هما سيدا الموقف الآن..
مينا وفان هيلسنج استقلا عربة خاصة إلى موقف بورجو، أما باقي الرجال، فقد استعدوا جيِّدًا وبدأوا التحرُّك إلى جالتز..
رجال غاضبة.. مشحونة.. وجياد سريعة.. وكلاب شرسة مخصصة للصيد.. بالإضافة إلى الأسلحة والذخائر..

الشيء الوحيد الذي شعر به جوناثان هاركر وهو يودع زوجته ببصره أنه خائف عليها جدًّا.. إنه يشعر أنها الآن تتجه إلى حتفها بقدميها.. هي الآن بين فكَّي الموت فعلًا.. صحيح زوجته تحولتْ إلى طُعم..
ولكنها الوسيلة الوحيدة المتبقية لاصطياد ذلك الشيطان.. داخل مملكته.

***

ليومين متصلين بلا انقطاع، انطلقت تلك العربة تحمل فان هيلسنج ومينا.. وسط كل جبال الثلج والبرد والعواصف وتلك الممرات الوعرة الضيقة.. على مرمى البصر تظهر الآن قلعة الكونت داركيولا..
شامخة.. مهيبة.. مرعبة.. تنتظر بقلق وصول سيدها.. سيد الظلام.
مينا نفسها هتفت حينما رأتها:
- أنا أعرف هذا المكان جيِّدًا.. جزءٌ كبير من روحي يعرف كل شيء فيه.
ردَّ عليها فان هيلسنج بتوتر:
- إن هذه القلعة ماهي إلا نهاية العالم يا مينا.

***

وعلى الناحية الأخرى.. كان الرجال يشعرون بالحَنَق والغضب الشديد..
لقد تفوَّق عليهم الكونت دراكيولا مرَّة أخرى..
إن غجر الكونت الموالين له، نجحوا بوسيلة شيطانية في نقل تابوت الكونت

الخاص في جالاتز.. وهم الآن يسلكون طريق بورجو، في اتجاههم إلى القلعة.
يبدو أن القدر يجمع كل الخيوط وينسجها في خيطٍ واحد في اتجاه القلعة..
لقد أصبحت مسألة وقت وحسب..
ويتقابل جميع الأطراف.. وجهًا لوجه.

***

على الحدود الخارجية للقلعة.. وحول تلك النيران التي تبث بعض الدفء وسط كل هذا البرد والثلج والصقيع.. كان فان هيلسنج يجهِّز طعامًا لـــ مينا.. قال وهو يناولها طبقها الخاص:

- يجب أن تتناولي طعامكِ.

لطمت يده بقوة، فتناثر كل الطعام على الثلج، وتقدمت نحوه وهي تقول بشراسة:

- لستُ جائعة.

نظرة واحدة إلى وجهها.. عرف أن من أمامه ليست مينا .. إنها أنثى أخرى.. أنثى شيطانية.. تراجع إلى الخلف خطوتين بحذر وهو يراقبها.. يراقب تلك العيون وصوت الفحيح الخارج منها.. إن مَن أمامه نمرة شرسة جائعة متشوقة لرائحة الدماء.. كانت مينا تصرخ بتلك الكلمات الرومانية القديمة قِدَم الدهر نفسه.

«أكيد هذه كلمات شيطانية سحرية.. «

هكذا هتف فان هيلسنج في أعماقه..

أما مينا .. فكانت تتلوى على الأرض كالأفاعي.. صراخها مستمر.. شعرها ثائر.. وعلى بُعد عشر خطوات منهما كانت نساء الكونت الثلاث.. واقفات بكل الشر الكامن بداخلهن.. بأنيابهن البارزة.. ببشرتهن الشاحبة.. ببريق الشهوة في عيونهن.

شعر فان هيلسنج أن الجو المحيط به أصبح ملعونًا.. هناك تلك الأصوات

obeikandi.com

الهائمة التي تأتي من كل مكان حوله ويتردد صداها طويلًا وسط الجبال.. إنها أصوات الأشباح لتلك الأرض الملعونة..

إنها تلك الترانيم السحرية المجنونة التي تنطقها مينا.. ونساء الشيطان الثلاثة..

كانت مينا تتقدم ناحيته بهدوءٍ مثير.. في عينيها نفس ذات النظرة الشرسة المجنونة الشهوانية.. تكشف عن صدرها وهي تقول بذلك الفحيح:

- دائمًا كنت جيّدًا يا بروفيسور.. أنا أعرف جيّدًا أن لوسي كانت عندها رغبات سرية من أجلك.. لقد أخبرتني بهذا قبل أن تموت.. أنا أيضًا أعرف ما الذي يرغبه الرجال.. وماترغبه أنتَ شخصيًا.. ولكن هل ستجرؤ على قطع رأسي، وإدخال وَتِدًا في قلبي مثلما فعلت مع لوسي المسكينة؟.

صرخت وهي تهجم عليه محاولة أن تعض عُنقه لتمص دمه:

- أنت مجرم.. قاتل.

اندفع فان هيلسنج جانبًا؛ ليتفادى انقضاضتها.. إلا أنه تعثَّر ووقع ليظل يزحف بعيدًا عنها؛ محاولًا أن يفلت من أنيابها..

أصوات مَحْظيَّات الشيطان تصم أذنيه وتوتِّر أعصابه بشدة.. اللعنة على تلك الترانيم السحرية السوداء..

قال وهو يمسك صليبه وقارورة الماء المقدس مواجهًا بهما مينا:

- ليس وأنا حي.. لن أستسلم لإغوائكِ.. لقد أقسمتُ على حمايتكِ، ولن أخذل زوجكِ وباقي الرجال.

ليقذف على جسدها بسرعة، ذلك الماء المقدس، ولتنطلق صرخات مينا المريعة وهي تقع وتتلوَّى على الأرض في ألمٍ.. ومع آلامها المبرحة، إلا أن تلك المياه قد جعلتها إلى حدٍّ ما تسترد جزءًا بسيطًا من طبيعتها البشرية.. تكوَّمتْ على الأرض في وضع الجنين.. لتهدأ حركتها تمامًا..

أما باقي النساء فقد كُنَّ تتقدمن بثباتٍ تريدن الفوز بها وحملها داخل القلعة.. ولكن فان هيلسنج، رشَّ الماء المقدس حول مينا وهو يرسم دائرة

حولها.. كان يحميها من وصولها إلى يد أي شخص.. وأمسك تلك الشعلة وهو يرسم بها دائرة نار ويقول موجهًا حديثه إلى نساء الكونت:

- أنتِ آمنة داخل تلك الدائرة الآن.. لن أدع عاهرات الشيطان تفوزن بكِ يا مينا.. هذه مِنطقة مقدسة.. اتركن هذا المكان الآن .

كان صراخهم الشيطاني وفحيح الأفاعي، وتلك الكلمات الشيطانية التي تنطلق لمواجهة كلمات فان هيلسنج وصليبه ومياهه المقدسة.. كانت حرب كلمات.. حرب سينتصر فيها الأقوى إيمانًا فقط.. بنفس القوة والثبات أكمل فان هيلسنج صلواته:

- باسم الله ارحلن عن هنا.. آمركن باسم السيد المسيح.. اللعنة عليكن جميعًا.

كان يتقدم ناحيتهن وعلى وجهه أمارات الحزم والقوة.. الليلة لا يوجد أي سبيل للخوف أبدًا.. ويبدو أنه انتصر.. فقد تراجعت تلك النساء.. وكأن الظلام يبتلعهن.. تراجعن إلى الخلف.. عند تلك العربة.. لتلتفن وتنقضَّن مثل الضَّواري الجائعة على جياد العربة.. تقتلنَّها وتمتصن دماءها..

صهيل الجياد المرعوبة الخائفة..

صراخ النساء وشهوتهن إلى الدماء..

إنها ليلة شنيعة بحق..

إنه يحمد الله على أن مينا قد فقدت وعيها وإلا كان قلبها سيتوقف رعبًا وهي ترى مذبحة الجياد هذه..

وكل شلالات الدماء التي غطَّت الثلوج على مساحة واسعة.

***

لم يدرِ فان هيلسنج كيف مرَّت عليه تلك الساعات الثقيلة كالكابوس وهو جالس بجانب مينا يحرسها بحياته نفسها..

obeikandi.com

لقد قضى أشنع ليلة في حياته كلها.. لقد ظلَّ طوال الليل مجبرًا أن يرى تلك المذبحة الشنيعة..
مجبرًا أن يرى جياده المسكينة تتعذب وتتلوَّى، وتلك النسوة مصاصات الدماء تمتص دماءها بشراهة..
الآن نام الليل، وصحت الشمس من غفوتها.. ومع أول شعاع ضَوء.. بدد الظلام المحيط به..
حتى تسلل إلى ذلك الحائط ذو النتوءات، ودخل إلى قَبْو القلعة.. ظل يبحث لساعات عن توابيت نساء دراكيولا..
وأخيرا وجدهن..
تقدم ناحيتهن بهدوءٍ.. وفي يده يحمل ذلك السيف الضخم.. ذات السيف الذي قطع به عُنق لوسي من قبل..
وبكلتا يديه.. وبقوة هوى به على أول عُنق وهو يصرخ بقوة؛ ليفرغ انفعاله..

ومع كل عُنق يطير، كانت تنطلق صرخات بقية النساء وهن نائمات.. وكأن هناك خيط خفي مشترك يجعلهن تشعرن بكل ما يحدث لهن.. وأخيرًا..
انتهى من مهمته الكريهة.. وبعد أن دقَّ في قلب كل منهن وَتِدًا.. وأحرقهن جميعًا.. حمل رؤوسهن المقطوعة.. وهناك وقف عند تلك الحافة للهاوية العميقة ليطوح بكل ما في يده..
أخيرًا.. انتهى عهد نساء الشيطان ومَحْظيَّات الكونت دراكيولا..
إلى الأبد.. وبلا رجعة.

***

ظَلَّ طوال اليوم جالسًا بجانب مينا .. كان يشعر أنه أنجز شيئًا مهمًّا اليوم..

obeikandl.com

كان كل شيء حوله هادئًا..
ولكن قبل غروب الشمس بفترة قصيرة.. كانت عربة الغجر تنطلق كالسهم ناحية القلعة، وعلى متنها التابوت الذي يحمل الكونت دراكيولا نفسه.. كان سجينًا في ذلك التابوت.. ضعيفًا بسبب ضَوء الشمس في الخارج..
ولكن عقله كان يهدر ويعمل بكفاءة عالية..
صحيح أن رجاله من الغجر يحيطون بالتابوت من كل جانب بأسلحتهم وسيوفهم ومستعدون للدفاع عنه بأرواحهم.. إلا أنه كان يحتاج إلى سلاح آخر في هذا التوقيت الحرج.. لتلتمع عيناه بشدة وهو يقول:
- مينا.. أنتِ قريبة..
اخترقت الكلمة المسافات لتستقر في أعماق مينا.. بعينيها كانت ترى عربة الكونت تسرع للهرب من الشمس.. كان الهدف الوحيد هو محاولة وضع تابوت الكونت داخل القلعة قبل غروب الشمس بأي ثمن.. لهذا هتفت وهي تنظر إلى عربته:
- حبيبي..
رفع فان هيلسنج تلك النظارة المعظَّمة لمحاولة أن يرى ما الذي تراه مينا بعينيها المجردتين..
إنها عربة الكونت تنطلق مسرعة يقودها الغجر.. ومن خلفهم على مسافة قريبة لحق بهم أرثر، موريس، هاركر، جاك، ومن خلفهم كلاب الصيد الشرسة تنبح بقوة.. إنها مطاردة للفوز بالشيطان نفسه..

كان كل هم أرثر والرجال أن يلحقوا بتابوت الكونت وفتحه قبل غروب الشمس خارج قلعته؛ ليسهل قتله.. الله أعلم كيف سيكون غضبه إذا غربت الشمس.. وكيف ستكون قوته..
صحيح لم يرَ الكونت كل هذا بعينيه، ولكن كان يراه بطريقته الخاصة.. يراه بعيون حبيبته مينا..

من حوله كان يسمع دوي الرصاص، وصرخات رجاله، ونُباح تلك الكلاب الشرسة.. إن الغجر يتساقطون كالذباب.

هتف بقوة:

- مينا..

تلقت مينا صرخة سيدها وفهمت ما المطلوب منها، لتتسلق بسرعة تلك الصخرة العالية، وتقف رافعة عينيها إلى السماء مُمِدة يديها وهي تهتف وتصرخ بتلك الكلمات الشيطانية.. لتهب عاصفة جليدية شديدة في وجه أرثر وباقي الرجال.. الجياد خائفة.. لا تريد أن تتحرَّك.. والمسافة تتسع بينهم وبين عربة الكونت.. الشمس في طريقها للغروب بسرعة شديدة..

وأخيرًا ببراعة يحسدون عليها سيطر الرجال على جيادهم.. لينطلقوا مسرعين خلف العربة.. وأجبروا جيادهم أن تنطلق بسرعة مضاعفة.. ومرَّة أخرى انطلقت أصوات الرصاص من الجانبين.. ليتهاوى المزيد من الغجر..

وأخيرًا.. أخيرًا.. دخلت عربة الكونت ووصلت القلعة.. وبسرعة تقاتل الطرفان بالسيوف والأسلحة النارية.. وتلطخت الثلوج بدماء الغجر..

وفي داخل التابوت كان الكونت ثائرًا.. غاضبًا.. بانتظار تلك اللحظات التي تغرب فيها الشمس.. لحقت مينا وفان هيلسنج بالجميع إلى داخل القلعة.. لترى بعينيها أرثر وهو يمسك سكينًا ضخمًا ليقطع بها حبال التابوت..

ولكن أحد الغجر طعنه بسيفه في ظهره.. ليسقط الاثنان أرضًا.. يتقاتلان لينقذه جوناثان بأن أطلق رصاصة على ذلك الغجري ليصرعه في الحال .

وبجسد مصاب بشدة، نهض أرثر وهو يحمل سكينة يحاول بضعف أن يكمِّل

obeikandi.com

قطع أحبال التابوت.. ولكن جوناثان هاركر كان أسرع منه فقد اعتلى العربة بسرعة.. وغربت الشمس أخيرًا..

وجاءت اللحظة التي ينتظرها دراكيولا ليحطم التابوت بقوة.. ويخرج منه كالمارد.. وهو يصرخ بغضب..

كانت مفاجأة للاثنين؛ جوناثان هاركر، ودراكيولا.. حينما وجد كلٌّ منهما نفسه أمام الآخر.

ولكن جوناثان كان أسرع منه بلحظة واحدة فقط.. لحظة واحدة استرجع فيها كل ما حدث له.. ليهوى بنَصْل سكينه الكبير على عُنق الكونت بسرعة رهيبة.. لتتمزق شرايين عُنقه.. وتنفجر الدماء من رقبته بغزارة..

ليدفعه الكونت بيديه بقوة ليطير جسده في الهواء.. ويلقي به من فوق العربة.. ويستدير مواجهًا الجميع برقبة مذبوحة:

صرخ فان هيلسنج:

- الآن موريس..

انطلق موريس بسرعة ناحية الكونت، وفي يده تلك السكينة الضخمة، ليغرزها في قلبه بقوة..

وصرخت مينا بقوة.. كان مرأى حبيبها وكل تلك الجروح المميتة بجسده، وهذه الدماء السوداء التي تنهمر من جسده وعُنقه بغزارة..

لم تتحمل أن تراه ضعيفًا.. منهارًا.. يتلوَّى على الأرض..

جرت عليه وهي تقف بينه وبين باقي الرجال وهي ترفع سلاحها وتواجههم وتقول بتحدٍّ:

- عندما تأتي لحظة موتي.. هل ستفعلون بي نفس الشيء؟ ها؟.

ردَّ عليها زوجها بسرعة:

- لا يا مينا..

حاول باقي الرجال أن يفتكوا بدراكيولا بسيوفهم.. ولكن جوناثان منعهم..

obeikandl.com

وهو ينظر إلى مينا ويقول:

- دعوه.. اتركوا الكونت.. لقد انتهى عملنا هنا.. وبدأ عمل مينا .. هي وحدها من تستطيع إنهاء كل هذا.. اتركوهما يذهبان.

بجسد مترنح تمامًا، أنهكته طعنات الرجال، تحامل الكونت وزحف إلى داخل القلعة.. بالتحديد نحو تلك القاعة التي شهدت وفاة زوجته إليزابيتا.. نفس القاعة التي شهدت تمرُّده هو شخصيًّا..

الدماء تغرق جسده.. جروحه عميقة.. مميتة.. وعلى أرضية المصلى، تمدد الكونت، ببشرته المتجعدة، وسنوات عمره التي فاقت القرون..

بجانبه كانت تجلس حبيبته مينا .. تبكي.. نظر إليها الكونت وهو يقول بصوتٍ واهن ضعيف:

- أين إلهي.. ؟ لقد تركني كل تلك القرون أعيش وأتعذب بمفردي.

حاولت مينا أن تنزع ذلك السكين الضخم المغروس في قلبه، ولكنها عجزت.. وهذا جعلها تبكي بحرقة وخوف عليه.. وبيده الملطخة بدمائه، ربَّتَ على يدها وهو يقول لها باستسلام:

- اتركي تلك السكين يا مينا.. لقد انتهى كل شيء.. انتهى كل شيء.

بدموعها الغزيرة والتي تتساقط على وجهه.. اقتربت منه، ووضعت قُبلة على شفاهه حملت كل مشاعرها وهي تقول:

- أنا أُحِبُّكَ.. أُحِبُّكَ..

لم تدرِ لحظتها ماذا حدث بالتحديد.. ما إن نطقت بهذه الكلمة من أعمق أعماقها.. حتى أضاءت الشموع بمفردها.. وهبط على المكان ذلك النور الغريب.. نور شعرت معه مينا أنه يبدد كل ذلك الظلام المحيط بها.. نور هبط على وجه الكونت المتغضن.. ليتحول إلى شابٍّ جميل..

إنها نفس هيئته التي كان يقابلها بها دائمًا.. لم يعد ذلك المسخ المشوَّه..، بل أصبح أميرها الوسيم..

obeikandl.com

إنها لحظات السَّكينة والهدوء.. تعُم المكان.. ليقول دراكيولا هو ينظر في عينيها:
إنها أول مرَّة أشعر فيها بهذا السلام النفسي مع روحي.. قرون طويلة مرَّت وأنا أعيش في ذلك الظلام الأبدي.. قرون طويلة أعيش منبوذًا.. الكل خائف مِنِّي.. يكرهني.. لا أحد يحبني يا مينا.. أرجوكِ.. لا أريد أن أعود إلى ذلك الظلام مرَّة أخرى.

فهمت مينا ما الذي يريده حبيبها.. وما المطلوب منها جيِّدًا.. استجمعت أخيرًا شجاعتها.. وهي تنظر لحبيبها نظرة أخيرة،
ثم غرست ذلك السكين بكلتا يديها بقوة ليخترق قلبه تمامًا هذه المرَّة، وينفذ من ظهره..
لم تدرِ كم مرَّ عليها من لحظات والكونت ينظر إليها وهي تنظر إليه بعيون مليئة ببحر من الدموع..
وأخيرًا.. خفتت أضواء الحياة في عيون حبيبها..
مات وعيناه تنظران إلى أعلى.. ناحية شيءٍ ما..
مات وعلى وجهه ذلك السلام الروحي..
نزعت مينا ذلك السكين الضخم من قلب الكونت.. لتهوى به على عُنقه بقوة لتفصل رأسه عن جسده تمامًا..
لقد انتهى الكونت تمامًا..
انتهى ومعه انتهت أسطورته..
كل شيء عاد إلى طبيعته بسلام.. في الخارج زوجها جوناثان هاركر عاد إلى طبيعته يحمل ذات الشباب في جسده وعاد شعره إلى لونه الطبيعي.. هي نفسها تشعر أن جسدها أصبح بشريًّا خالصًا.. مرَّة أخرى
لم تعد تلك الدماء الشيطانية تجري في عروقها..

obeikandl.com

وبصمتٍ وهدوءٍ.. رفعت رأسها إلى تلك الزاوية التي كان ينظر إليها حبيبها قبل موته.. هناك على سقف المصلى كانت صورة الكونت يحتضن فيها زوجته إليزابيتا في حُب..

الآن فهمت وعرفت.. كم كان حبهما قويًّا.. نقيًّا.. طاهرًا.. استطاع أن ينتصر على كل قوى الشر والظلام.. لقد كان حُبهما أقوى من الزمن.. أقوى من الموت نفسه..

الضَّوء والنور بددا كل الظلام.. إنه الضَّوء الذي خرج من قلبيهما.. إنه ليس الدم هو سر الحياة..

بل سِر الحياة يكمن في ..

الحُبِّ.

تمَّـــــــــــــت

obeikandl.com

انتهت الأحداث ..
ولم تنتهِ الأسطورة..
أعتقد أن أسطورة كهذه لا ترتبط بأحداث ،، أو لا ترتبط حتى بالزمن.. إنها تعيش وتقوى وتتوغل كلما مرَّت السنوات والأعوام
لا أنكر أنني كنت مشدوهًا ومبهورًا بذلك الخيط الرومانسي الذي يطغى على لون الدماء الأحمر.

إنه حب غريب.. أي حب هذا الذي لم يضعف على مدى كل تلك القرون الطويلة؟!.
كنت في حالة استحواذ كامل.. واقع تحت السيطرة المغناطيسية لتلك الأنياب ..
نظرت إلى ساعتي وجدتها اقتربت من الثانية بعد منتصف الليل..
كنت مازلت اتجه إلى منزلي ..

اللعنة.. أتمنى ألا أقابل بعضًا من الزومبي.. في مدينة مثل تلك التي نعيش فيها.. وفي هذا التوقيت من العام وهذه الساعة المتأخرة.. توقع أن تقابل أي شيء وأي كائن.. إنه الخَواء.. ولا شيء سوى الخواء يحيط بكَ من كل جانب..

وأخيرًا في عالمي الخاص.. ذلك العالم الذي يحوي كل كنوزي.. خمسة وثلاثين عامًا عشتهم في نفس الحُجرة..كل أحداث حياتي شهدتها هذه الجدران.. هنا توجد مكتبتي.. وشرائط الكاسيت الخاصة بي ،، وكل ما تتوقعه ليحوِّل كائنًا مثلي إلى سينما متنقلة.
كان الجميع نائمين طبعًا.. لا يوجد سوى مجنون واحد في أسرتي يظل مستيقظًا حتى تلك الساعة.

obeikandl.com

كنت أستعد طبعا للتقوقع في فراشي، سريعًا جهزت وجبة عشاء خفيفة، من الجُبن الرومي والخسّ..

في الحقيقة أنا التهمت طوال حياتي كَمِّيَّات من الخسّ قادرة على تحويلي إلى أرنب.. الحياة بدون جُبن رومي وخسّ.. مستحيلة.
على ضَوء مِصباح المنضدة (الأباجورة)، الذي يُشعِرني أن كل شيء في الحياة هادئ ومسالم ومريح.. ومن ذلك الكاسيت بجانبي، انطلقت تلك التحفة الخالدة للمؤلف الموسيقي العالمي (جيف وين.. JEFF WAN (.. مقطوعة .. EVE OF THE WORLD)) .. من الملحمة الموسيقية:
« THE WAR OF THE WORLDS » ١٩٧٨
تلك المقطوعة التي حُفِرَت في وجدان العالم كله إلى الأبد.. ووجدان الشعب المصري على وجه الخصوص.. حيث أنها كانت المقطوعة الموسيقية المميزة والشهيرة جدًّا لمقدمة برنامج (أوسكار)، والذي كانت تقدمه المذيعة ذات الصوت المميَّز (سناء منصور) لسنوات طويلة جدًّا على القناة الثانية، سهرة كل خميس.
شخصيات.. وشخصيات.. وشخصيات .
إنها كل تلك الشخصيات التي تدور في فلك شخصيات الليلة.. مشكلة أسطورة (الكونت دراكيولا).. أنها ليست مثل أي أسطورة أخرى.. إنها أسطورة متشعبة ومتوغلة بشكلٍ غريب في معظم شعوب العالم.. إنها الأسطورة الأقوى والأشهر.. والأكثر سحرًا.. بين كل تلك الأساطير التي تملأ كوكبنا.

إننى لا أريد أن أحضِّر يا سادة رسالة دكتوراة عن هذه الأسطورة، وفي نفس الوقت لا أريد أن أحوِّل الموضوع برُمَّته إلى (كلمتين وبس) كما عوَّدنا الراحل العظيم (فؤاد المهندس) كل صباح في إذاعة البرنامج العام..

obeikandl.com

خير الأمور الوسط.. سأحاول بقدر الإمكان أن أتناول شخصيات بعينيها.. هي محور أحداث أسطورة الليلة.. سنعيش مع كل شخصية على حِدة، وفي النهاية سيجد عقلك الوسيلة المناسبة لربط كل الأطراف بعضها ببعض.
اعتبروني أمين المكتبة الذي يصنِّف كل كتاب في موضعه الصحيح، في النهاية ستجد نفسك أمام الشيء الذي يرضي بداخلك جانب الفضول..

بالضبط مثلما حدث مع الفتاة (أليس)، حينما وجدت نفسها وحيدة في (بلاد العجائب).. بدون أي شخص يمسك يدها ويقودها ويكشف أمامها هذا العالم في النهاية.. لم تجد أمامها سوى الأرنب (باني باني) ليعرِّفها كل شيء..

يبدو أن كَمِّيَّات الخسّ أتت مفعولها معي.. ألم أقل لكم أنني في طريقي للتحوُّل إلى أرنب.. !
والآن، اعطوني أيديكم.. ولنبدأ معًا أولى خطواتنا..
في بلاد العجائب..
وبدون أن نضيِّع لحظة واحدة.

***

obeikandl.com

obeikandl.com

(((- أنا وأنتم في بلاد العجائب -)))

« عالم من جمال .. عالم من خيال.. عالم من عجائب.. عالم من غرائب

وأليس في بلاد العجائب

كانت تسير في بلاد الخيال المثير

لترى.. ما ترى

من عجيب الصور وغريب البشر

ما يثير.. ما يثير

يا أليس.. خبرينا واحكي لينا

بسماء الخيال لبلاد الجمال

يا أليس.. يا أليس. «

مقدمة مسلسل الكارتون أليس في بلاد العجائب الجزء الأول

كلمات: محمد الظاهر

ألحان وغناء: وائل أبو نوار

obeikandl.com

obeikandl.com

الآن عليكم أن تتركوا أنفسكم لى تمامًا وأنتم تستمتعون بتلك الرحلة القادمة ..

لو نظرتم في الخارج ستجدوا محطات كثيرة سنتوقف أمامها في رحلتنا السريعة هذه..

رحلتنا تختلف عن أي رحلة أخرى.. لن نجد هنا ملاهي أو غزل البنات أو حتى تلك الصور البلهاء ومن خلفك تجد شخصًا أكثر خبلًا وجهلًا .. يرفع إشارة الأصبعين الشهيرة على رأسك..

في رحلتنا سنذهب إلى بلاد العجائب الخاصة بي..

ولن تجدوا مرشدًا مثلي يقودكم بعناية.. في هذا العالم،

عليكم أن تلبسوا جميعًا ملابس آليس في العجائب.. أن تتخلوا عن كل ما يربطكم بالعالم المادي الممل الذي تعيشون فيه..

وكما أرتديتم ملابس آليس.. فأنا أيضًا سأرتدى فرو الأرنب بانى باني..

وعلى آليس أن تترك يدها بمنتهى الحرية في يدي الصغيرة..

ولنبدأ جولتنا.. سريعًا

ممنوع الهمس..

ممنوع الحديث..

أغلقوا هواتفكم المحمولة..

استعدوا.

obeikandl.com

obeikandl.com

obeikandl.com

فلاد الثالث .. دراكيولا .. أمير والاشيا

obeikandl.com

الأسمـــاء :

لقبه الروماني: دراكيولا (DRACULEA) وتُكتَب أيضًا (DRACKULIEA) أو (DRAKULYA).. وهي تعني ابن التنين (SON OF THE DRAGON) في إشارة واضحة إلى أبيه فلاد الثاني (VLAD DRACUL)، والذي كان منضمًّا إلى جماعة دينية سرية، اتخذت التنين رمزًا لها.. أمَّا كلمة دراكيولا أو (DRACUL) فقد أُشتُقَّت من الكلمة اللاتينية (DRACO) والتي تعني التنين الغريب. إن هذه الكلمة في اللغة الرومانية (DRACON).. معناها الشيطاني عامة مهما اختلفت المسميات حول تلك الشخصية، فإن أصلها واحد يشير إلى الشر بصوره المختلفة.

نشـأته :

فلاد الثالث، وُلِدَ في (SIGHIŞOARA) بترانسلفانيا برومانيا.. في شتاء عام ١٤٣١.. كان والده هو فلاد الثاني حاكم والاشيا، ووالدته هي الأميرة (CNEAJNA) أميرة مولدافيا، وكانت هذه هي زوجة والده الثانية. فلاد الثالث كان له أخوين غير شقيقن من زوجة والده الأولى؛ هما: (ميرشيا الثاني) (MIRCEA II) و(فلاد كالجورال) (VLAD CĂLUGĂRUL).. أمَّا أخوه الشقيق فكان يسمى (رادو) (، RADU CEL FRUMOS) .

في نفس عام ولادة (فلاد الثالث).. كان والده قد انضم فعليًّا إلى جماعة التنين بنورمبرج.. وحينما وصل (فلاد الثالث) إلى عامه الخامس انضم هو الآخر بناءً على طلب والده إلى جماعة التنين؛ ليستقي منها وهو مازال صغيرًا جدًّا كل أسرار تلك الجماعة السرية..

وطوال حياته الأولى، ركَّز والده على أن يشب ابنه مثقفًا متعلمًا دارسًا لكل شيء، فقد أتقن اللغة الألمانية واللاتينية في سنواته الأولى، وعلى يد العلماء الرومانيين درس بشغف فلاد الثالث وتعلم المهارات القتالية والجغرافيا والرياضيات، وانضم إلى الكنيسة السلافية؛ ليدرس الفنون والفلسفة الكلاسيكية.

في عام ١٤٤٢ تم الإطاحة بفلاد الثاني، والد فلاد دراكيولا، عن طريق تلك الفصائل المنشقة في تحالفها مع المجر.. ليبدأ في التحالف مع أعدائه العثمانيين؛ ليسعى بكل قوة ليسترد عرشه المسلوب منه، ولكي يقدم ولاءه الشديد للسلطان مراد الثاني؛ أرسل اثنين من أولاده للعمل في خدمة السلطان.. هما فلاد الثالث وأخوه رادو، وقد اعتبر فلاد الثاني أن تقديم أولاده للعثمانيين ماهو إلا نوع من أنواع الجزية، يتم دفعها للتعبير عن ولائه وخنوعه الشديد للإمبراطورية العثمانية.

سبع سنوات قضاها فلاد الثالث يعامل معاملة كالعبيد بسبب أنه لم يكن يتصور أن يخون والده عهد جماعة التنين ويتحالف مع أعدائه ليسترد عرشه، بل إنه فضَّل عليه أخويه غير الشقيقين.. وبسبب ألفاظه السيئة واحتقاره لكل ما هو عثماني، تمَّ سجن فلاد الثالث وجلده وضربه باستمرار ومع كل جلدة كان ينمو بداخله ذلك الشعور بالكراهية الشديدة لكل الأتراك ولوالده.. أمَّا أخوه رادو، فكان منبهرًا بالعثمانيين، حتى إنه دخلَ الإسلام وأصبح واحدًا من الخَدم المقربين للسلطان (مراد الثاني)، ومن بعده (محمد الثاني) والذي عُرِفَ بعد ذلك باسم (محمد الفاتح).

تلك السنوات هي ما نقش في أعماق فلاد الثالث خِطته للقضاء على الدولة العثمانية، صحيح كانت سِنه صغيرة بالنسبة لخبرات الآخرين، ولكن يكفي

تلك الشعلة بداخله.. ولكي يسترد كرامته، وضعَ خطته لتغيير أسلوبه.. وحينما لاحظ العثمانيون أن أسلوبه تغيَّر تم الإفراج عنه.. وبدأ في تعلُّم المنطق والقرأن واللغة التركية والفارسية، وتدرب على أساليب الحرب وركوب الخيل..
وفي عام ١٤٤٣، رجع فلاد الثاني إلى والاشيا، واستردَّ عرشه مرَّة أخرى ليظل فترة طويلة حاكمًا تحت الولاية العثمانية.

المنفى الأول :
أربع سنوات قضاها فلاد الثاني على عرش والاشيا وتحت مظلة حماية العثمانين، ولكن في عام ١٤٤٧ نجح (جون هيونداي) (JOHN HUNYADI) قائد فصائل المقاومة في قتل فلاد الثاني ودفنه في المستنقعات.. أمَّا أولاده (MIRCEA II) و(VLAD CĂLUGĂRUL) فقد وقعا في الأسر، حيث تم تعذيبهم بالكيّ والحديد الساخن، وطمس أعينهم، وفي النهاية تمَّ دفنهم أحياء.

وكان هذا يعتبر تحديًّا على الإمبراطورية العثمانية ذاتها.. لتجهز جيشًا وتنجح في غزو والاشيا مرَّة أخرى.. وتنصيب فلاد الثالث دراكيولا.. أميرًا على عرشها.. وتنجح في طرد فصائل المقاومة.. والتى كانت مختبئة قريبًا من حدود والاشيا بانتظار أن تهدأ الأمور وينسحب الجيش العثمانى.. لتعاود الهجوم مرَّة أخرى وينجح فلاد الثالث في الهرب قبل مقتله ويتم وضع فلادسيلاف الثانى (VLADISLAV II)، على عرش والاشيا..

أما فلاد الثالث فقد فرَّ إلى مولدافيا موطن والدته الأصلي ليعيش هناك تحت حماية عمه بوجدان الثانى (، BOGDAN II) ولكن في عام ١٤٥١ تم اغتيال عمه وفرَّ فلاد إلى المجر

وعن طريق دهائه وحنكته وخطة بارعة استطاع أن يتقرب من (JOHN HUNYADI) حيث أعجب به هذا الأخير، نظرًا لثقافته الشديدة وعلومه الكثيرة ومعلوماته وخبراته عن كيان وأسلوب الدولة العثمانية.. وكان تشابه الاثنان في كراهيتهم الشديدة وحقدهم على السلطان مُحمد الفاتح قد استطاع أن يقرِّب وجهات نظرهم ويجعلهما صديقين مقربين .

كان نفوذ الدولة العثمانية يشتد ويقوى مع مرور الوقت.. لقد استطاع السلطان محمد الفاتح أن يضم القسطنطينية إلى نفوذه في عام (١٤٥٣)، الآن أصبح خطره يهدد أوروبا كاملة.. وكان يجب التحرُّك السريع، وإعداد جيش يليق بهذا الحدث.. ثلاثة أعوام قضاها فلاد الثالث يعمل في صمتٍ، وفي النهاية استطاع أن يقود جيوش (JOHN HUNYADI) بعد أن مات هذا الأخير من داء الطاعون لينتصر ويستطيع أن يطرد العثمانين من القسطنطينية، ويعود بجيشه إلى والاشيا ليسترد عرشه ويقتل (VLADISLAV II).

استقر أخيرًا فلاد الثالث على العرش، واعتبر أن الوسيلة التي قتل بها والده وأخواه غير الشقيقين نوع من أنوع الانتقام السماوي على ما جنوه في حقه سابقًا.. ولكن ماهاله وروَّعه هو ما وجده من بؤسٍ وشقاء في كل ركن من والاشيا.. كانت الحروب المستمرة والنزاعات قد أدت إلى تفشي الجريمة بشكل رهيب وانخفاض الإنتاج الزراعي، ولم يعد هناك تجارة فعلية.. إنه الدمار الشامل.. كان عليه أن يثبِّت أقدامه بسرعة وقوة في مكانه الجديد.
ولكي يضمن الولاء التام، كان لابد له من القضاء على أعدائه الداخليين، سواء كانوا نبلاء أو ذوي مناصب قوة ونفوذ.. وتم قتل الجميع واستبدالهم بأشخاص يثق فيهم فلاد الثالث.. إنهم أشخاص موالين له وحده بعد هذا بدأ يركز على تعزيز وتقوية اقتصاد البلاد ووضع خطط دفاعية.. وتقوية علاقاته السياسية.. كان ما يهمه هو أن يشعر أنَّ مواطنيه يوالون له ولعهده.. وضع

رفاهية الفلاحين في مرتبة أولى.. بنى لهم قُرى جديدة.. ساعد التجار في تأمين ثرواتهم وزيادتها ومد طرق جديدة لهم ومساعدتهم في علاقات قوية مع التجار من الدول الأخرى.
ولكي يشعر مواطنيه بالأمان، سنَّ وشرَّع قوانين عنيفة وقاسية ضد كل اللصوص، وأي شخص يحاول أن يرتكب جريمة كان يفكر ألف مرَّة قبل أن يفعلها..
وعن طريق تلك الأعداد الهائلة من المرتزقة.. بنى جيشه.. وبنى تحصينات دفاعية حول المدينة.

الحرب مع العثمانين :

«أعداء الأمس هم أصدقاء اليوم» هكذا قال فلاد دراكيولا لنفسه.. لهذا لكي يكوِّن جبهة قوية، تحالف مع ماتياس كورفينوس (MATTHIAS CORVINUS) ملك المجر وهو نفسه ابن (JOHN HUNYADI)، وكل هذا من أجل تكوين جبهة قوية في وجه العثمانيين.. والاشيا تسيطر من جانبها على نهر الدانوب، والسلطان مُحمد الثاني أراد أن تكون له هذه السيطرة على هذا النهر، وكل هذا بغرض ومنع شن أي هجمات بحرية على أسطوله البحري.

في(٢٦ سبتمبر ١٤٥٩) وجَّه البابا بيوس الثاني (PIUS) نداءه لشن حملة صليبية جديدة ضد العثمانيين الأتراك؛ لاستراد لواء الصليب، واستمر نداؤه لجميع الدول الأوربية حتى ١٤ يناير ١٤٦٠ في مؤتمر مانتوفا، وقال إن هذه الحملة الصليبية ستكون مدتها ثلاثة أعوام لكي تنجح هذه الحملة وكسر شوكة العثمانين وإضعافهم تمامًا.. ولكن هذا النداء فشلَ فشلًا ذريعًا، وأُجِهضَت الحملة الصليبية قبل أن تبدأ..
ولكن الغريب أن الشخص الوحيد الذي اقتنع وتحمَّس لهذه الفكرة كان

obeikandi.com

فلاد الثالث دراكيولا.. في وقت لاحق من ذلك العام أرسل السلطان محمد الفاتح مبعوثين رسميين إلى فلاد الثالث لحثّه على دفع الجزية، وكانت عبارة عن ١٠٠٠٠ قطعة ذهبية، بالإضافة إلى خمسمائة طفلًا صغيرًا لخدمة العثمانيين الأتـراك.. ولكن فلاد رفض دفع الجزية، وللزيادة في استفزاز السلطان محمد الفاتح.. أمر فلاد رجاله بقتل المبعوثين الرسميين؛ بأن دقَّ المسامير الغليظة في رؤوسهم.. وسمَّر عمائمهم التي يرتدونها.. وطبعًا حاول العثمانيون الأتراك عزله، ونجحوا في عبور نهر «الدانوب».. وبدأ القيام بعملية تجنيد سريعة للاستيلاء على والاشيا، والتي أصحبت الشوكة في ظهر السلطان محمد الفاتح .

في هذه الفترة، كانت التقارير السرية المخابراتية للسلطان محمد قد نجحت في الكشف عن وجود تحالف سري بين فلاد الثالث مع ماتياس كورفينوس ملك المجر.. وهذا كان مؤشرًا خطيرًا، حيث أن السلطان لا يستطيع وقف هذا التحالف والتعرُّض له.. وحاول خطف فلاد الثالث وجهَّز خطة؛ لهذا بأن أرسل إليه) بأي نيكوبولس)(OF NICOPOLIS BEY (و حمزة كاستريوتي) HAMZA KASTRIOTI) لعقد اجتماع ديبلوماسي معه في جوجرجيا.. وكان الهدف نصب فخ وكمين له لخطفه وقتله.

وعن طريق جواسيس فلاد الثالث تم تحذيره من هذا الاجتماع.. واختباء فلاد مع قواته.. وانتظروا عبور حمزة كاستريوتي مع جنوده الذين بلغوا ١٠٠٠ جندي، وهجموا عليهم، وقتلوهم جميعًا، وتمَّ وضعهم على الخازوق، واستطاع حمزة كاستريوتي الهرب.. ونظرًا لما رآه من شناعة في مقتل جنوده، فلم يعد للقتال مرَّة أخرى طوال حياته.

في شتاء عام (١٤٦٢/١٤٦١) فلاد الثالث عبر نهر الدانوب ودمر تمامًا المنطقة

obeikandl.com

الواقعة بين صربيا والبحر الأسود.. وكان متنكِّرًا في صورة الأتراك.. للتمويه وعدم لفت الانتباه.. إنه حتى لم يدمر تلك المنطقة فحسب، بل قتلَ كل الرجال والنساء كبارًا وصغارًا، الجميع بلا استثناء، بالإضافة إلى حرق مجموعه كبيرة جدًّا داخل منازلهم أحياء.. وأيضًا قطع الرؤوس.

وردًّا على هذه المذبحة، جهَّز السلطان محمد الفاتح جيشًا من ستين ألف جنديًا، وثلثمائة ألف مرتزقًا.. ليتوجه الجيش إلى والاشيا في ربيع عام (١٤٦٢) حيث كان في استقباله فلاد الثالث دراكيولا بحربٍ نفسية شنيعة.. حيث وجد السلطان أمامه أكثر من مائتي ألف جنديًا من جيوشه السابقة موضوعين على الخوازيق، وفي حالة تعفن كامل والرائحة شنيعة.. كانت الصورة أشبه بأبواب الجحيم.

بالإضافة إلى حرب العصابات ونصب الكمائن للجيش التركي، حتى إن فلاد قد نجح في اختراق حصون محمد الفاتح، ووصل إليه وكاد أن ينجح في قتله لولا أنه نجا منه بأعجوبة في آخر لحظة.

كانت ضربات فلاد الثالث ونجاحاته المتتالية في التصدي لغزو الأتراك لها صدى رهيب في كل أرجاء أوروبا وخصوصًا في ترانسلفانيا، والتي اعتبرته بطلها الأسطوري وحامي أراضيها.. وطبعًا كان بابا الكنيسة يبارك كل هذا ويعتبره أعظم عمل يقوم به المرء للدفاع عن حقوق الكنيسة ووقفْ تقدُّم الأتراك.

وهكذا استمرت حروب فلاد الثالث مع الأتراك وقتًا طويلًا، استنزفت أموالًا مهولة، وأصبحت خزائنه خاوية، ولم يعُد قادرًا على دفع المال لجنوده المرتزقة.. وكان هذا يبشِّر بثورة داخلية بين جنوده.. ولهذا سافر إلى المجر

obeikandl.com

لطلب المساعدة المالية من حليفه ماتياس كورفينوس، ولكنه بدلًا من أن يرجع بأمواله وجد نفسه مقبوضًا عليه، وتم اعتقاله بتهمة الخيانة العظمى.. والحقيقة أن السلطان محمد الفاتح قد نجح بوسيلة جُهنمية في صنع وثيقة مزوَّرة بخط فلاد الثالث، محتواها أن فلاد قد تعهَّد بولائه للسلطان في سبيل القضاء على ماتياس كورفينوس نفسه.. وتمَّ الحكم عليه بـعشر سنوات سجن.

الزواج :

تزوَج فلاد الثالث مرَّتين؛ الأولى من امرأة مجهولة الاسم، أنجبت له ابنًا واحدًا هو(MIHNEA CEL RĂU) والذي سيحكم في وقت لاحق والاشيا من عام(١٥٠٨ حتى (١٥١٠)، وقد توفيت الزوجة الأولى أثناء حصار قلعة بيوناري، والتي كان يحيط بها الجيش العثماني بقيادة رادو.. وكان سبب موتها هو وصول رسالة إليها من شُباك حُجرتها عن طريق سهم أطلقه أحد الجنود العثمانين يوضِّح فيه أن زوجها قد قُتِلَ في المعركة.. لترمي بنفسها من فوق البرج العالي للقلعة إلى أعماق نهر آرجيس (ARGEȘ RIVER) ليظل جسدها في الماء وقتًا طويلًا تتغذى عليه الأسماك.. وقد سُميَ نهر آرجيس بنهر الأميرة بسبب موتها فيه.. وهذه كانت النقطة الأساسية التي بُنيَ عليها فيلم الليلة.

الزواج الثاني كان من أيلونا سيزليجأي (ILONA SZILÁGYI)، وقد أنجب منها ابنين؛ فلاد الرابع والذي قضى معظم وقته وحياته في مركب في عرض البحر، والآخر اسمه غير معروف والذي عاش مع أسقف أورديا بترانسلفانيا حتى عام ١٤٨٢، عندما سقط مريضًا وعاد إلى والدته ليتوفى بجوارها.

الموت :

في (٢٦ نوفمبر١٤٧٦)، كان الأتراك قد بدأوا في التحضير لإعادة فتح والاشيا بدعم من المجر.. ليجتاح البلاد جيش مهول تصدى له فلاد الثالث بعد أن خرج من سجنه بجيش من المرتزقة، ليتم قتله في ساحة المعركه قُرب بوخارست وتقطع رأسه، وتم إرسالها إلى القسطنطينية، حيث أمر السلطان بعرضها على الملآ؛ كدليل على أن فلاد الثالث قد قُتِل.

بالنسبة للموقع الدقيق لرفات جسد فلاد الثالث، فهو غير معروف.. إحدى النظريات تقول هو موجود في دير كومنا، ونظرية أخرى تقول إنه موجود في دير سناجوف وهي جزيرة تقع بالقرب من دير بوخارست.. في الحقيقة لا أحد موقن على وجه اليقين بمكان جثته أو بقايا جثته على وجه التحديد.

الخازوق وعهد الرعب :

على نهر أرجيس أستطاع فلاد الثالث أن يعيد بناء قلعة بوينارى على بعد أربعين ميلًا شمال تراجوفيستا.. واختار هذا المكان بالذات ليستطيع رصد تحركات العثمانين والمجر.. وطوال فترة حكمه السادية، استطاع فلاد الثالث بأساليبه الشيطانية أن يجبر أي شخص على فعل أي شيء مهما كان.. عن طريق اتباعه لوسائل غاية في السادية والوحشية لقتل وإرهاب أعدائه، بل حتى الخارجين عن القانون في أرضه من اللصوص، وقد بلغ عدد ضحاياه ما بين ٨٠٠٠٠ إلى ١٠٠٠٠٠ أعدموا عن طريق الخازوق؛ وهو عبارة عن رمح يُدَق في مؤخرة الشخص حتى يخرج من رقبته وكان يُدهَن طرف الخازوق بالزيت ويُدخَل ببطءٍ شديدٍ حتى يضمن ألا تموت الضحية فورًا، بل يجب أن تمر بساعاتٍ سوداء من العذاب والألم الذي لا يطاق.. أمَّا الأطفال، فكان يجبر أمهاتهم على حمل أطفالهن ثم يضع الخازوق في الأطفال ليخرج من صدور أمهاتهم، وكان يضع الخازوق لبثِّ الخوف والرعب في أعدائه خارج

المدن التي يهاجمها، وارتفاع الخازوق يحدد مكانة الضحية وأهميتها.. وقد أحسَّ السلطان محمد الفاتح بفظاعة الشخص المخزوق عندما وجد أمامه أكثر من ٢٠٠٠٠ أسيرًا تركيًّا معلقين على الخوازيق خارج حدود والاشيا عندما وصلها بالجيش، حيث كانوا في حالة تعفُّن كامل ورائحتهم لا يتحملها أي مخلوق حي.. وكان يتعجب من كيفية احتمال فلاد الثالث العيش والنوم والأكل وسط كل تلك الرائحة والمناظر الرهيبة.. لهذا كان فلاد الثالث في نظر أعدائه قبل مواطنيه شخصًا شيطانيًّا خارقًا للطبيعة.. ولم يكن فلاد الثالث يكتفي بالخازوق، بل كان يستمتع بقطع الآذان والأنوف والحرق حيًّا، وشي الحيوانات وسلخها حيَّة ودق المسامير الغليظة في الرأس.

الغريب أنه كان لا يطيق ثلاثة أشياء؛ السرقة، الخيانة والكذب، والعلاقات الجنسية المحرمة.. وكان انتقامه ناحية أي شخص يضبط متلبسًا بالسرقة أوعلاقة جنسية محرمة بأن يُسلخَ حيًّا ويدهن جسده بالملح وتركه تحت الشمس حتى يتحمص هذا إذا كان مازال حيًّا.. ، بل إنه تفنَّن في وضع الناس في وعاءٍ كبيرٍ وغليهم، أو بمعنى أدق طهيهم أحياء، وتغذية الناس من لحومهم.. وكان أسلوبه أكثر من بشع حينما كان يستمتع بإجبار الشخص على أكل لحم ابنه أو بنته أو زوجته أو قريب له.

وبالنسبة للصوص، فكان يسلخ أقدامهم فقط ويدهنها بالملح، ثم يجعل قطيع الماعز الجبلي يلعق هذا الملح بألسنتهم الخشنة.. لم يكن هناك أي استثناءات أبدًا، أي شخصٍ يُعاقَب مهما كان طالما تجرأ وكسر قوانين فلاد الثالث الخاصة، سواء من الرجال أوالنساء بغض النظر عن السن أوالدين أوالطبقة الاجتماعية.. الكل سواسية.. لهذا كان نادرًا أن ترى شخصًا يخترق القوانين.

ومن القصص المضحكة، حينما كان فلاد الثالث جالسًا يأكل وسط غابة المخوزقين والمسلوخين.. ليفاجأ بأن خادمه يضع له الطعام وهو يسد أنفه لاتقاء رائحة الجثث المتعفنة التي لا تطاق.. ليسأله فلاد لماذا تسد أنفك؟ أجاب الخادم أنا لا أستطيع أن أتنفس تلك الرائحة الشنيعة يا سيدي.. فما كان من فلاد إلا أن أمر بأن يوضع هذا الخادم على أعلى خازوق ممكن.. وقال له بتهكم: الآن سوف ترتفع عاليًا إلى السماء.. ولن تستطيع تلك الرائحة أن تصل إليك!.

فلاد الثالث كان بارعًا في استخدام الحرب النفسية بجدارة، ولا ننكر أن الجميع كانوا ينظرون له على أنه شيطان متنكر في صورة بشرية، وأن جسده لا يحوي قلبًا قادرًا على الخوف أو التردد أبدًا..

بل يحوي قلبًا وعقلًا لا يعرفان أي شيء..

سوى شهوة الدم فقط.

***

obeikandl.com

obeikandl.com

لغز اسمه الفامباير
أو مصاص الدماء

obeikandl.com

obeikandl.com

إن مصاصي الدماء أو كما يُطلَق عليهم (الفامباير).((VAMPIRE.. كائنات أسطورية متوغِّلة داخل التراث الشعبي الفولكلوري، تلك الكائنات التي تعيش وتتغذى على سر الحياة.. إنه الدم.

سواء كان دم كائنات حية أوميتة.. مع أن الكائنات التي تدعى مصاصي الدماء تم تسجيلها في العديد من الثقافات وِفقًا لتخمين المؤرخ الأدبي (براين فورست)(BRIAN FROST).. حيث قال: (إن الاعتقاد بوجودية مصاصي الدماء على كوكبنا قديمة قِدَم الإنسان نفسه.. ، بل من الممكن أن تعود إلى فترة ما قبل التاريخ الإنساني ذاته).

إن كلمة مصاصي الدماء نفسها كمصطلح، لم تكن موجودة وشائعة حتى بدايات القرن الـــ ١٨، بعد أن بدأ انتشار خرافة وأسطورة مصاصي الدماء في أوروبا الشرقية، ومن المناطق التي شاعت فيها تلك الأسطورة الدموية بشدة: (البلقان وشرق أوروبا).. وهناك أشكال أخرى معروفة بأسماء أخرى في مناطق أخرى من العالم وإن اختلفت المسميات، ولكن الجوهر واحد.. فهم يطلقون على مصاصي الدماء لفظة (فامباير) في صربيا وبلغاريا، وفي اليونان يطلقون عليه اسم (فيركولكاس)، وفي رومانيا (آسترجوى).. الأمر الذي أدى إلى تنامي مستوى وجود خرافة مصاصي الدماء في العالم، وأدى إلى وجود حالة من الهيستريا الجماعية.. بل حتى في بعض الأحيان نتيجة توغل واستحواذ وتأثير تلك الأسطورة على وجدان الشعوب، أدى هذا إلى طعن بعض الجثث واتهام بعض الناس بأنهم مصاصو دماء.

وفي حين أن أشكال مصاصي الدماء في الفولكلور الشعبي تختلف في مظهرها

من البلقان إلى أوروبا الشرقية، حيث تتراوح بين كونها تقريبًا بشرية إلى جثث متعفنة أو مترنحة، لكن نجاح الكاتب (جون بيلدورا) (JOHN POLIDORI) عام ١٨١٩ في روايته (مصاص الدم) (THE VAMPIRE).. والتي تعتبر هي اللبنة الأولى والأساس، والتى أرست دعائم وصفات مصاص الدماء كما صورته الرويات فيما بعد.. حيث يعتبر هذا العمل هو أكثر الأعمال تأثيرًا في نفوس البشر في القرن التاسع عشر، الأمر الذي كان مصدر إلهام لأعمال كثيرة ظهرت بعد تلك الرواية مثل: (مصاص الدماء فارني) (VARNEY THE VAMPIRE) والرواية الأشهر دراكيولا (DRACULA). حيث تعتبر هذه الأخيرة هي الرواية التي يتذكرها الكثيرون باعتبارها الرواية التي أسست صورة مصاصي الدماء في الروايات الحديثة.. تلك الرواية التي أبدعها الكاتب الإيرلندي (برام ستوكر)عام ١٨٩٧.. صحيح هي كانت مجرَّد رواية.. ولكنها تحولت إلى نيران ظلت تنهش في أجساد البشر لفترة طويلة جدًّا، وتحولت إلى صوت للقلق في ذلك العصر.، بل إلى مخاوف ذكورية في العصر الفيكتوري.. ونظرًا لنجاح تلك الشخصية نجاحًا يفوق الوصف، فقد أدت هذه الرواية إلى انتشار الجنس الروائي المعروف بقصص مصاصي الدماء.. ذلك النوع من الروايات الذي ظل منتشرًا وناجحًا حتى لحظة كتابة هذه السطور.. بالإضافة إلى ألعاب الفيديو والحلقات التليفزيونية وأفلام السينما طبعًا.

إن فكرة مصاصي الدماء تحتل يا سادة مكان الصدارة في أدب الرعب، لدرجة أن المؤرخة الأدبية (سوزان سيللر)(SUSAN SELLERS).. قد صنفت تلك الأسطورة على أنها الشيء الذي يداعب خيالات أحلامنا من آنٍ إلى آخر.. هي تؤمن أنه من النادر أن تقابل كائنًا لم يُفتتَن بهذه الأسطورة أو يتمنى التحوُّل إلى مصاص دماء حقيقي.

تفســـير الكلمة :

لو نظرنا داخل قاموس أوكسفورد فسنعرف أنه يرجع أول ظهور لكلمة (مصاص الدماء) في الإنجليزية إلى عام ١٧٣٤، حيث ذُكِرَت في كتاب عن الرحلات بعنوان (أسفار ثلاثة من الرجال البريطانين) (TRAVELS OF THREE ENGLISH GENTLEMEN).

الغريب أن قد تم الإشارة إلى مصاصي الدماء من قبل في الأدب الألماني.. بعد أن سيطرت النمسا على شمال صربيا وأولتانيا عام ١٧١٨، وقد لاحظ القادة أن هناك ممارسات تحدث سِرًا وبكثافة عن عادة ممارسة نبش الأجساد داخل القبور، وقتل بشر كانت حولهم أقاويل بأنهم مصاصو دماء! هذه التقارير تم إعدادها مابين ١٧٢٥ و١٧٣٢.. وللأسف كانت منتشرة جدًا.

ومن الممكن أن تكون الكلمة الإنجليزية من الأصـل الفرنسي فامبير ((VAMPYRE، أو من الكلمة الألمانية فامباير التي بدورها اشتقها الألمان في مطلع القرن الـ ١٨ من الكلمة الصربية فامبير، عندما ادَّعى (ارنولد بويل) (ARNOLD PAOLE) بتواجد مصاص دماء (فامبير) في الصرب، في الوقت الذي كانت فيه صربيا جزءًا من الإمبراطورية النمساوية.

كلمة مصاص الدماء بالصربية لها ما يوازيها في العديد من اللغات السلافية في بلغاريا وكرواتيا والتشيك وسلوفاكيا وبولندا وروسيا وأوكرانيا.. ولكن الحقيقة أنه لا يعرف على وجه الدقة من أين تم اشتقاق تلك الكلمة.. فمن بين الأشياء المقترحة أن هذه الكلمة قد اشتقت من كلمة سلافية قديمة.. وهناك نظرية أقل شيوعًا بأن اللغة السلافية قد أخذت تلك الكلمة من اللغة التركية والتي تعني (الساحرة).

ويقال إن أول تسجيل لاستخدام الكلمة الروسية (آوبير) في وثيقة رقم ٦٥٥٥

التي ترجع إلى عام ١٠٤٧، وهي عبارة عن بيانات نسخ تعليقات في مخطوطة كتاب المزامير كتبه قس.. هو نفسه الذي قام بنسخ الكتاب من السلافية القديمة إلى السيريالية لأمير نوفوجوديا

(فلاديميرياروسلوفوفيتش)(VLADIMIR YAROSLAVOVICH)..
وكتب القس أن اسمه هو (أوبير ليخي) (UPIR LIKHYI) والذي يعني (مصاص الدماء الشرير) أو (مصاص الدماء الفاسد).. وظهور مثل هذا الاسم الغريب تم الإشارة إليه كمثال على استمرار الوثنية، وأيضًا على استخدام أسلوب الكناية في اللغة كبديل للأسماء الحقيقية.
وهناك استخدام قديم آخر لتلك الكلمة في روسيا في مقال ضد الوثنية يدعى (كلمات القس جيريجوري) ((WORD OF SAINT GRIGORIY.. يرجع إلى الفترة مابين القرن الـ١١ والـ١٣ حيث كان الوثنيون يعبدون (آوبير).

« المعتقـــــدات الشعبيـــــة القديمـــــــــة »

كان موضوع مصاصي الدماء موضوعًا مثيرًا طوال الألف عام الماضية.. فحضارات مثل الميسبوتنيان (MESOPOTAMIANS) بما فيها المسخ (ليليث)(LILITH) و(اديمو)(EDIMMU) السامري في الأ ساطير البابلية والأشورية والعبرانيين والإغريق القدماء والرومان.. كل هؤلاء كانت لديهم حكاياتهم الخاصة في تراثهم الفولكولوري عن الوحوش والشياطين الدموية مما كان يعتبر تمهيدًا لظهور أسطورة مصاصي الدماء في العصر الحديث.. ومع ظهور بعض من المخلوقات التي تشبه مصاصي الدماء في تلك الحضارات القديمة إلا أن التراث الشعبي لتلك المخلوقات التي نعرفها اليوم باسم مصاصي الدماء بصورتها المتعارف عليها ترجع فقط إلى بدايات القرن الـ ١٨ في جنوب شرق أوروبا، وذلك عندما تم نشر تسجيل القصص الشفهية للعديد من الجماعات العرقية في هذا الأقليم.. وفى أغلب الأحيان يكون

مصاصى الدماء عبارة عن عفاريت أشخاص شريرة أو ضحايا منتحرين أو ساحرات ولكنهن أيضًا من الممكن أن يتم خلقهن وإعادة تشكيلهن عن طريق استحواذ أرواح شريرة عليهم، وقد تفشى هذا الاعتقاد بتلك الأساطير لدرجة أنها في بعض المناطق سببت هيستريا جماعية.. ، بل حتى تم عمل محاكمات علنية لأشخاص اُعتُقِد أنهم مصاصو دماء.. وكانت نهايتهم القتل طبعًا وحرق جثتهم.

الوصف والصفات :

من الصعب عمل وصف موحد ومحدد لمصاصي الدماء في التراث الشعبي القديم، فكل شعب كان يرسم بمخيلته مواصفات مصاص الدماء الخاص به كما يتراءى له، ولكن هذا لا يمنع من وجود عناصر مشتركة فيما بين الكثير من الأساطير الأوروبية حول تلك الأسطورة.. فكما ذكرت الحكايات القديمة بأن مصاص الدماء له شكل ثمين ومتورد محمر أو داكن اللون.. وهذه الصفات غالبًا ما ترجع إلى أنه قد انتهى مؤخَّرًا من امتصاص دم طازج، وغالبًا ما يلاحظ أن الدماء تسيل من فمه وأنفه عندما يراه الناظر في كفنه أو قبوه الذي يعيش فيه، وغالبًا ما تكون عينه اليمنى مفتوحة.. تحدق في لاشيء.. وملابسه من الكتان وهي نفس الملابس أو بمعنى أدق نفس الكفن الذي دفن فيه.. وتكون أسنانه وشعره وأظفاره قد نمت إلى حدٍّ ما، مع أن طول الأظافر في تلك الفترة كان مسموحًا به.. ولم تكن علامة مؤكدة على أن صاحبها مصاص دماء.

خلق مصاص الدماء :

تعددت أسباب اختلاق مصاص الدماء في الفولكلور الأصلي.. في التقاليد السلافية والصينية يعتبرون أن أي جسم يقفز من عليه حيوان، وخاصة إذا كان كلب أو قطة يخشى أن يتحول إلى أحد الكائنات الغير ميتة.. والجرح

الذي لم يُعالجَ بالمياه الساخنة المغلية هو أيضًا خطر على صاحبه.. ووفقًا للمعتقدات الشعبية الروسية، فإن مصاص الدماء كان في الأصل ساحر أو شخص انقلب على الكنيسة وكفر بها أثناء حياته.

ونتيجة لذلك، كان هناك بعض من الممارسات الثقافية التي نشأت وتوغلت داخل البشر في تلك الفترة لحماية أنفسهم وحماية الموتى حديثًا من التحوُّل إلى كائنات هائمة ليست بميتة.. حيث كان دفن الجسد مقلوبًا رأسًا على عقب منتشرًا، وأيضًا وضع أشياء أرضية مثل المناجل بالقرب من القبر بهدف إرضاء أي وحش يدخل الجسد أو لإرضاء الميت بحيث لا يرغب في مغادرة الكفن ويظَلُّ محبوسًا داخل قبره!.

وهذه الطريقة كانت تشبه إلى حدٍّ كبير ممارسة الإغريق القدماء ووضعهم قطعة نقود في فم الميت من أجل دفع الرسوم لعبور نهر ستايكس في العالم السفلي.. ويقال إن استخدام العملة كان لمنع أي أرواح شريرة من الدخول إلى الجسد.. الأمر الذي من الممكن أن يكون قد أثَّر على مصاص الدماء كما هو موجود في الفولكلور .

وقد استمرَّ هذا التقليد في اليونانية القديمة حول (الفيركولكاس) ((VRYKOLAKAS.. وهو أسلوب كان متبعًا في تلك الفترة، حيث كانت تُوضَع قطعة من الشمع على شكل صليب وقطعة من الخزف منقوش عليها جملة (الفاتح يسوع المسيح).. يتم وضعها في جسد الميت لمنع الجسم من التحول إلى مصاص دماء، وهناك طرق أخرى كانت تتم ممارستها في أوروبا من ضمنها قطْع أوتار الكاحل.. وضع بذور من الخشخاش أو أي حبوب أو رمل على الأرض في الموقع الذي يفترض أن يكون به مصاص الدماء، وكان الهدف من هذا كله هو جعل مصاص الدماء ينشغل طوال الليل بمعرفة عدد

تلك البذور تحت قدميه.. مما يوضِّح ارتباط مصاص الدماء بمرض الوسواس القهري.. وهناك روايات صينية مشابهة لهذا تقول بإنه لو مرَّ أي مصاص دماء بجوار جوال من الأرز فإن عليه أن يعد كل حبة فيه، وهذا الموضوع جاء إلى الصين من الأساطير في شبه القارة الهندية، وأيضًا هناك بعض من القصص في جنوب أمريكا حول الساحرات والكائنات الشريرة أو الأرواح الشريرة الماصة للدماء.

التعرف على مصاص الدماء :

هناك العديد من الطقوس كان يتم استخدامها للتعرف على مصاص الدماء. من إحدى تلك الطرق التي تتم لاكتشاف قبر مصاص الدماء؛ هو جعل ذكر لم يتزوج يمشي بين القبور ليشعر به، وكذلك استخدام ذكر خيل وعادة مايكون لونه أسود.. وفي ألبانيا كان يفضَّل أن يكون اللون أبيض.. أيضًا الحُفَر التي كانت موجودة على سطح القبر كانت تُعَد علامة على تواجد مصاص الدماء. وتوصف الأجساد التي يعتقد أنها أجساد مصاصين دماء على أن لها مظهرًا أكثر صحة من المتوقع وبدينة، وليس بها أي أثار للتحلل نهائيا.. وفي بعض الأحيان كان يتم فتح القبور المشكوك فيها.. الغريب أنهم كانوا يجدون بعض الجثث لم تتحلل وعلى فمها أثار دماء سائلة!.

وحينما تموت قطعان الماشية والغنم والأقارب والجيران بطريقة غامضة، فإن هذا يعتبر دليلًا على وجود مصاص دماء يتجول ليلًا، وكان هذا كفيلًا بجعل المكان جحيم لا يوصف.

ووفقًا للمعتقدات الشعبية، فإن مصاص الدماء من الممكن أن يشعرنا بحضوره عن طريق عمل ما يشبه التجول كروح شريـرة.. مثل تحريك الحجارة، تحريك أشياء داخل المنزل.. ظهوره في صورة كوابيس للناس في

obeikandl.com

منامهم.

الحماية :

إنها طقوس الطرد.. تلك الطقوس عبارة عن أشياء أرضية أو مقدسة لها القدرة على طرد تلك الروح الشريرة بما أن مصاص الدماء عبارة عن روح شريرة تتحرك على قدمين.. لهذا كان الثوم والمياه المقدسة من الأشياء الشائعة بكثافة في الفلكلور.. وهذه العناصر تتغيَّر من منطقة إلى أخرى، حيث قيل أن فرع من الأزهار البرية ((WILD ROSE قادر على إيذاء مصاص الدماء، وكذلك نبات الزعرور (HAWTHORN).. وفي أوروبا يقال أن ذَرَّ أزهار الخردل على سطح المنازل يطرد أي مصاص دماء.. وهناك طوارد أخرى من بينها الأشياء المقدَّسة، مثل الصليب والمِسبحة والمياه المقدسة.. ويقال إن مصاصي الدماء لا يستطيعون السير على أرضٍ مقدسة مثل الكنائس أوالمعابد أوعبر المياه الجارية النقية.. أمَّا المرآة فمع أنها عادة ليست من طقوس الطرد إلا أنه يتم استخدامها لطرد مصاصي الدماء؛ بوضعها على الباب من الخارج.. (في بعض الثقافات لا يكون لمصاص الدماء انعكاسًا على المرآة، ففي بعض الأحيان لا يكون لهم ظِلٌّ، وقد يكون هذا هو الدليل على أن مصاصي الدماء ليس لهم أرواح).

ومع أن هذه الطريقة ليست منتشرة في جميع أنحاء العالم، إلا أن الكاتب برام ستوكر استخدمها في قصته دراكيولا، ومازالت منتشرة في الأفلام وأدب الرعب حتى الآن.

هناك بعض التقاليد تقول إن مصاصي الدماء لا يدخلون المنزل إلا إذا دعاهم صاحب المنزل بإرادته، فقط في المرَّة الأولى، أمَّا بعد ذلك فلمصاص الدماء الحق أن يدخل ويتحرَّك في المنزل كما يشاء.

طبعًا بما أن مصاصي الدماء يكونون ناشطين فقط في الليل، فهذا سبَّب لهم حساسية مفرطة تجاه أشعة الشمس.. تتنوع أشكال تدمير مصاصي الدماء من الطعن بوَتِدٍ خشبي.. وهي أكثر الطرق انتشارًا، خاصة في الثقافة السلافية، ويستخدمون خشب (الأش) لقتلهم في روسيا ودول البلطيق و(الزعرور البري) في صربيا (والبلوط) في سيلسا.. وهذا عن طريق دقّ الوَتِد الخشبي بقوة في مكان القلب تمامًا.. في روسيا وشمال ألمانيا يتم طعن الوَتِد في الفم.. وفي شمال صربيا يتم طعن المعدة.. ومن الممكن اختراق صدر مصاص الدماء كوسيلة لتفريغه، وهذه الطريقة مشابهة لعملية دفن أشياء حادة مثل المناجل مع الجسد، بحيث تخترق الجسد إذا بدأ ينتفخ حينما يبدأ في التحوُّل.

بينما في ألمانيا وغربي المناطق السلافية، فقطع الرأس هو الوسيلة المفضَّلة مع دفن الرأس بين القدمين خلف المؤخرة أو بعيد عن الجسد تمامًا.. وهذا العمل يُنظَر له على أنه طريقة لتسريع خروج الروح، ومن الممكن وضع رمح في رأس أو جسد مصاص الدماء أو في ملابسه ولصقها في الأرض لمنعه من القيام مرَّة أخرى ومغادرة القبر.

أما الغجر، فهم يضعون دبابيسًا حديدية أو صلبة في قلب الجسد، ويضعون قِطَعًا من الصلب في الفم وعلى العينين والأذنين وبين الأصابع وقت الدفن.. كما أنهم أيضًا يضعون أعشاب الزُّعرور البري في كفن الميت أو وضعها فيما بين رجليه.

وكان هناك حادثة شهيرة حدثت فعلًا في القرن الـ ١٦ بالقرب من فينيسيا، حيث تم وضع حجر من الطوب داخل فم وجسد امرأة. وقد فسَّر علماء الآثار الذين اكتشفوا الجثة عام ٢٠٠٢ ذلك على أنه طقس لقتل مصاصي

obeikandi.com

الدماء في ذلك الوقت. وهناك إجراءات أخرى تضمنت صب الماء المغلي على القبر أو حرق الجثة بالكامل، وفي دول البلقان يمكن أيضًا قتل مصاص الدماء عن طريق ضربه بالنار أو إغراقه أو قتله عن طريق تكرار مشاهد الدفن أو رش مياه مقدَّسة على الجسد كعملية إخراج الشياطين.. وفي رومانيا يُوضَع الثوم في الفم وحتى القرن الـ ١٩ كان يتم إطلاق رصاصة على الجثة في رأسها وهي في الكفن كإجراء احترازي، أو تقطيع الجسد وإحراق أجزائه وخلطها بالمياه.. وفي المناطق السكسونية في ألمانيا، كان يتم وضع الليمون في فم مصاص الدماء المحتمل أو المشكوك في أمره.

أما في السينما.. فقد كان هناك عدة طرق تم استخادمها بحرفية وكثافة شديدة وأصبحت مع مرور الوقت أشياءً لا غنى عنها في قتل وتدمير أي مصاص دماء منها..

(غرس الوَتِد في القلب – إلقاء الماء المقدَّس على أي جزءٍ من جسد مصاص الدماء – فصل رأس مصاص الدماء عن جسده – إشهار الصليب أو أي رمزٍ ديني في وجه مصاص الدماء – وضْع حزمة من الثوم لإبعاد أي مصاص دماء – تعريض مصاص الدماء لضوء الشمس – فصل أطراف مصاص الدماء سواء الأذرع أوالسيقان).

المعتقدات القديمة :

وُجِدَت تقريبًا في أغلب الحضارات حول العالم قصص حول مخلوقات غير طبيعية تتغذى على الدماء، أوعلى أجساد الأحياء منذ قرون طويلة جدًّا.. واليوم من الممكن أن نربط بين تلك الكائنات ومصاصي الدماء، ولكن اللفظة نفسها لم تكن موجودة، وكان ينسب شرب الدماء وما شابهها من الأفعال إلى الشياطين أو المسوخ التي من الممكن أن تأكل الأجساد وتشرب الدماء.. ،

obeikandl.com

بل حتى الشيطان كان يعتبر مساوٍ لمصاص الدماء، وتقريبًا كل حضارة وأمة ربطت شُرب الدماء بمخلوق ما أو وحش معين أو في الأحيان إله ما.. على سبيل المثال في الهند هناك قصص حول (فيتاليس) ((VETALASوهو شيء مثل الغول يسكن الأجساد وأشير إليه في (بايتل باكيسي) التي هي عبارة عن قصة معروفة وتحكي عن الملك فيركاميدتيا وجولاته الليلية لأسر أحد الكائنات المراوغة والـ (بيشاكا) (PISHACHA) وهو إحدى الأرواح الشريرة العائدة أو التي جُنَّت وكانت تحمل صفات مصاصي الدماء.. وأيضًا إلهة الهند القديمة (كالي) (KALI) بمخالبها ومكللة بأجساد أو بجماجم الموتى أيضًا ترتبط بعملية شرب الدماء.. وفي مِصر القديمة كانت إلهة (سيخمت) (SEKHMET) تشرب أيضًا الدماء.

والفرس كانوا أوائل الأمم التي كان عندها قصص حول الوحوش الماصة للدماء؛ وهي المخلوقات التي تحاول شُرب الدماء من الرجال، وتمَّ تصوير هذا على بعض من المنحوتات الخزفية التي تم اكتشافها.. أمَّا بابل وأشور القديمة كان عندهما قصص حول (ليليتو) (LILITU) الأسطورية، التي هي المساوية أو التي أدت إلى ظهور (ليليث) ((LILITH وابنتها (ليلو) (LILU) في الأساطير العبرية فـ (ليليتو) كانت تعتبر وحشًا وكان يتم غالبًا تصويرها على أنها تتغذى على دماء الأطفال، ولكن مثيلتها في العبرية يقال إنها تتغذى على كُلٍّ من الرجال والنساء وأيضًا حديثي الولادة.

وفي الأساطير الرومانية واليونانية وصفت (أيمبوسا) ((EMPUSAE، و(لاميا) (THE LAMIA) و(ستريجيس)، (STRIGES). ومع مرور الوقت أصبحت الكلمتان الأولتان كلمتين عامتين تصفان الساحرات.. و(أيمبوسا) هي ابنة الإلهة (هيكات) (HECATE) وصفت على أنها شريرة، وعلى أنها مخلوق لها قدم من برونز.. وهي تتغذى على الدم عن طريق التحوُّل إلى امرأة

صغيرة تغوي الرجال عندما ينامون، ومن ثم تقوم بمص دمائهم.
أما (لاميا) فهي تفترس الأطفال الصغار في سرائرهم ليلًا وتمتص دماءهم تمامًا.. كما كانت تفعل (جيللودز) أو (جيللو) (GELLO).. ومثل (اللاميا) يتغذى أيضًا (الستريجس) (STRIGES) على الأطفال، وأيضًا الشباب الصغير، ووُصِفَت على أنها تأكل أجساد الغربان أوالطيور بوجه عام.. ولكنها دخلت بعد ذلك في الأساطير الرومانية وأصبح اسمها (ستريكس) وهو نوع من أنواع الطيور الليلية التي تتغذى على اللحم البشري بشكلٍ عام والدماء بشكلٍ خاص.

الفلكور في العصور الوسطى والمتوسطة :

ترجع العديد من الأساطير حول مصاصي الدماء إلى فترة العصور الوسطى، وفي القرن الـثاني عشر سجَّل المؤرخ الإنجليزي (والترماب) (WALTER MAP) و(وليام النوربيرجى) (WILLIAM NEWBURGH).. قِصصًا حول كائنات عادت إلى الحياة، ذلك مع نُدرة وجود قصص في الأساطير الإنجليزية حول مصاصي الدماء بعد هذا التاريخ، وهذه القصص تشبه ما تداوله الفلكلور فيما بعد في أوروبا الشرقية في أواخر القرن الـ١٧ والـ١٨، والتي كانت الأساس لأسطورة مصاص الدماء، والتي دخلت فيما بعد إلى الفلكلور الألماني والإنجليزى، وشاعت وصقلت بالتالي هناك.

وأحد أقدم ما ورد عن مصاصي الدماء، في أقليم أستريا بكرواتيا حاليًا عام ١٦٧٢، حيث أشار السكان المحليون إلى مصاص الدماء (جيورو جراندو) (GIURE GRANDO) في قرية خرينج الأمر الذي سبَّب الذعر بين كل القرويين.. والقصة بدأت حينما مات فلاح يدعى (جيورو جراندو) عام١٦٥٦، ومع ذلك فقد ادَّعى كل القرويين أنه عاد من الموت وقام بالتحرُّش بزوجته جنسيًّا، وقد أمر قائد المدينة بطعن الجثة بوَتِدٍ في القلب، ولكن تلك الطريقة

فشلت حيث أنه عاد للظهور مرَّة أخرى ليقطعوا رأسه بعد ذلك.

وأثناء القرن الـ١٨ كانت هناك حمى لرؤية مصاصي الدماء في أوروبا الشرقية بالذات، وقد تلا ذلك حفر العديد من القبور والتعرُّف على أولئك العائدين من الموت، بل حتى موظفي الحكومة الرسميين اشتركوا بأنفسهم في عمليات قنص وصيد وطعن مصاصي الدماء.. ومع إطلاق مسمى «عصر العلم» على القرن ١٨، إلا أن ثمة قوة تجبر الناس على إسكاتهم ودفن الكثير من الأساطير بداخلهم، إلا أن إيمان الناس بمصاصي الدماء قد تزايد على نحوٍ ملحوظ، الأمر الذي أدى إلى وجود هيستريا جماعية في أغلب أوروبا، وقد بدأ الرعب عند وجود ما اشتبه أنه هجوم لمصاص دماء آخر في أوروبا الشرقية عام١٧٢١، وفي أبرشية هاسبرج من عام ١٧٢٥ إلى ١٧٣٤.. وانتشرت تلك الشائعة إلى الأقاليم الأخرى وهناك حالتان شهيرتان عن اثنين من مصاصين الدماء تمَّ تسجيلهم في الدفاتر الرسمية.. أول حالة كانت خاصة بجسد (بيتر بولكوجوستز (PETER PLOGOJOWITZ).. و(ارنولد باول)(ARNOLD PAOLE).. في صربيا قيل أن (بيتر) قد توفي عن عمر٦٢ عامًا، ولكن اشتبه أنه عاد من الموت مرَّة أخرى وطلب من ابنه طعامًا، وعندما رفض الابن من خوفه الشديد، وُجِدَ مقتولًا في اليوم التالي، بل إن (بيتر) قد ظهر عدة مرَّات أخرى هاجم فيها بعضًا من جيرانه وقد كان سبب وفاتهم الرئيسي هو فقدانهم الكثير من الدماء!.

أما (باول)، فقد كان جنديًا سابقًا، ترك الخدمة ويشتبه في أن مصاص دماء قد هاجمه وهو يقطع الحشائش في مزرعته وبعد دفنه بدأ الناس يموتون في المناطق المحيطة به، وقد اعتقد الناس أنه قد عاد للحياة للانتقام منهم، وها هو يفترس جيرانه بلا رحمة.

وهناك أسطورة سلافية شهيرة حول وجود الكثير من مصاصي الدماء في منطقة

(سيافا سافاونيك)(SAVA SAVANOVIC).. وتم استخدام هذه الشخصية الفلكلورية فيما بعد من قبل الكاتب (ميلوفان جليشيك)(MILOVAN GLISIC) في فيلم الرعب الصربي عام ١٩٧٢ الذي كان باسم (ليبتريشيا) (LEPTIRICA) والتي كانت هذه القصة هي مصدر إلهامه.

عامة كان قد تم تسجيل الحادثتين بعناية حيث قامت الحكومة بفحص الجثث وكتابة التقارير ونشرت كتب في أنحاء أوروبا وأشير إلى الهيستريا التي شاعت حينذاك باسم (جدل القرن الـ١٨ حول مصاصي الدماء).. واستمرت لجيل كامل، وأدَّى وجود وباء في هذه الأثناء إلى انتشار تلك الشائعة بالتأكيد بسبب انتشار الخرافات وسيطرتها في ذلك المجتمع بشكلٍ كبير.. ومع وجود العديد من المحليين الذين قاموا بنبش الجثث وطعنهم في بعض الأحيان.. ومع أنه كانت هناك موجة مضادة تحاول وقف هذه الأسطورة حيث أن باحثين كثيرين في تلك الفترة قد أشاروا إلى عدم وجود ما يسمى بمصاص الدماء، وأرجعوا سبب ماحدث إلى أن هؤلاء الأشخاص قد دُفِنوا قبل الأوان.. وكذلك داء الكلب أدى إلى تزايد تلك الخرافة.. أمَّا اللاهوتي المعروف والمحترم (دوم أوجيستين كالميت) (DOMAUGUSTINE CALMET) فقد نشر مقال عام ١٧٤٦ وهو مقال غامض حول فكرة وجود مصاصي الدماء.. فقد قام بجمع حوادث مصاصي الدماء التي ذكرت من قبل ومن شاهدوا تلك الحوادث وعاصروها وتضمن أيضًا الناقد (فولتير) وما قاله علماء الخوارقيات عن هذا وقام باستخلاص من هذا كله أن مصاصي الدماء موجودون فعلًا.

وفي قاموسه الفلسفي كتب (فولتير):
«مصاصو الدماء هؤلاء عبارة عن أجسادٍ تُترَك قبورها ليلًا لتمتص دماء الأحياء، إمَّا عن طريق العض في الرقبة أو المعدة، وبعد ذلك تعود مرَّة أخرى إلى قبرها، ويشحب لون من تم امتصاص دمه ويضعف ويصاب بالسُّل في

حين تنمو الجثث الماصة وتسمن وتصبح محمرة الوجنتين، وتستمتع بتلك الوجبة الدموية، ويوجد هؤلاء الأموات في بولندا وسيلسيا وماروفيا والنمسا ولورين.»

وقد تنامى هذا الجدل عندما بعثَتْ الأمبراطورة (ماريا تريزا) أمبراطورة النمسا بطبيبها الخاص (جيراد فان سويتن) للتحري عن الادعاءات بوجود كائنات ماصة للدماء.. وانتهى الطبيب إلى عدم وجود ما يسمى بمصاصي الدماء وقامت الأمبراطورة بإصدار قانون يمنع فتح القبور وتدنيس الأجساد، وكان هذا ما يبدو نهاية لأسطورة مصاص الدماء ومع هذا، ما زال مصاص الدماء يعيش ويتكاثر في الأعمال الأدبية والسينمائية وأيضًا في عقول البشر.

المعتقدات غير الأوروبية :

إفريقيا :

هناك العديد من البلدان الإفريقية تحتوي على قصص حول مخلوقات لها صفات مثل صفات مصاصي الدماء.. ففي غرب إفريقيا يتحدث (الأشانتي) (ASHANTI) عن قصص حول (الأسنوبوسيوم)(ASANBOSAM) الكائن ذو الأسنان الحديدية الذي يتسلق الأشجار.. وهناك أيضًا قبائل(أيو) (EWE) يتحدثون عن (الأدز)(ADZE) وهو طائر دموي يصطاد الأطفال ليمتص دماءهم.. والإقليم الشرقي به (الأمبوندولو) (IMPUNDULU) وهو طائر ذو مخلب ضخم يمكنه استدعاء الرعد والـبرق.. ورجال (البيتسلو) (PETSILEO) في مدغشقر هناك يعتقدون بوجود (الرامنجا) (RAMANGA).. الذي هو عبارة عن مصاص دماء منبوذ يشرب الدماء ويأكل لحم سادة القوم والأغنياء .

أميريكا :

يعد (اللاجرو) (THE LOOGAROO).. مثالًا يوضح كيفية أن يكون الاعتقاد بمصاص الدماء ينبع من مجموعة من المعتقدات القديمة، حيث أنه عبارة عن مزيج وخليط من السحر الفرنسي مع سحر الفودو الإفريقي.. وقد أتت هذه الكلمة من الكلمة الفرنسية (لابوجارو)(LOUP-GAROU) والتي تعني المستذئب.. وهي شائعة في ثقافة قبائل (الموريتس)(MAURITIUS) وقصص (اللاجرو) منتشرة بكثافة شديدة عبر جزر الكاريبي ولويزيانا في الولايات المتحدة الأمريكية، وهناك وحوش أنثوية مشابهة مثل(السكوينت) (SOUCOUYANT) في ترنداد و(التوندا)(TONDA) في الفولكلور الكولومبي.. في حين أن (الموباشا)(MAPUCHE) في جنوب شيلي تحتوي على الأفعى الماصة للدماء، المعروفة باسم (البوشين) ويتعلق(الوفيرا)(ALO VERA) وراء الباب أو بالقرب منه، حيث كان يُعتقَد أنها تطرد مصاصي الدماء وفقًا للخرافات في أمريكا الجنوبية، وفي الأساطير الأزدية هناك قِصَّة تحكي عن الكائن (شيتوتو)((CIHUATETEO؛ وهو عبارة عن وحش له وجه جمجمة يقوم بسرقة الأطفال الموتى ويدخلهم في السجون ويستخدمهم للمتعة الجنسية مع الأحياء ويدفهم للجنون.

وفي أواخر القرن الثامن والتاسع عشر انتشر الاعتقاد بمصاصي الدماء في نيويورك، وخاصة منطقة رود أيلاند وشرق كونيتيكيت، حيث سُجِّلت العديد من الحالات حول عائلات أخرجوا أحباءهم من قبورهم، وأزالوا قلوبهم لاعتقادهم أنهم تحولوا إلى مصاصين دماء، وأنهم مسئولون عن مرض مميت تفشى في العائلة، وذلك مع أن كلمة مصاص الدماء لم تستخدم مطلقًا لوصف هؤلاء الموتى، وكان يعتقد وقتها أن مرض السُّل يسبِّبه زيارات من أشخاص توفوا في العائلة قد أصيبوا بهذا المرض ودُفِنوا. وأشهر الحالات التي سُجِّلت عن مصاصي الدماء هي حالة (ميرسي براون)(MERCY BROWN) البالغة

من العمر ثمانية عشرة عامًا، والتي ماتت في أيكستر ري رودأيلاند عام ١٨٩٢، وقد قام أبوها بمساعدة طبيب العائلة بنبش قبرها بعد شهرين من حدوث الوفاة ونزعا قلبها وأحرقاه.

أسيا :

الاعتقاد الحديث بمصاصي الدماء انتشر عبر أسيا مع تداول قصص حول مخلوق مثل الغول أتى من اليابسة إلى المخلوقات الماصة للدماء في جُزر جنوب أسيا.. وهناك في الهند أساطير عن مصاصي الدماء تدعى (البوتا)(THE BHUTA) أو (بريت)(PRET)؛ وهي عبارةعن روح رجل مات بطريقة مفاجئة، وهو الآن يتجول بين أجساد الموتى الأحياء في الليل ويهاجم الأحياء مثل الغِيلان.. وفي شمال الهند هناك (البراهما أركاشاسا) (BRAHMA RAKSHASA)؛ وهو مخلوق مثل مصاص الدماء، رأسه تحيط به أمعاء وجمجمة يشرب فيها الدماء.

ومع من ظهور مصاصي الدماء في السينما اليابانية منذ عام ١٩٥٠، إلا أن السبب الوحيد الذي كان وراء انتشار تلك الثقافة هو الغرب فقط.. ولكن هذا لم يمنع من وجود ما يدعى (النيكوكبي) (NUKEKUBI) في الفولكلور الياباني؛ وهو عبارة عن مخلوق مقطوع رأسه.. هذه الرأس لها القدرة على الطيران ويفترس ضحاياه من البشر ليلًا.

وهناك أيضًا أساطير عن نساء ماصة للدماء في الفلبين وأندونيسيا وماليزيا، لرؤوسهن القدرة على الطيران والانفصال عن الجسد.. وهناك مخلوقان في الفلبين يشبهان مصاص الدماء هما (التاجلوج ماندروجو)(TAGALOG MANDURUGO) والذي يعني مصاص الدماء و(الفيزيأن ماننجال) (VISAYAN MANANANGGAL) ويعني (مقطَّع الأطراف أو الأوصال)..

والماندروجو يأخذ شكل فتاة جذابة نهارًا، وفي الليل يكون له جناحان وتجويفٌ كبيرٌ به لسان طويل، ويُستخدَم هذا اللسان في مص دماء ضحيته.. أمَّا المانانجال فقد وُصِفَت على أنها تتخذ شكل امرأة عجوز وجميلة لها القدرة على قطع جزئها الأمامي؛ كي تستطيع الطيران ليلاً بجانحيها اللذين يشبهان جناحي خفاش، وتفترس النساء الحوامل النائمات في بيوتهن.

وهي تستخدم خرطومها الطويل الذي يبدو مثل اللسان في مص دماء الأجِنَّة في بطون الحوامل.. كما أنها تفضل أيضًا أكل الأحشاء خاصة القلب والكبد، وشُرب بلغم المرضى.

أمَّا (البيناناجلان)(PENANGGALAN) في ماليزيا، فمن الممكن أن تكون فتاة جميلة أو امرأة عجوز تحصل على جمالها هذا عن طريق استخدام السحر الأسود أو أي وسيلة غير طبيعية، وتُصوَّر في الفولكلور المحلي غالبًا على هيئة امرأة شيطانية، ولها القدرة على فصل رأسها المخلبية التي تستطيع الطيران ليلًا للبحث عن الدماء، وأيضًا عن النساء الحوامل، ويعلق الماليزيون أشواك كثيفة على أبوابهم ونوافذهم على أمل أن تكون عائقًا ومانعًا يمنع دخول ذلك المسخ إلى بيوتهم ليلًا وهم نائمون.

وهناك (الـلأيـك)(LEYAK) في الفولكلور البيليني.. أمَّا (الكونولانك) (KUNTILANAK) أو(المتيانك)(MATIANAK) في أندونيسيا فهو عبارة عن امرأة ماتت أثناء الوضع وأصبحت غير ميتة وهي تسعى للانتقام وترعب أهل القرية وتظهر على هيئة امرأة جذَّابة بشعرٍ أسود طويل، وحفرة في رقبتها عن طريقها تمتص دماء الأطفال، وعند تغطية تلك الفجوة بشعرها فإن ذلك يطردها، ويتم ملء أفواه الجثث بالزجاج المكسَّر، ويوضع تحت إبطها بيضة وإبر في كفنها لمنعها من التحوُّل.

وهناك (الجيانج شي)(JIANG SHI).. وترجمتها الحرفية (الجثَّة المحشوة).. ويطلق عليها الغربيون في بعض الأحيان مصاص الدماء الصينيي؛ وهي عبارة عن جثة متحركة، تتحرَّك وتقفز وتقتل الكائنات الحيَّة كي تمتص جوهر الحياة من ضحاياها..

ويقال إنهم يُخلقون عندما لا تستطيع روح الشخص مغادرة جسده، ولكن في بعض الأحيان يشكك البعض في مقارنة الـ (جيانج شي) بمصاص الدماء حيث أن (الجيانج شيي) عادة ما تكون مخلوقات بلا عقل وليس لها ذكاء أو أفكار مستقلة بها.. كما أن أحد الأشياء المميزة لهذا الوحش هو جلده الأخضر المبيِّض وفراؤه؛ والذي نما من فطريات تنمو على جسده المتسخ.

« الاعتقـــادات الحديثـــــــة »

في الروايات الحديثة يتم تصوير مصاصي الدماء على أنها مخلوقات دمثة ولها سحرٌ وحضورٌ ورونق ولبقة، ومع الاعتقاد العام بعدم الإيمان بمخلوقات مصاصي الدماء.. إلا أنه مازال هناك روايات تنشر عن مشاهدات لمصاصي الدماء.. وفي الواقع مازال هناك بعض المجتمعات التي تذهب إلى اصطياد مصاص الدماء.. وهناك اتهامات بهجوم لمصاصي الدماء في مالاوي، تقريبًا عام ٢٠٠٢ وبِداءات عام ٢٠٠٣، ووجد بعض من المظاهرات ورمي الحجارة على شخصٍ لحد الموت، وقاموا على الأقل بمهاجمة أربعة آخرين من بينهم المحافظ (إيريك جويتا)(ERIC CHIWAYA) بناءً على اعتقادهم بأن الحكومة متواطئة مع مصاصي الدماء.. !.

وبِداءة عام ١٩٧٠ نشرت الصحف المحلية شائعات أن هناك مصاص دماء يسكن مقابر (هاي جيت) بلندن، وقد توجه العديد من صائدي مصاصي الدماء إلى تلك المدافن.. وهناك العديد من الكتب كُتِبَت حول تلك الواقعة،

obeikandl.com

وخاصة الكاتب(شين مانشيستر)(SEAN MANCHESTER).. وهو أحد الأوائل الذين توقعوا وجود مصاص دماء داخل تلك المدافن، والذي أيضًا ادّعَى أنه قام بمساعدة أناس آخرين بطرد وتدمير مجموعة كبيرة من مصاصي الدماء من لندن.

وفي يناير ٢٠٠٥، انتشرت شائعات أن هناك قاتلًا قام بعضِّ عددٍ من الناس في رقبتهم في (برمنجهام) بإنجلترا، الأمر الذي أشعل القلق بوجود مصاص دماء يتجول بين الشوارع.. ولكن البوليس المحلي قال إنه لم يتم التبليغ عن أيّ حادثة بهذا الشكل، وأضاف أنه من الوارد أن تكون تلك الحادثة عبارة عن أسطورة مدينة أو حالة.. لا أكثر أو أقل.

في ٢٠٠٦ كتب طبيب في جامعة فلوريدا يقول إنه مستحيل من الناحية الرياضية توجد مصاص دماء وِفقًا لمبدأ المتتالية الهندسية الشهيرة.. ووفقًا للبحث المقدم فإن هذا الطبيب يقول إنه منذ ظهور أول مصاصٍ للدماء كان في ١ يناير ١٦٠٠ مثلًا، وأنه يتغذى مرَّة واحدة في الشهر (وهذا بالطبع أقل مما تقدمه السينما وحكايات الفولكلور) وبناءً على تلك العضَّة تتحول الضحية إلى مصاص دماء هي الأخرى وهكذا.. فإن هذا يعني أنه في خلال عامين ونصف سيكون نصف عدد السكان قد تحولوا إلى مصاصي دماء.. ثم بعد عامين ونصف آخرين سوف يتحول جميع البشر إلى مصاصي دماء.. وهكذا..

ولكنه في ذلك البحث نسى أو تناسى شيئًا مهمًّا للغاية؛ هو معقولية أن تتحول كل ضحية إلى مصاص دماء فيما بعد.. !.

وأحد أكثر الحالات ملاحظة لمصاصي الدماء في العصر الحديث هو(الشوبوكرا)

obeikandi.com

(CHUPACABRA) في بورتريكو، وهو مصاص دماء يتغذى فقط على لحم ودماء الحيوانات المنزلية، مما دعا البعض إلى اعتباره نوع من أنواع مصاصي الدماء، وهذا خلق نوعًا من أنواع الهيستريا الجماعية، ارتبطت بشكلٍ وثيق بالأزمات السياسية والاقتصادية، وخاصة في منتصف السبعينات.

وفي أوروبا التي هي الموطن الأصلي لمصاصي الدماء، يعتبر الآن مصاص الدماء مخلوقًا خياليًا، وذلك مع أن العديد من المجتمعات آمنت بالمخلوقات الغير ميتة لأسباب اقتصادية.. وفي بعض الأحيان وبشكلٍ خاص في المناطق الصغيرة المنعزلة داخل الجبال لا تزال خرافة مصاص الدماء منتشرة ومتفشية، ولا يزال إلى الآن هناك ادِّعاءات بمشاهدة والتبليغ عن هجوم من مصاصي دماء، ففي رومانيا عام ٢٠٠٤ خاف العديد من أقارب (توما بيترا) (TOMA PETRE) من أنه تحوَّل إلى مصاص دماء، ومن ثم قاموا بحفر قبره وتمزيق قلبه وحرقوه وخلطوا بقايا جسده بالماء المقدس.

كما كان يشكِّل مصاصو الدماء جزءًا من الجماعات التي تسعى إلى الحصول على المعرفة العُليا، فأسطورة مصاص الدماء وخصائصه السحرية وجاذبيته وقدرته على الافتراس والعيش لقرونٍ طويلة، كلها تعبِّر عن رمزية قوية من الممكن استخدامها في الطقوس والسحر.. بل من الممكن أن يتم تبنيها أيضًا على أنها نظام روحاني.. وقد كان مصاص الدماء جزءًا من حركات المعرفة العُليا في أوروبا لقرونٍ، وانتشر أيضًا إلى الثقافات الفرعية في أمريكا لأكثر من عَقْدٍ كامل، حيث تأثر بشدة واختلط بمبادئ الجمال والسحر القوطي الجديد.

أصل الإعتقاد بمصاص الدماء :

مع امتلاك العديد من الثقافات لخرافات عودة الموتى التي من الممكن

مقارنتها بمصاص الدماء في أوروبا الشرقية، إلا أن خرافة مصاص الدماء في يوغسلافيا هي التي نشرت مفهوم مصاصي الدماء، وجذور الاعتقاد بمصاصي الدماء في الثقافة السلافية مبنية في جزءٍ كبير منها على الاعتقادات الروحية والممارسات التي كانت تتم قبل دخول المسيحية وفَهم الناس للحياة، والحياة بعد الموت، ومع عدم وجود أي كتابات سلافية في فترة ما قبل دخول المسيحية تتحدث عن تفاصيل دياناتهم القديمة إلا أن الكثير من الاعتقادات الوثنية والطقوس مازالوا الناس يستخدمها حتى بعد دخول المسيحية البلاد. من أمثلة تلك الاعتقادات والممارسات، عبادة الأجداد والأرواح التي في المنزل، والاعتقاد بوجود روح بعد الموت.. لذا فمن الممكن أن يرجع أصل الاعتقاد في يوغوسلافيا بمصاص الدماء إلى التركيبة المعقدة للروحانيات السلافية.

ولقد كان للأرواح والوحوش وظائف مُهمة في المجتمعات السلافية قبل الفترة الصناعية، وكانت تعتبر متفاعلة للغاية في حياة البشر، فبعض الأرواح من الممكن أن تكون حساسة ومفيدة في المهام البشرية، أمَّا الأخرى فهي مؤذية ومدمرة. ومثال على تلك الأرواح(الـدمـوفـوى)(DOMOVOI) (الرسالكا)(RUSALKA)- (الفيلا)(VILA)- (الكيكمورا)(KIKIMORA)- (البولدينستا)(POLUDNITSA)- (الفوديناوى)(VODYANOY).

وكانت هذه الأرواح تعتبر مشتقة من الأجداد أو بعض من البشر الموتى مثل هذه الأرواح من الممكن أن تظهر في أشكال متنوعة، من بينها الحيوانات المختلفة أو على شكل بشري.. وبعض من هذه الأرواح من الممكن أن تشارك في أنشطة خبيثة لأذية البشر، مثل إغراق الناس ومنع الحصاد أو امتصاص دماء الماشية أو البشر في بعض الأحيان، لذا كان السلافيون مضطرين لاسترضاء تلك الأرواح لمنع سلوكها الشيطاني المدمِّر.

والاعتقاد السلافي الشائع يظهر تميُّزًا واضحًا بين الروح والجسد، هذه الروح غير قابلة للتلف، ويؤمن السلافين أنه بعد الموت تخرج الروح خارج الجسم وتتجول في المناطق المجاورة ومناطق العمل لمدة ٤٠ يوم، وذلك قبل أن تذهب إلى الحياة الأبدية.. لذلك كان يُعتبَر من الضروري ترك نافذة أو بابٍ مفتوحًا في المنزل بحيث تستطيع الروح المرور من خلالهما. وأثناء ذلك كان يعتقد أن الروح لديها القدرة على العودة إلى الجسد ومثلها مثل الأوراح التي أشرنا إليها في السابق، فمن الممكن أن تكون الروح مباركة أو تعيث الفوضى والشر في أسرها وجيرانها لمدة ٤٠ يومًا قبل أن تعبر.. وعند موت الشخص يوضع الكثير من العناية على طقوس الدفن المناسبة للتأكُّد من طهارة الروح وجعلها تنفصل عن الجسد بسلام .

وكذلك موت غير معمد من الكنيسة أو الموت العنيف أو المفاجئ أو موت شخص شرير مثل ساحر أو قاتل، كل هذه الأشياء كان يكون لها تأثير على جعل عبور الروح من الجسد عنيفًا، حيث أنها غير طاهرة.. كما أنه من الممكن ألا تكون الروح أيضًا نظيفة إذا لم يتم دفنها بشكل مناسب.. وأيضًا الجسد الذي يدفن بطريقة غير ملائمة يكون عُرضة لأن تسكنه الأرواح الشريرة.. وقد كانت تلك الأرواح مصدر خوف السلافيين وذلك بسبب انتقامها الشرير الكامن.

ومن هذه المعتقدات التي ترتبط بالموت.. اشتقت الأرواح وخرج من كنفها اختراع مصاص الدماء.. ومصاص الدماء عبارة عن تأكيد لظهور الروح النظيفة التي تحتل الجسد المتحلل.. وهذا المخلوق الغير حي كان يعتبر كائنًا منتقمًا وشريرًا تجاه الأحياء وهو في احتياج دائم لدم الأحياء لدعم وتقوية وجوده الجسدي.. ومع أن مفهوم مصاص الدماء منتشر عبر البلدان السلافية وبعض جيرانهم من غير السلافيين، إلا أنه من الممكن تتبع الاعتقاد

obeikandl.com

بمصاص الدماء إلى الروحانيات السلافية التي وُجدت قبل دخول المسيحية في المناطق السلافية .

علم الأمراض :

التحلل :

وصف (بول باربر)(PAUL BARBER).. في كتابه (مصاصي الدماء – دفنهم وموتهم)(VAMPIRES،BURIAL AND DEATH).. وصف فيه أن الاعتقاد بمصاصي الدماء نتج عن اعتقاد الناس في المجتمعات القبل صناعية وذلك في محاولة لتفسير العملية الطبيعية، ولكن الغير مفسِّرة للموت والتحلل.

وقد شك الناس في بعض الأحيان في مصاصي الدماء وذلك عندما تبدو جُثة معينة بشكل غير عادي، ولكن مستوى التحلل يختلف باختلاف درجات الحرارة وتكوين التربة، وهناك العديد من العلامات التي لا نعلم عنها شيئًا، وهذا أدى بصيادي مصاصي الدماء إلى الاقتناع بأن الجسد الميت لم يتحلل على الإطلاق.. أو تفسير علامات التحلل على أنها علامات على استمرار الحياة.. فالجُثة تنتفخ كما لو كان فيها غاز وتتراكم في منطقة الجزع وتزيد من الضغط مما يدفع بالدماء إلى أن تترشح وتخرج من الأنف والفم.. وهذا يجعل الجسد يبدو ثمينًا محمرًا.. كل هذه الأشياء قد تبدو مفاجئة لو كان الشخص شاحبًا أو رفيع الجسد أثناء حياته.

ففي حالة (أرنولد باول) عند استخراج امرأة عجوز من قبرها، قال عنها الجيران أنها كانت تبدو بشكل أكثر صحة وامتلاءً عمَّا كانت عليه أثناء حياتها.. وترشيح الدم أعطى انطباعًا بأن الجسد كان يمتص الدماء كما أن دكانة لون

الجلد هو أيضًا إحدى علامات التحلل.. وطعن الجسد المتحلل من الممكن أن يتسبب بنزيف في الجسد وانطلاق الغازات من داخل الجسد.. حيث أن انطلاقها من الممكن أن يكون له صوت مثل صوت شخص يتألم وذلك عندما تمر الغازات من خلال الأحبال الصوتية، أو رُبَّما صوت مثل الغازات التي تنبعث من الجسم.. وقد ذكر التقرير حول (بيرت بولوجوتس) حيث تحدث عن علامات غريبة أخرى.. حيث بعد الموت يفقد الجلد واللثة السوائل التي يحتوياها ويتقلصان مما يكشف عن جذور الشعر والأظافر والأسنان، حتى تلك التي كانت مختفية داخل الفك.. وهذا من الممكن أن يعطي الانطباع بأن الشعر والأظافر والأسنان قد نميا.. وفي مرحلة معينة، فإن الأظافر تتساقط والجسد يتحلل كما ذكر تقرير حالة (بوبوجوتس).. وقد تم تفسير تآكل جلده وظهور جلد آخر على أنه جلد جديد وأظافر جديدة.

الدفن قبل الأوان :

وهناك أيضًا افتراضات بأن أسطورة مصاص الدماء تأثرت بأشخاص تم دفنهم وهم على قيد الحياة بسبب عواقب قلة المعرفة الطبية حينها، وفي بعض الأحيان التي ذكر فيها التقرير أن هناك أناسًا سمعوا أصواتًا تخرج من الكفن. تم نبش القبر وكانت هناك آثار أظافر من الداخل من الجثة نفسها.. وهو يحاول الهرب من القبر. وفي حالات أخرى كان الشخص يحاول خبط رأسه وأنفه ووجهه وقد يبدو كما لو كان يتغذى، ولكن المشكلة الفرضية؛ هي كيف يمكن لشخص أن يُدفَن حيًّا وكيف استطاع البقاء حيًّا لهذه الفترة من الوقت بدون طعام أو هواء أو مياه وهناك تفسير آخر للصوت الذي يخرج من الكفن على أنه صوت انبعاث الغازات من الجثة أثناء التحلُّل.. وهناك سبب آخر لظهور القبور المنبوشة وهو بسبب عمليات السرقة التي كانت تتم.

العدوى :

ارتبط مصاصو الدماء بمجموعات الموت بسبب المرض الغامض أو الذي ليس له تفسيرٌ عادة ومتوارث في نفس العائلة أو في ذات المجتمع الصغير.. وتوهم حالة الوباء ظاهر في الحالات الكلاسيكية لـ (ارنولد باول).. والأقوى من هذا حالة (ميرسى براون) والإيمان بمصاصي الدماء في انجلترا بوجه عام، وذلك عندما ارتبط مرض السُّل بوجود خرافة مصاصي الدماء.. وكما في حالة وباء الالتهاب الرئوي، كان يرتبط بأنسجة الرئة التي كانت تسبِّب خروج الدم وظهوره على الشفاه.

البرفيريا :

في عام ١٩٨٥ قدَّم البايوكميائي (ديفيد دولفين)(DAVID DOLPHIN) رابطًا بين الخلل في التركيب الدموي المعروف باسم البورفيريا وفلكلور مصاص الدماء. .وأشار إلى أن الحالة يتم علاجها بحقن ذرات الحديد في الوريد وأشار إلى أن استهلاك كَمِّيَّات كبيرة من الدماء قد يجعل الحديد ينتقل بشكل ما عبر جدار المعدة إلى تيار الدماء لذلك، فإن مصاصي الدماء عبارة عن مرضى بمرض البروفيريا ويسعون إلى الحصول على الحديد للتخفيف من أعراض المرض.. وقد تم رفض هذه النظرية من الناحية الطبية حيث أن هذا يعني أن الذي يعاني من البروفيريا يحتاج إلى الحديد الذي في الدم، أو أن أخذ الدماء من الممكن أن يخفف من أعراض البروفيريا، وهذا كله مبني على سوء فَهم لطبيعة هذا المرض.. إضافة إلى ذلك فإن (ديفيد دولفين).. قد اختلط عليه الأمر بين القصص (مص الدماء) والفولكلور، حيث أن هناك تشابهًا في الحساسية تجاه أشعة الشمس.. ولكن هذا يرتبط بالجانب الخيالي الروائي وليس بقصص مصاصي الدماء كما في الفولكلور، ومع رفض الخبراء لهذه النظرية إلا أن (ديفيد) حصل على اهتمام وسائل الإعلام ودخل إلى الفولكلور الحديث.

obeikandl.com

داء الكلب (السعار) :

ارتبط داء السعار مع فلكلور مصاصي الدماء، وقد فحص الدكتور(جوأن جوميز النصو)(JUAN GOMEZ –ALONSO) عالِم الأعصاب بمستشفى زيرال في فيجو بأسبانيا، هذه الإمكانيات في تقرير له حول الأعصاب. فالحساسية للثوم وأشعة الشمس من الممكن أيضًا أن تؤثر على أجزاء من المخ بحيث تؤدي إلى حدوث اضطراب في نظام النوم (فيصبح كائن ليلي) وزيادة الحساسية الجنسية، وتقول الأسطورة أن الشخص ليس مصابًا بداء السعار إذا كان يستطيع النظر إلى انعكاس صورته (إشارة إلى أسطورة أن مصاصي الدماء ليس لهم انعكاس في المرآة) كما أن الذئاب والخفافيش التي ترتبط بمصاصي الدماء من الممكن أن تكون حاملة لداء السعار هذا.. هذا المرض كان من الممكن أن يؤدي إلى جعل الشخص يعضّ الآخرين ويسيل الدم من على جانبي فمه.

الفَهم السايكـو ديناميكـي :

في مقالة له عام ١٩٣١ بعنوان (في الكوابيس)(ON THE NIGHTMARE) أشار العالِم النفسي (إيرنست جونس)(ERNEST JONES).. إلى أن مصاصي الدماء عبارة عن رمز للدوافع الغير واعية وميكانيزمات الدفاع، مثل الحُب والذنب والكراهية.. إنها تلك العواطف التي أشعلت فكرة عودة الموتى من قبورهم.

ففي رغبتهم لعودة أحبائهم أدخل أهل الموتى فكرة أن الشخص الميت حديثًا يشتاق هو أيضًا إليهم، ومن هنا نشأ الاعتقاد أن مصاصي الدماء والغير موتى يزورون أقرباءهم خاصة من كانوا متزوجين، ولكنه في حالات الذنب اللاشعوري المرتبط بالعلاقة، فإن الرغبة في عودة الأحباء من الممكن أن تنقلب إلى توتر وخوف، وقد يؤدي هذا إلى وجود كبت، وهو نفس الشيء

obeikandl.com

الذي ربط (فرويد)(FREUD) بينه وبين تطور الخوف المرضي.. وقد انتهى (إيرنست جونز) إلى أن الأمنية الأصلية بالاتحاد الجنسي، من الممكن أن تتغير كليًّا، حيث يتم استبدال الرغبة في العودة بالخوف منها وتحل السادية محل الحُب، والشخص المحبوب يتم استبداله بهيئة غير معروفة، وقد يكون أو لا يكون الجانب الجنسي حاضرًا في هذا وقد قدَّم بعض النقاد المعاصرين نظرية أبسط من هذه بكثير، وهي: أن الناس تتعرف على مصاصي الدماء الخالدين لأنهم عن طريق هذا يتغلبون أو على الأقل يهربون من خوفهم من الموت، ومن الممكن رؤية الجنسية الفطرية لمص الدماء في ارتباطها الجوهري بأكل لحوم البشر والفلكلورية، مثل سلوك الأرواح الشريرة، كما لاحظ (إيرنست) أنه عندما يتم كبت جوانب طبيعية جنسية أخرى فمن الممكن أن يتم التعبير عنها بالأشكال المتراجعة وبشكل خاص السادية، والتي هي جزءٌ مكمِّل لسلوك مصاص الدماء.

التفسـير السياسـي :

ليست إعادة اختراع مصاصي الدماء في عصرنا الحديث بمعزل عن التغيُّرات السياسة، فالكونت دراكيولا الأرستقراطي يمكث وحيدًا في قلعته، بعيدًا مع مجموعة من الخَدم والمرتزقة ويظهر فقط بالليل ليتغذى على عابري السبيل والفلاحين المحيطين بقلعته وهذا يرمز إلى النظام الطفيلي القديم.. وقد أعطى (فيرنر هيرتزوج)(WERNER HERZOG) في (مصاص الدماء نوسفيراتو) (NOSFERATU THE VAMPYRE). تفسيرًا سياسيًّا مع مسحة ساخرة عندما أصبح الوكيل العقاري، مصاص الدماء القادم. وبهذه الطريقة أصبحت الطبقة البرجوازية هي التي يتطفل عليها.. بمعنى أدق يمتص دماءها.

عِلم النفس المرضي :

هناك عدد من سلاسل القتل التي حدثت قام بها المجرمون بعمل طقوس مثل طقوس مصاصي الدماء.. فالقاتل المتسلسل (بيتر كيرتن)(PETER KURTEN) و(ريتشارد ترنتون تشيز) (RICHARD TRENTON CHASE).. أطلق عليهم لقب (مصاصي الدماء) (VAMPIRES) في الصحف نظرًا لبشاعة جرائمهم، وهذا بعدما تم اكتشاف أنهما يقومان بشرب دماء الناس الذين قاما بقتلهم.. عام ١٩٣٢ في حالة قتل في ستوكهولم في السويد تم إطلاق لفظ القاتل «مصاص دماء» على مرتكبيها؛ بسبب الظروف التي أحاطت بوفاة الضحية. وفي القرن السادس عشر انتشرت قصة القتل الجماعي الذي عملته الكونتيسة المجرية (إليزابيث باثوري) (ELIZABETH BATHORY)، وخلال القرون التالية تم تصوير هذا في الكثير من الأعمال السينمائية، حيث تم تصويرها وهي تستحم في دماء ضحاياها لأجل الحصول على شباب دائم.

أما أسلوب حياة مصاصي الدماء فهي كلمة تطلق على الناس في الثقافة المعاصرة في سياق الثقافة القوطية والذين يستهلكون دماء الآخرين للتلسية، وهذا يأتي من التاريخ المتعلق بالرمزية وأفلام الرعب وروايات (آن رايس) (ANNE RICE) وأسلوب حياة إنجلترا في العصر الفيكتوري.. والتي كانت تحتوي على مص الدماء أو بمعنى أدق مص الدماء النفسي أو امتصاص الطاقة ذاتها.

الثقافـة والأدب :

اليوم مصاص الدماء يحتل مكانة ثابتة ومرموقة في الأدب الشعبي.. وهذا الأدب بدأ من القرن الـ ١٨ واستمر في القصص القصيرة في القرن الـ ٢٠ وأول الأعمال وأكثرها تأثيرًا في تلك الفترة هو عمل (جون بوليدرو) (JOHN

obeikandl.com

(POLIDORI) (مصاص الدماء) (THE VAMPYRE) ١٨١٩ والذي تحدث عن مصاص الدماء (لورد روثفين)(LORD RUTHVEN) وقد تم الحديث عن مصاص الدماء في سلسلة من المسرحيات، واستمر الحديث عن مصاصي الدماء في سلسلة (بني المرعب)(PENNY DREADFUL) مثل مصاص الدماء (فـارني)(VARNEY).. وقد وصل الهوس مبتغاه في رواية (برام ستوكر)(دراكيولا) المنشورة عام ١٨٩٧. وعبر السنين دخلت العديد من الصفات وتشكَّلت في مصاصي الدماء، مثل المخالب والحساسية لأشعة الشمس على مدى القرن الـ ١٩ مع مصاص الدماء فارني والكونت دراكيولا، حيث كان لكلٍّ منهما أنياب وفي رواية (مورنو)(MURNAU)(نوسفيراتو) (NOSFERATU) ١٩٢٢ كانت هناك إشـارة إلى الحساسية من ضَوء الشمس.. الغريب أن صفة الخلود لم تُذكَر في الفلكلور التقليدي إلا أنها كانت موجودة ضمنيًّا، كما أنها صفة يتم تصويرها بكثرة في السينما والأدب، فثمن ذلك الخلود كان مكلّفًا للغاية.. ألا وهو الحاجة المستمرة للدماء.

وقد ظهر مصاص الدماء أو الجثث التي لا تموت في قصائد مثل قصيدة (مصاص الدماء) (THE VAMPIRE)١٧٤٨ لـ (هينريش أوجست أوسنفيلدر HEINRICH AUGUST OSSENFELDER)) وقصيدة (لينور) (LENORE) للكاتب (جوتفريد أوجست بيرجر) ١٧٧٣ وقصيدة (فخر كورنيث)(THE BRIDE OF CORINTH) لـ (جوتة) (GOETHE).. . وقصيدة الشاعر (كوليردج) (COLERIDGES) التي لم تتم وكانت بعنوأن (كريستابل)(CHRISTABEL).. وقصيده (جياور)(THE GIAOUR) للورد (بأيرون)(BYRONS)١٨١٣.

ويعتبر اللورد بايرون أيضًا أول من كتب قطعة نثرية عن مصاصي الدماء١٨١٩، ولكن الحقيقة كانت أن تلك القطعة من تأليف طبيب اللورد بأيرون وهو

(جون بولدوري) (JOHN POLIDORI) ذلك الذي ألَّف قِصَّة غامضة مليئة بالألغاز لمريضه اللامع وقد كانت شخصية اللورد بايرون الخلابة التي تتوسطها شخصية (الليدي كارولين لامب) تلك الرواية الخيالية المبنية على حياة بايرون المائجة المنفلتة.. وقد استخدمها (بولدوري) في تصميم بطل روايته، وقد نجحت الرواية وكان أكثر الأعمال تأثيرًا في بدايات القرن الـ ١٩. أمَّا(مصاص الدماء فارني) فكان إحدى علامات قصص الرعب في العصر الفيكتوري تلك القصة التي كتبها(جيمس مالكولم رأيمر) وظهرت في الفترة مابين ١٨٤٥الى١٨٤٧ في سلسلة من المنشورات بعنوان (بيني المرعب) بسبب رخصها ومحتواها المرعب ونُشِرَت بعد ذلك في كتاب في عام١٨٤٧ وصلت إلى ٨٦٨ صفحة، وكانت القصة أسلوبها مشوق وتستخدم الخيالات الحيَّة لوصف ما يفعله (فارني) وهناك إضافة مهمة أخرى لهذا الجنس الأدبي قام بها (شيردان لي فانو)(SHERIDAN LE FANU) بروايته (كارميلا) (CARMILLA) بشخصية مصاصة الدماء السحاقية عام ١٨٧١، وقد تم تصويرها في الرواية بشكل يثير التعاطف معها، حيث صوَّرت أنها ضحية للقدر.

وكانت أكثر الأعمال تأثيرًا هي رواية برام ستوكر، وقد صوِّر على أنه مرض يجعل الجسد مسكونًا بالشياطين، وبعمل إشارات خافتة للجنس والدماء والموت جعله يلتصق بأذهان أوروبا الفيكتورية، حيث كان السُّل من الأمراض الشائعة حينذاك، وقد اندمجت صفات مصاص الدماء التي أشار إليها (ستوكر) في عمله مع التقليد الفلكلوري مما أدى إلى تغير تصور مصاص الدماء وظهوره كما هو عليه الآن.

وبعد أن استمد بعض أشياء من روايات(كارميلا) و(فارني)، بدأ ستوكر في قراءة أعمال أخرى مثل (أرض ماوراء الغابة) (THE LAND BEYOND

obeikandl.com

(THE FOREST ١٨٨٨ للكاتبة (إيميلي جيرارد)(EMILY GERARD) والكتب الأخرى حول مصاصي الدماء في ترانسلفانيا، وفي الجامعة ذكرَ زميلٌ له قصة (فلاد تيبس) دراكيولا، وقام ستوكر على الفور بضم تلك القصة إلى كتابه.. وقد تم منع نشر أول فصل من الكتاب عندما نزل إلى الأسواق عام١٨٩٧، لكنه أعيد نشره عام ١٩١٤.

وأحد أول الروايات العلمية حول مصاص الدماء كانت رواية (ريتشارد ماثون) (RICHARD MATHESON) (أنا أسطورة) (I AM LEGEND) ١٩٥٤، والتي كانت الأساس لأفلام مثل: (آخر رجل على سطح الأرض)(THE LAST MAN ON EARTH) ١٩٦٤، و(الرجل أوميجا)(THE OMEGA MAN) ١٩٧١.

وفي القرن العشرين كانت هناك أمثلة أخرى على روايات مصاصي الدماء، مثل قِصَّة (جى آر وارد)(J.R.WARD) (إخوة دراكيولا ذوي الخناجر السوداء) (BLACK DAGGER BROTHERHOOD).. والعديد من كتب مصاصي الدماء التي يقبل عليها الشباب، وهناك أيضًا ظاهرة متنامية لتصوير مصاصي الدماء على أنهم كائنات رومانسية أو كمتحرِّين (يعملون في مجال التحري عن الجرائم) مثل سلسلة (ل.أ.بانكس)(L.A.BANKS) بعنوان (صائدة مصاصي الدماء)(THE VAMPIRE HUNTRESS LEGEND) وسلسلة (كيم هارسون)(KIM HARRISON) بعنوان (الفارغون)(THE HOLLOWS) كل هذه الروايات تصوِّر مصاصي الدماء من جهة مختلفة حتى أن بعضها ليس له علاقة بالأسطورة الأصلية.

وقد أتى الجزء الأخير من القرن العشرين بملاحم جديدة تمت كتباتها عن مصاصي الدماء، أولها كانت ملحمة من الرعب القوطي (لمرلين روس)(MARILYN

ROOS) بعنوان (برناياس كولينز)(BARNABAS COLLINS)، وقدمت من الفترة (١٩٦٦-١٩٧١).. والتي هي مبنية جزئيًا على سلسلة الدراما الأمريكية التليفزيونية (الظلال المعتمة)(DARK SHADOWS) وهي أيضًا تأبه لذلك التوجه الذي يصور مصاص الدماء كبطل تراجيدي وليس كمصدر شر.. أمَّا مصاصو الدماء في سلسلة (الشفق)(TWILIGHT).. والتي كتبها (ستيفن ماير)(STEPHENIE MEYER)٢٠٠٥- ٢٠٠٨، فإنها تتجاهل تمامًا موضوع تأثير الثوم والصلبان والمياه المقدسة، كما أنها أيضًا لا تتأثر بالشمس.. على الرغم من أنها تظهر مصاصي الدماء بقوتهم الحقيقية الخارقة.

obeikandl.com

obeikandl.com

الخاتمة

obeikandl.com

obeikandl.com

أخيرًا انتهت الرحله ومعها انتهت ملحمة غزو سكان المريخ لكوكب الأرض.، تلك الملحمة التي وصفها الموسيقي العالمي الفذ (جيف وين.. JEFF WAYNE).. بمقطوعته الموسيقيه ((EVE OF THE WORLD.. مع أسطورة مثل أسطورة (الكونت دراكيولا) وعوالم مصاص الدماء والقلاع السوداء الغير مسكونة والمليئة بكل تلك الدهاليز والممرات والسلالم والعدد اللانهائي من الأبواب التي تفتح على المزيد من الأبواب الأخرى وكل هذا الظلام المحيط بأدق الأشياء.. تشعر بعد كل هذا أن عقلك دارت فيه معركة حربية تم استخدام كل الأسلحة فيها.. لهذا تناسب مقطوعة (جيف وين) الحالة التي كنت هائمًا فيها..

من قال أن الموسيقى تندثر أو تموت.. ؟!.

من قال أن الموسيقى ترتبط بحدود المكان أو الزمان.. ؟!.

الأشياء العظيمة فقط تتخطى كل تلك الحواجز.. أمَّا الذي نضعه في سلة مهملات عقولنا ثق تمامًا أنها كانت من البِداءة أشياء لا تستحق أن توضع في عقولنا أصلًا وإلا ما كنا أهملناها.

وأنت جالس بمفردك في فراشكَ وبجانبكَ ذلك الجهاز يهدر بموسيقاه تشعر أن كل لحظة تمر عليك يجب أن تستمع فيها إلى شيء يرتقي بروحكَ ويجعلكَ تُحلِّق فعليًّا في عوالم أخرى تناسب حالتك المزاجية..

انظر إلى تلك الساعة الضخمة المعلقة أمامي على الحائط.. والتي يحملها (خرونوس) إله الزمن عند الأغريق على كتفيه، والتي تخبرني عقاربها أن الساعة تعدت الـثالثة والنصف بعد منتصف الليل.. !.

من خلفه كان باقي آلهة الأوليمب ينظرون إليَّ بدهشة؛ مَن ذلك المخلوق الذي يظَلُّ ساهرًا كل هذا الوقت فقط ليتبحَّر في أسطورة مصاصي الدماء والكونت دراكيولا وكل هذا الكم من الدماء.. إلخ.

obeikandl.com

حتى الجنون له حدود وأنا قد قفزت وطرت عاليًا (فوق عش المجانين).. كما فعل الممثل (جاك نيكلسون)(JACK NICHOLSON) في فيلمه الشهير (طار فوق عش الوقواق)(ONE FLEW OVER THE CUCKOOS NEST).

كنت جالسًا أفكر في أحداث الليلة ومعي صديقي؛ الصمت.. كانت يدي تتحرَّك على تلك المنطقة المحيطة بالشعر حول فمي بحركة لا إرادية، كلما انعزلت عمَّا حولي وسرحت في عوالم أخرى لا تمتُّ بصِلة لعالمي الحقيقي.. في الحقيقة لا أحد يعرف السرّ الذي من أجله جعلت لحيتي تنمو على تلك الشاكلة.. أكيد طبعًا حتى لتوضع صورتي في مراجع عِلم الأحياء بعد أن اكتشفت أن هناك كائنًا اسمه (الحنكئور) بل الحقيقة أن السبب الرئيسي في ذلك يرجع إلى افتناني الشديد بشخصية (روبرت دي نيرو) (ROBERT DI NIRO) في الفيلم الخارق (لهيب) (HEAT) لهذا قررت أن لحيتي مثله.. كنت متوقفًا عند نقطة بعينها في أسطورة الليلة، تلك النقطة التي أثارت بداخلي شجنًا وسحرًا خاصًا.. إنها كلمة «الوطن».

الكونت دراكيولا كان مفتونًا بوطنه.. حتى وهو بعيد عنه لم يكن يجرؤ أن ينام إلا في تابوت يحوي تراب وطنه..

ما السر الذي يربط أي كائنٍ مهما كان ،، بالأرض التي نبت وشبَّ وكبرَ عليها.. أي سحر، وأي قوة تكمن في حروف كلمة (الوطـــــــــن)؟.

كنت أشعر بقشعريرة تزحف على جسدي ببطء، والكلمة تدوي في أعماقي.. إذا كان الكونت دراكيولا الشيطاني الشرير مصاص الدماء يشعر بكل هذا الحنين إلى وطنه.. فأين أنا من كل هذا ؟.

obeikandl.com

لقد بدأت الأفكار في أعماقي تعزف على هذا الوتر الحسَّاس الذي يحمل كلمة.. «الوطن»..

أشعر أن الصمت نفسه يشعر بالملل من الجلوس معي.. أعتقد أنه قد حان الوقت لكي أقتل وأنسف الصمت المحيط بي، وأن أخرج وأنسلخ تدريجيًّا عن كل تلك الدماء التي أحاطت بي في هذه الليلة.. أريد أن أذهب إلى عالم الأحلام بدون أي كوابيس.. عن طريق قنبلة موسيقية من العيار الثقيل سأضعها في الجهاز بجانبي .. ليس لها أيّ علاقة بجو الرعب والغموض الذي عشت أحداثه على مدار تلك الساعات الماضية.. ومعها سأغمض عيني تمامًا.. وسأظل أستمع إليها حتى أذهب إلى عالم الأحلام الخاص بي.
ذلك العالم الذي تربيت عليه ولا أعرف عنه بديلًا.. ألم أقل لكم إنني من جيل محظوظ.. فإلى الجيل الحالي.. ذلك الجيل المظلوم في كل شيء أقدِّم إليه تلك اللمحة الساحرة من الماضي.. لعلَّها تنجح في إزالة أيّ شوائب تحيق بكم..

***

لا أدري على وجه اليقين أيهما كان له التأثير الأقوى في أعماقي، الموسيقى أم الأغنية؟.. في أحيانٍ كثيرة أشعر أن هناك مقطوعات موسيقية صُنِعَت خصيصًا من أجل شيء واحد؛ هو أنها تتحدى الزمن والنسيان.. ولكي تصنع شيئًا قادرًا على أن يتحدى الزمن فيجب أن يكون هذا الشيء عظيمًا بحق.. عظيمًا ومتفردًا.

دائمًا كانت تلك المقطوعة الموسيقية في مقدمة فيلم (بائعة الجرائد) للفنانة (ماجدة) وإنتاج شركة صوت الفن والتي كان يمتلكها محمد عبد الوهاب، لهذا ولأن المقطوعة الموسيقية خارقة للمألوف وعبقرية، فقد استأذن المخرج (حسن الأمام) محمد عبدالوهاب لكي يسمح له بوضع تلك المقطوعة الرائعة

في مقدمة فيلمه بائعة الجرائد.. من وجهة نظري المتواضعة، فتلك التحفة الموسيقية والتي أخرجها للنور موسيقار الأجيال (محمد عبدالوهاب) هي المثال الحي لكلمة شيء عظيم يتحدى به الزمن..

إنه (محمد عبدالوهاب).. الشخص الثوري الذي جاء ليثور على كل القوالب اللحنية.. الشخص الذي جاء ليضيف الجديد والمتجدد.. بإحساسه كسر كل القواعد والقوالب في عصره.. أضاف إليها الكثير.. لقد بعث حياة جديدة في الموسيقى..

موسيقار الأجيال كان قادرًا على إبهار المحترفين من أهل الفن والموسيقى قبل عامة الشعب.. إنه محمد عبد الوهاب الموهبة التي لن تتكرر أبدًا.. من يستمع إلى موسيقاه يشعر أنه طوَّر موسيقى الشرق نفسها..

أتذكر في وفاته أن وقف المايسترو (سليم سحاب) في دار الأوبرا وهو يقول: «انهار الهرم.. نضب المحيط.. تيتمت الموسيقى العربية.. فمن يعزينا.. !» لقد مات محمد عبدالوهاب وهو على القمة.. والاستمرار على القمة كل تلك الأعوام الطويلة يؤكد عبقرية هذا الفنان.. لقد أخذ الموت (محمد عبدالوهاب).. ولكن أعطانا مالا يموت أبدًا.. أعطانا الإبداع والفن..
إنه تراث (عبدالوهاب).. عاشق الفن.. عشاق الحياة.. عاشق الروح.
تكفي تلك المقطوعة الموسيقية والتي تسمى(حياتي).. تلك المقطوعة الموسيقية الخارقة، الفذة، العبقرية.. والتي ما إن تسمعها حتى تشعر بالعظمة لكونك مصريًا.. ولكونها مصرية..

(موسيقى حياتي)، ارتبطت مع وجدان الشعب المصري؛ نظرًا لكونها كانت تتر البرنامج الشهير على إذاعة صوت العرب (شارع الصحافة) ،. ذلك

obeikandl.com

البرنامج الذي كان يلتف حوله كل شعب مِصر ليعرفوا أخبار هذا الوطن.
وكان صوت الفنانة ماجدة، يخترق أعماق الشعب المصرى بكلماتها الخالدة..
(أهرام – أخبار – جمهورية).

(موسيقى حياتي) تلحين (محمد عبد الوهاب)، وقد نجح في خلق قطعة موسيقية قادرة على إبهار الجميع واستخدم فيها آلات إيقاعية جديدة، خاصة الآلات النحاسية، والفلوت، وتوزيع الموسيقى الشهير اليوناني (أندريا رايدر) وعزف أوركسترا لندن السيمفوني..

لشهرة هذه المقطوعة الموسيقية فإن شعب مِصر قام بتسميتها (شارع الصحافة).

اسمعوها معي وستعرفون أي إحساس أقصد.. وأي قشعريرة ستصابون بها مع تلك الدقات العنيفة في بِداءة المقطوعة، والتي ستحملكم حَملًا إلى عالم آخر.

أمَّا معي فستحملني بسرعة الضَّوء إلى عالم الأحلام،
والأنياب البارزة .

«تصبحون على ألف خير»

***

obeikandl.com

صدر للكاتب :

- استحواذ (رواية) ٢٠١٤

obeikandl.com

obeikandl.com

obeikandl.com